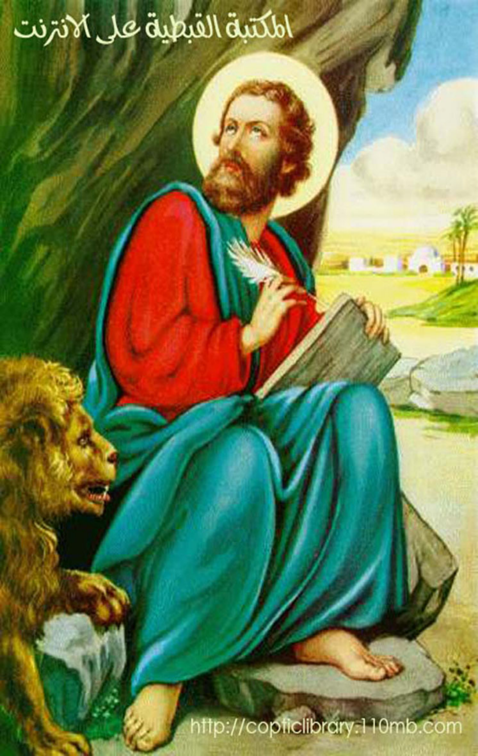

المكتبة القبطية على الانترنت
http://copticlibrary.110mb.com

باقات عطرة
من سير الأبرار والقديسين

الأنبا بوأنس
أسقف الغربية

مقــــدمة

كان المجتمع المسيحى الأول مجتمع قديسين ... كانت كلمة أو لقب قديس لا تطلق - كما هو الآن على الذين انتقلوا إلى السماء فى حالة البرّ والقداسة، أو تثبتت الكنيسة من قداستهم، بل كان هذا اللقب يُطلق على المؤمنين الأحياء، الذين تقدسوا بدم المسيح الفادى، ويحيون حياة مقدسة. هذا ما نراه واضحاً فى رسائل بولس الرسول، التى وجهها إلى القديسين الأحياء، على نحو ما فعل فى رسائله إلى أهل رومية وكورنثوس وأفسس وفيلبى وكولوسى ...

لقد عاش السيد المسيح مع تلاميذه، ولم يسلّمهم كتاباً، لكن سلّمهم حياة عاشوها، وترك لهم مثالاً ليتبعوا خطواته (١بط ٢ : ٢١) ... وهؤلاء التلاميذ سلموا تلاميذهم تلك الحياة بمفاهيمها - لا عن طريق التلقين الكلامى، بل عن طريق القدوة ... بهذا نفهم كلمات الرسول بولس: «كونوا متمثلين بى كما أنا أيضاً بالمسيح» (١كو ١١ : ١).

هكذا شوهدت الفضائل المسيحية متجسّدة فى المؤمنين. وكانت هذه الفضائل المتجسّدة فى صمتها - وليس العظات الكلامية - هى التى كرزت بالمسيحية ونشرتها فى القرون الأولى، وضمت جماهير من الوثنيين وغيرهم إلى الإيمان بالمسيح المخلص ...

إن لسير القديسين والأبرار السابقين أثراً عميقاً فى نفوس الراغبين فى الحياة مع الله، ومشجعاً قوياً للسائرين فى طريق التوبة والجهاد الروحى ... لقد كان هؤلاء القديسين بشراً مثلنا تماماً، وعاشوا فى ظل ظروف مشابهة لظروفنا - من جهة الخطية ومغرياتها. ومع ذلك عاشوا فى العالم دون أن يعيش العالم فى قلوبهم. كان حبهم لله أقوى من حبهم للعالم بكل ما فيه ومَنْ فيه، بل أقوى من حبهم لأنفسهم (رؤ ١٢ : ١١). وعاشوا الأختبار الحىّ «مع المسيح صُلبت فأحيا - لا أنا - بل المسيح يحيا فىَّ» (غل ٢ : ٢٠).

يقول الأب المتوحد مار إسحق السريانى : [شهية جداً هى أخبار القديسين فى مسامع الودعاء، كالماء للغروس الجديدة. فلتكن مرسومة عندك صورة تدبير الله مع

القدماء ، كالأدوية الكريمة للعين الضعيفة . واحفظ ذكرهم عندك فى أوقات النهار . واهذُ فيهم وتفكرّ لتتحكم منهم] .

لقد سألت عروس النشيد حبيبها قائلة : « اخبرنى يا مَنْ تحبه نفسى ، أين ترعى ، أين تربض عند الظهيرة » . فكان جوابه « إن لم تعرفى أيتها الجميلة بين النساء فاخرجى على آثار الغنم » (نش ١ : ٧ ، ٨) ... وليست آثار الغنم سوى هؤلاء القديسين والأبرار الذين أحبوا مخلصهم ، وأحبوا قديسيه سواء بأشخاصهم أو سيرهم .

ولأننا نعيش فى زمان يعانى من جفاف الروح ، آثرنا أن نقدم هذه العينات من الشهداء والقديسين والأبرار من الجنسين ...

إن موضوعات هذا الكتاب القيت فى سبع محاضرات فى صوم الأربعين المقدسة لسنة ١٩٨٤ فى كل من طنطا والمحلة الكبرى . وها نحن نقدمها من أجل منفعة أبناء الكنيسة . ونضعها بين يدى الله الذى أحبنا وفدانا ليجعلها سبب بركة لكل مَنْ يقرأها ...

ولإلهنا كل المجد والكرامة إلى الأبد آمين ،

يــوأنس
بنعمة الله أسقف الغربية

تحريراً فى :
٣٠ يناير ١٩٨٥ م تذكار نياحة القديس
٢٢ طوبة ١٧٠١ ش الأنبا أنطونيوس أب الرهبان

فهرســــت

صـفحة

باقة من أبرار العهد القديم

+ شخصية إبراهيم :
  - قصة إبراهيم مع الله .
  - مصاعب فى طريق الله .
  - النزاع بين إبراهيم ولوط وشخصية كل منهما .
  - الله يدخل فى عهد مع إبراهيم .
  - نسل إبراهيم .
  - هاجر الجارية والزوجة .
  - هاجر وسارة يمثلان العهدين القديم والجديد .
  - الوعد بولادة إسحق ـ ذبح إسحق ـ سنى إبراهيم الأخيرة .
+ شخصية يوسف :
  - عرض سريع لحياته ـ تأملات فى حياته .
  - يوسف فى مدرسة التجارب ـ يوسف يتخرج من مدرسة التجارب
  - يوسف كرمز للمسيح .

شخصية إبراهيم

إن إبراهيم هو « أب لجميع الذين يؤمنون » (رو ٤ : ١١) ... ونحن ندرس حياته لكى ما ندرس معاملات الله مع البشر، فكل ما كُتب كُتب لأجل تعليمنا (رو ١٥ : ٤) ... **وعلى الرغم من أن إبراهيم هو أعظم رجل سجلت الأسفار المقدسة تاريخه ، لكن لنذكر دائماً أن أمامنا مَنْ هو أعظم من إبراهيم ، ذاك الذى قال عن نفسه : « قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » - ذاك الذى تهلل إبراهيم أن يرى يومه فرأى وفرح** (يوحنا ٨ : ٥٨ ، ٥٦) ... ولا عجب فالقديس بولس بعد أن سرد قائمة طويلة لأبرار العهد القديم فى الرسالة إلى العبرانيين كسحابة شهود استطرد يقول : « **ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمّله يسوع** » (عب ١٢ : ٢) .

قصة إبراهيم مع الله :

تبدأ قصة إبراهيم حينما تراءى له إله المجد ، وهو مازال بمدينة أور الكلدانيين (١) ... ويوضح ذلك الوحى الإلهى على فم استفانوس شهيد المسيحية الأول «ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم وهو فى ما بين النهرين قبل سكنه فى حاران (٢) . وقال له اخرج من أرضك ومن عشيرتك وهلّم إلى الأرض التى أريك . فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين وسكن فى حاران . ومن هناك نقله (الله) بعد مامات أبوه إلى هذه الأرض التى أنتم الآن ساكنون فيها » (أع ٧ : ٢ - ٤) .

إذن فلقد تلقى إبراهيم الدعوة بالخروج وهو مازال فى أور الكلدانيين ... وكانت دعوة الله لإبراهيم هكذا « **اذهب من أرضك ، ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك . فأجعلك أمة عظيمة ، وأباركك وأعظّم اسمك . وتكون بركة . وأبارك مباركيك ولاعنك العنه . وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض** » (تك ١٢ : ١ - ٣) .

١ - مكانها الحالى خرائب فى منتصف المسافة بين بغداد والخليج الفارسى شرقى نهر الفرات بقليل إلى ناحية الجنوب .

٢ - مدينة على أحد فروع نهر الفرات ، وتبعد ٢٨٠ ميلاً شمال شرقى دمشق .

١ - فى الواقع يبدأ تاريخ إبراهيم بظهور الله له . والحق أن القيمة الحقيقية فى حياة أى إنسان وتاريخه تبدأ بظهور الله فى حياته . فقد يعيش إنسان عشرات السنين دون أن يكون له اثر. و يظل شقياً وكمّاً مهملاً حتى يقبل دعوة الله ويحيا فى طاعته ... والله فى أثناء ذلك يعرض عليه ذاته و يقول له كما قال لملاك كنيسة لاودكية «اشير عليك أن تشترى منى ذهباً مصفى بالنار لكى تستغنى، وثياباً بيضاً لكى تلبس فلا يظهر خزى عريتك وكحّل عينيك بكحل لكى تبصر» (رؤ ٣ : ١٨).

٢ - لنتأمل فى قول الله لإبراهيم : « وتكون بركة » ... هنا نلاحظ ظاهرة عجيبة . فبعد أن كان الله يبارك البشر، أصبح هناك بشر يباركون البشر!!

٣ - تأملات فى طاعة إبراهيم : كانت طاعة إبراهيم لله فى أن يخرج من أرضه . **فما هى كلمة الله من ذلك؟**

● **الواقع أن كل انذارات الله القديمة وقصاصاته (الطوفان - بلبلة الألسن فى موضوع برج بابل)، لم تُفلح فى حمل البشر أن يقلعوا عن الشر. لذا لم يكن هناك بدٌّ من أن يعزل الله فئة من البشر ليكونوا له .** لهذا دعا إبراهيم أن يخرج من أرضه ومن عشيرته ومن بيت أبيه . فالجو الذى عاش فيه إبراهيم فى أور الكلدانيين كان موبوءاً بالوثنية ونجاساتها . **كان هناك خوف على إبراهيم . فالإنسان بطبعه ضعيف ومعرض للسقوط . فداود سقط فى الزنا والقتل، وسليمان أحكم أهل زمانه عبد الأوثان بسبب زوجاته الأجنبيات اللائى أملْنَ قلبه . وإبراهيم نفسه -وهو أب المؤمنين- ضعف إيمانه وشك فى قدرة الله على إعالته فى أرض كنعان لما حدثت مجاعة فنزل إلى مصر دون مشورة الله . ثم عاد وضعف إيمانه ثانية وشك فى قدرة الله أن يحفظه فى مصر،** فكذب وقال عن زوجته سارة انها اخته خوفاً من أن يقتله فرعون ... من أجل هذا نفهم حكمة الرب فيما قاله على لسان إشعياء النبى : «اعتزلوا اعتزلوا . اخرجوا من هناك . لا تمسّوا نجساً» (إش ٥٢ : ١١) ... و بولس ردد نفس هذه الكلمات فى (٢ كو ٦ : ١٧) . و يقول يوحنا فى رؤياه : «ثم سمعت صوتاً آخر من السماء قائلاً اخرجوا منها يا شعبى لئلا تشتركوا فى خطاياها، ولئلا تأخذوا من ضرباتها» (رؤ ١٨ : ٤) .

● خرج إبراهيم من أور الكلدانيين طاعة لأمر الله ، لكن أباه تارح والذين معه

خرجوا معه على سبيل الصحبة بالنسبة لصلة القرابة ... وهؤلاء كانوا ثقلاً على إبراهيم فى طريق الطاعة الكاملة. لكن ما أن وصلوا إلى حاران حتى حطّوا رحالهم ورفضوا الارتحال أكثر... ظل إبراهيم معهم فى حاران زماناً طويلاً لم يتمتع فيه بظهور الله له، ولم يتمكن من تنفيذ وصية الله له بالخروج، إلاَّ بعد أن تخلص من هذه الروابط الجسدية التى ظلت معطلاً له عن السير فى طريق طاعة الله الكاملة (المجوس واختفاء النجم الذى كان يقودهم بعد دخولهم أورشليم).

٤ ـ تارح والد إبراهيم يقود القافلة (الجسد يتولى قيادة المؤمن):

« وأخذ تارح إبرام ابنه ولوطاً أبن هاران ابن أبنه وساراى كنته امرأة إبرام ابنه. فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان» (تك ١١ : ٣١)...

هنا يظهر تارح كما لو كان هو المدعو من الله ليخرج من أور إلى كنعان، بينما الدعوة فى الواقع كانت لإبراهيم... ماذا كانت نتيجة قيادة تارح والسير وراءه وتحت قيادته سوى التوقف عن السير... إن تارح هنا هو صورة للجسد عندما يتولى قيادة الإنسان المؤمن. فقد كان تارح عابداً للأوثان (يش ٢٤ : ٢). وقيادة الجسد للإنسان فى الأمور الروحية المتصلة بالله، لا يُجنى منها سوى التعثر فى الطريق إلى الله...

● كان أمر الله إلى إبراهيم أن يذهب إلى كنعان، أما هو فسكن فى حاران. لكن ما أن مات أبوه حتى اطاع وصية الرب... **إن صلات الجسد وروابطه كثيراً ما تعوقنا فى اتمامنا لدعوة الله لنا، فنتقاعد عن الوصول إلى ما دعينا إليه ونرضى بما هو أقل منه!!... من الأهمية بمكان أن يعرف الإنسان حقيقة الدعوة التى دُعى إليها** «اسألكم أنا الأسير فى الرب أن تسيروا (تسلكوا) كما يحق للدعوة التى دعيتم إليها» (أف ٤ : ١)... «لذلك أنا أيضاً إذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين، لا أزال شاكراً لأجلكم، ذاكراً إياكم فى صلواتى كى يعطيكم... ربنا يسوع المسيح... روح الحكمة والاعلان فى معرفته. مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو **رجاء دعوته**، وما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين» (أف ١ : ١٥ ـ ١٨)... **فجهلنا لدعوتنا** وعدم ادراكها يترتب عليه تقصيرنا فى السلوك كما **يحق** لهذه الدعوة... **علينا أن ندرك جميعاً أننا مدعوون للسماء. وأن وطننا ونصيبنا ورجاءنا جميعها فوق حيث المسيح... لكن بسبب جهلنا لهذه الحقيقة نطلب**

لأنفسنا اسماً ونصيباً، ونكنز لنا كنوزاً فى العالم !!

إن دعوة إبراهيم هى مثال لدعوة الله للإنسان . فكما أن الموت وحده هو الذى هيأ لإبراهيم فرصة الانطلاق، كذلك فإننا بحاجة إلى الموت عن العالم حتى ما ننطلق نحو الله ... فى حياة شعب الله كان عبورهم للبحر الأحمر هو نقطة الانطلاق نحو عبادة الله بحرية فى البرية ـ وعبور البحر الأحمر كان رمزاً للمعمودية (١ كو ١٠ : ١ ، ٢)، التى هى رمز لموت المسيح ودفنه وقيامته (كو ٢ : ١٢ ؛ ٣ : ٣)... والإنسان فى المعمودية يموت مع المسيح !!

● كانت الدعوة إلى كنعان لكن إبراهيم تخلّف فى حاران... **كثيراً ما تأتى معطلات فى حياة الإنسان أثناء سلوكه نحو أورشليم السماوية..** لنتنبه ولنحترس !!

● **لقد أطاع إبراهيم دعوة الله إليه « أخرج من أرضك... »، دون أن يعلم إلى أين يذهب** (عب ١١ : ٨). ولو فرض أن سُئل « إلى أين أنت ذاهب يا إبراهيم؟ »، ثم أجاب أنه لا يعلم، أفما كان يُعتبر مجنوناً « بمجد وهوان . بِصِيتٍ ردىء وصيت حسن . كمضِلّين ونحن صادقون . كمجهولين ونحن معروفون . كمائتين وها نحن نحيا » (٢ كو ٦ : ٨ ، ٩).

● **كان أمر الله لإبراهيم أن يترك أرضه وعشيرته وبيت أبيه... حسب الظاهر كان إبراهيم قد خسر أرضه وبيته وعشيرته والتمتع بالوجود معهم . لكن فى الواقع كان إبراهيم رابحاً.** فالإنسان الخاطىء حينما يترك العالم وملذاته، ما هى خسارته وهو يربح المسيح « ما كان لى ربحاً، فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة . بل انى أحسب كل شىء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى، الذى من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح وأوجد فيه » (فى ٣ : ٧ ، ٨).

أراد بطرس مرة أن يفتخر، فقال للرب يسوع : « ها نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك »، ظاناً أنه قد ضحىّ لأجل المسيح . لكن المسيح أجابه : « ليس أحد ترك بيتاً أو أخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً لأجلى ولأجل

الإنجيل، إلاَّ و يأخذ مئة ضعف الآن فى هذا الزمان بيوتاً وأخوة واخوات وامهات وأولاداً وحقولاً مع اضطهادات. وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية» (مر ١٠ : ٢٨-٣٠).

[الشاب الذى يترك رفيقاً شريراً - أو الأخت التى تترك عشرة شريرة من أجل خلاص النفس- الإنسان الذى يترك عملاً يدرّ عليه ربحاً وفيراً لكنه ربح غير مشروع ... إن الله سيعوضه أضعاف ما يتركه !!].

• **لا بد من حدوث العوائق فى طريق الله . لا نتصور أن الطريق أمام المؤمن سهلاً.**

• فى دعوة إبراهيم نرى الله يوضح الطريق الروحى الذى ينبغى أن يسلك فيه الإنسان أو ما يمكن أن نسميه طريق التكريس(٣).

أولاً - يقول الله لإبراهيم « أخرج من أرضك » - هذه تشير إلى الزهد الخاص بالجسد. فيزهد الإنسان فى الثروة والممتلكات...

ثانياً - « ومن عشيرتك » - وهذه تشير إلى نبذ وترك اساليب السلوك القديم والرذائل الخاصة بالروح والجسد «اسمعى يا ابنتى وانظرى واميلى اذنكِ، وانسى شعبكِ وبيت أبيكِ» (مز ٤٥).

ثالثاً - « أخرج ... إلى الأرض التى أريك » ... ما هى هذه الأرض؟ هى الأرض التى عناها المسيح بقوله: «طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض» (مت ٥ : ٥)... «ثم رأيت سماءً جديدة وأرضاً جديدة. لأن السماء الأولى والأرض الأولى قد مضتا، والبحر لا يوجد فيما بعد» (رؤ ٢١ : ١)... وهذا يؤكده كلام بولس الرسول عن إبراهيم فى العبرانيين «بالإيمان تغرّب... لأنه كان ينتظر المدينة التى لها الأساسات التى صانعها و بارئها الله» (عب ١١ : ٩، ١٠).

إبراهيم بعد أن ترك حاران (تك ١٢ : ٤ - ٩):

« فذهب إبرام كما قال له الرب ... خرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى أرض كنعان. واجتاز إبرام فى الأرض إلى مكان شكيم، إلى بلوطة مُورة. وكان

٣ - الأب بفنوتيوس من الأسقيط . مناظرات يوحنا كاسيان المترجم عربياً ص ٨٠.

الكنعانيون حينئذ فى الأرض . وظهر الرب لإبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض ... فبنى هناك مذبحاً للرب ، ودعا باسم الرب » (تك ١٢ : ٤ - ٩) .

● أول مكان بلغه إبراهيم بعد أن ترك حاران هو **شكيم** . ومعنى شكيم كتف وهى كناية عن قوة الله التى تحفظنا فى دائرة الإيمان ... ثم جاء إلى بلوطة مورة ، ومعناها تعليم . والتعليم والقوة يرتبطان ببعضهما . فالقوة الروحية تقودنا إلى قبول التعليم . والتعليم ينشىء فينا قوة روحية ... هذه لفتة إلهية للطائعين !!

● أتى إبراهيم إلى شكيم ، لكنه وجد الكنعانيين فى الأرض ... كان وجود الكنعانيين هناك امتحاناً لقلب إبراهيم ومدى ثبات إيمانه . لقد أطاع الله لكنه وجد الكنعانيين . لكن لا ننسى أنه مع وجود الكنعانيين ، فقد وجد إبراهيم الله هناك « وظهر الرب لإبرام » (تك ١٢ : ٧) ... حينما نطيع الله فهو يعطينا كل الضمانات للمحافظة علينا . فطالما الأمر قد صدر من الله ، فلا ينبغى أن نخاف لأننا نتبع المسيح الذى انتصر ، والذى به يعظم انتصارنا ...

● **إبراهيم بين الخيمة والمذبح ...**

لقد بنى إبراهيم مذبحاً بعد وصوله شكيم . وبنى مذبحاً ثانياً بين بيت إيل وعاى ... **عاش إبراهيم حياة الغربة فى خيمة متنقلة ... والخيمة والمذبح صفتان امتاز بهما إبراهيم. فالخيمة تشير إلى حياة الغربة التى عاشها على الأرض ، والمذبح يشير إلى حياة التعبّد والشكر لله. بالخيمة اعترف أن لا شىء له فى الأرض ، وبالمذبح اعترف أن الله كان كل شىء له ... ففى الوقت الذى لم يعطه الله فيه ميراثاً ولا وطأة قدم (أع ٧ : ٥) ، كان الله هو نصيبه وميراثه . وهذا وحده يكفى ...**

مصاعب فى طريق الله :

لا بد وان توجد مصاعب فى طريق الله . ويخطىء مَنْ يظن أن الطريق مفروش بالورود والرياحين ...

أ - الكنعانيون ... لكن مع وجودهم ، وجد إبراهيم الله هناك فتراءى له .

ب - جوع فى الأرض « وحدث جوع فى الأرض » (تك ١٢ : ١٠) ... ماذا

كان شعور إبراهيم لمّا حدث جوع ووجد الكنعانيين ؟ هل ظن أنه لم يكن فى الطريق الحقيقية ؟ كلا ... لأن ذلك كان يعتبر حكماً بحسب العيان وليس بحسب الإيمان. لقد دُعى بولس الرسول إلى مكدونية - بعد رؤيا الرجل المكدونى «اعبر إلى مكدونية واعنا» ، لكن أول ما صادفه فيها هو السجن فى فيلبى. فهل شك - كلا ، بل كان وسط السجن يسبّح و يصلى (أع ١٦ : ٢٥)

جـ - «**وحدث جوع فى الأرض ، فانحدر إبرام إلى مصر ليتغرب هناك. لأن الجوع فى الأرض كان شديداً**» (تك ١٢ : ١٠) ... كان الجوع الشديد تجربة. وهنا نلاحظ أن التجربة تأتى أولاً من الجسد. فالجوع أمر يرتبط بالجسد. وبسبب هذا الجوع **انحدر** إبراهيم إلى مصر... نلاحظ كلمة «**إنحدر**» ... هذا الجوع الشديد الذى كان سبباً فى انحدار إبراهيم إلى مصر. نقرأ عنه فى مثل الابن الضال انه كان سبباً فى عودة الابن الضال إلى أبيه!! وهكذا التجربة الواحدة التى يسمح بها الله لامتحان البشر، يختلف تأثيرها تبعاً للإنسان!!

نزل إبراهيم إلى مصر دون اعلان أو مشورة من الله ... هل فكرّ إبراهيم أن جوع كنعان أفضل من خيرات مصر؟.. ليس هذا ما اختبره موسى بعد ذلك «فقد حسب» عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر، لأنه كان ينظر إلى المجازاة» (عب ١١ : ٢٦) ... إن الفقر مع المسيح يعتبر غنى «عار المسيح غنى» !!... هذا، ونلاحظ أن إبراهيم فى مصر عاش بدون مذبح -أى أنه فقد شركته مع الله... وهنا نذكر بالأسى والحزن الأشخاص الذين يخطئون خطأً شنيعاً بتصرفات مرة حينما يريدون أن يتخلصوا من الضيقة أو يهربوا من التجربة اللذين يلازمان طريق الله... كم من أناس باعوا المسيح براحة وقتية ... إذا صادفتك تجربة فلا تسرع بالنزول إلى مصر، بل انتظر الله وحلوله حيث أنت، فتصبح التجربة لك -لا سبب عثرة- بل سبب بركة وتزكية.

د - إبراهيم وهو يقترب من مصر قال لسارة امرأته ان تقول انها اخته ، لأنها كانت جميلة وخشى أن يأخذها المصريون منه ... وليس هذا فحسب بل انه قال لها : «قولى انك أختى **ليكون لى خير بسببكِ** وتحيا نفسى من أجلكِ» (تك ١٢ : ١٣) ... **عجيب هو ضعف إبراهيم فى إيمانه !!** والنتيجة أن سارة أخذت إلى بيت فرعون فصنع إلى إبراهيم خيراً بسببها ... لقد استطاع إبراهيم أن يحصل من فرعون على

« غنم و بقر وحمير وعبيد واماء وأتن وجمال » مقابل سارة ... لكن ماذا كانت النتيجة لقد حُرم من سارة شريكة حياته !! لكن فرعون لم يمسس سارة، وضرب و بيته ضربات عظيمة حتى أطلقها ...

هـ ـ هنا نرى الله يتدخل بقوته لينقذ إبراهيم ـ لا من فرعون ـ بل من ضعفه هو... يختفى الإنسان بضعفه ليظهر الله بقوته. وهنا نرى أمانة الله وسهره على عبده الضعيف الفاشل. فترجع سارة إليه و يعود هو إلى مكانه بين بيت إيل وعاى حيث سكن أولاً، وبنى مذبحاً للرب...

هكذا يرد الرب إبراهيم إلى مركزه الأول بعد أن أصعده من مصر « إلى المكان الذى كانت خيمته فيه فى البداءة بين بيت إيل وعاى، إلى مكان المذبح الذى عمله هناك أولاً. ودعا هناك إبرام باسم الرب » (تك ١٣ : ٣، ٤). **إن هذا هو ما يفعله الرب مع الخاطىء، وما تفعله التوبة « وعندما سقط (الإنسان) بغواية العدو ومخالفة وصيتك المقدسة. وأردت أن تجدده وترده إلى رتبته الأولى » (القداس الغريغورى) ...**

ماذا تفعل التوبة ؟ الابن الضال ألبس « الحلة الأولى » . وبطرس لما تاب بعد الإنكار تسلّم رعاية الخراف الناطقة « ارع غنمى ». واستطاع رغم انكاره الأول أن يقول : « أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل. ورئيس الحياة قتلتموه » (أع ٣ : ١٤، ١٥) ... و يقول داود « الرب يرعانى ... يرد نفسى يهدينى إلى سبل البر من أجل اسمه » (مز ٢٣ : ٣).

النزاع بين إبراهيم ولوط :

● كان إبراهيم غنياً جداً فى المواشى والفضة والذهب... ولوط السائر مع إبراهيم كان له أيضاً غنم وبقر وخيام. **ولم تحتملهما الأرض أن يسكنا معاً. فحدثت** مخاصمة بين رعاة مواشى إبراهيم ورعاة مواشى لوط » (تك ١٣ : ٢ - ٦) ... **الثروة بركة من الله، ان أحسن الإنسان استخدامها صارت نافعة له ولغيره وللكنيسة. لكن إن أساء استخدامها وتسلطت محبتها على قلبه، صارت وبالاً عليه** « وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون فى تجربة وفخ وشهوات كثيرة تُفرّق الناس فى العطب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور والذى اذا ابتغاه قوم ضلوا عن

الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة » (١ تى ٦ : ٩ ، ١٠) .

« **ولم تحتملهما الأرض** » ... كلمة شديدة يقولها الكتاب . لما كان غناهما قليلاً وعائشين فى فقر كانت الأرض تسعهما . لكن الآن كثرت الثروة ، وأصبحت الأرض لا تكفى فى المرعى فتنازعا على الأرض المخصبة . لم يتشاجرا فى الفقر إنما تشاجرا فى الغنى !!

ما أكثر المآسى التى يتسبب فيها المال ... يفرق بين الأخوة والآباء والأحباء. بل قد تحدث جرائم ... كان منشأ النزاع بين إبراهيم ولوط هو المخاصمة بين رعاتهما . وكثيراً ما أدت المنازعات بين الصغار إلى تصادم الكبار. المنازعات البسيطة قد تقود أحياناً إلى جرائم ...

شخصية لوط :

• **كان لوط سائراً مع إبراهيم بتأثيره وقدوته أكثر من إيمانه الشخصى بالله ... مجرد التقليد ضار. وكثيراً ما يحدث هذا فى حياة كثيرين من المترددين على الكنائس والمجتمعات الدينية !! ...** يؤيد هذه الفكرة ما ذكر عن لوط « ولوط السائر مع إبرام ... » (تك ١٣ : ٥) ... فارق كبير بين الاثنين : إبراهيم كان سائراً مع الله ، لكن لوطاً كان سائراً مع إبرام !! كانت دعوة الله لإبراهيم أن يترك عشيرته لكنه أخذ اقاربه معه . كان أبوه تارح معطلاً إلى أن مات وأراحه منه . أما لوط فتبعه إلى أن تغلبت عليه شهوات العالم فجذبته إليها . بعض من الذين خرجوا من مصر اشتهوا أكل اللحم (عدد ١١ : ٤) ، واشاعوا روح التذمر فى باقى الشعب . لوط فى سيره مع إبراهيم كان مجرد مقلّد ، لذا كانت نهايته فى سهول سدوم .

• **فى الظاهر كان سبب الفرقة بين لوط وإبراهيم هو ما حدث بين رعاتهما . لكن هذا مجرد سبب ظاهرى . أما السبب الحقيقى فكان داخل قلب لوط ...** إن السبب الحقيقى فى سقوط الإنسان وانحرافه هو فى داخله . كان من السهل الفصل بين رعاة إبراهيم ولوط ، لكن الخصام هو الذى أظهر فضيلة إبراهيم ومحبة لوط للعالم !!

قد تحدث عثرات وانقسامات فى الكنيسة مثلاً . يعثر البعض بسببها و يتركون طريق الله ، بينما تكون هذه المشكلات عينها حافزاً للبعض الآخر على الالتجاء لله

أكثر... السبب هو فى الإنسان نفسه.

• **إن الطريقة التى أختار بها لوط المكان الذى يسكنه توضح لنا نفسيته من الداخل...** «فرفع لوط عينيه ورأى كل دائرة الأردن أن جميعها سقى... كجنة الرب كأرض مصر. فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن، وارتحل لوط شرقاً»... لقد أختار لوط سدوم. وكان ما جذبه هو خصوبتها بغض النظر عن أى اعتبار آخر... [الشباب الذين ينخدعون بالمظهر الخارجى فى الزواج أو الهجرة أو العمل فى الخارج أو الشهوة، وتكون النتيجة التعاسة !!].

« **رفع لوط عينيه** ورأى كل دائرة الأردن ... **قال الرب لإبرام** بعد اعتزال لوط عنه . **ارفع عينيك وانظر** من الموضع الذى أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً » (تك ١٣ : ١٠ ، ١٤)... **فرق كبير بين أن يرفع الإنسان عينيه لينظر ويختار، وبين أن يقول الرب لإنسان: «ارفع عينيك وانظر»... إن هذه العبارة مازال الله يرددها على سمعنا «ارفع عينك وانظر...» ونتساءل إلى أى شيء يارب؟ فيجبينا إلى الأرض الجديدة والسماء الجديدة التى يسكن فيها البر** (٢بط ٣ : ١٣).

• **اسلوب إبراهيم فى حلّ المنازعة** ... « لا تكن مخاصمة بيني وبينك... لأننا نحن أخوان »... لقد فض إبراهيم المنازعة بدون محكمة أو الالتجاء إلى برانيين. فى الظاهر كان لوط هو الرابح، لكن الواقع كان عكس ذلك. لقد فقد لوط روحياته وذهب وسكن بجوار سدوم وبعد ذلك دخل سدوم واختلط بأهلها وزوّج بناته منهم، ولم يقدر أن يرفع عينيه فيهم، ولم يستطع أن يبنى مذبحاً للرب فى سدوم، ولا أن يشهد للرب فيها. وكانت نفسه البارة تتعذب كل يوم بالنظر والسمع مع سيرة الأردياء (٢بط ٢ : ٨)... حتى بعد ذلك حين كان يكلمهم عن احتراق المدينة، كان « كمازح وسط اصهاره » وضحكوا عليه... لقد فقد هيبته ووقاره الروحى... ثم اذا بحرب كبيرة بين أربعة ملوك يُسبى فيها كل شعب سدوم، و يؤخذ لوط أسيراً هو وأسرته وكل أملاكه. وإبراهيم هو الذى فكّ أسره واسترد املاكه... كانت هذه نتيجة شهوة قلبه وعينه.

• **حينما نقارن بين إبراهيم ولوط ، نجد أن إبراهيم اختار له الله، أما لوط**

فاختار لنفسه. لوط أخذ النصيب الأكبر، وإبراهيم أخذ القفر والبرية المجدبة. لوط بحث عن المادة وإبراهيم بحث عن الله. لوط أخذ أرض العشب والمرعى وإبراهيم أخذ المذبح والخيمة. لوط فقد حريته الشخصية وكيانه الأول، بينما ظل إبراهيم محتفظاً بكيانه حراً لله. لوط جلب لنفسه الهوان والهزيمة، وإبراهيم هو الذى انقذه.

● كان أمر الله إلى إبراهيم أن يمشى فى الأرض طولاً وعرضاً (تك ١٣ : ١٧)، ليعرف ما امتلكه بواسطة الله ... **إن الله يأمرنا أن ندرك ما لنا من بركاته** «وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو. وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة. لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله» (أف ٣ : ١٨، ١٩).

● «فنقل إبرام خيامه، وأتى وأقام عند **بلوطات ممرا** التى فى حبرون. بنى هناك مذبحاً للرب» (تك ١٣ : ١٨). **لنتأمل البركات التى تضمنها نصيب إبراهيم من الله !!**

ملاحظة : كلمة «لوط» تعنى (غطاء)، و«بلوطات ممرا» تعنى (دسم) و«حبرون» تعنى (شركة أو عشرة).

● سبق أن ذكرنا أن لوطاً أخذ اسيراً هو واسرته، وكان ذلك أثناء أول حرب يذكرها الكتاب المقدس بين أربعة ملوك من منطقة ما بين النهرين، وخمسة ملوك من دائرة الأردن فى منطقة البحر الميت. وكانت النصرة فى هذه الحرب للملوك ما بين النهرين. ولما سمع إبراهيم أن لوطاً وأسرته أسروا، قام بعبيده وحارب الملوك الأربعة وهزمهم... وبطبيعة الحال كانت هذه هى قوة الله «هؤلاء بمركبات وهؤلاء بخيل ونحن باسم الرب إلهنا ننمو. هم عثروا وسقطوا ونحن قمنا واستقمنا» (مز ٢٠ : ٦-٨).

بعد نصرة إبراهيم خرج ملك سدوم الذى هزم أولاً لاستقبال إبراهيم وعرض عليه أن يعطيه النفوس وأن يأخذ الغنائم المادية لنفسه... وهنا يظهر تعفف إبراهيم وروحانيته وشهامته «رفعت يدى إلى الرب الإله العلى مالك السماء والأرض، لا آخذن لا خيطاً ولا شراك نعل ولا من كل ما هو لك. فلا تقول أنا

اغنيت إبرام » ... **والحق أن إبراهيم فى هذه الحرب انتصر نصرتين: نصرة ضد الملوك والنصرة الثانية ضد مغريات العالم (الأسلاب والغنائم). ولعله لم ينل النصرة الأولى إلاّ لأنه كان يقتنى الثانية.**

ملكى صادق:

ملك ساليم كان كاهناً لله العلى فضلاً عن كونه ملك . ويذكر فى المزامير موضوع كهنوته (مز ١١٠ : ٤) هناك آراء كثيرة بخصوص ملكى صادق وشخصيته . **وعلى أى حال فهو شخصية رمزية ترمز للمسيح** (عب ٧ : ١ - ٣). تقابل إبراهيم مع ملكى صادق بعد رجوعه من الحرب وانتصاره. وهكذا يظهر لنا السيد الرب بعد أن نجاهد روحياً وننتصر بنعمته ... إبراهيم قدم العشور من كل شىء لملكى صادق ... **والعشور ووجوبها وبركاتها مارسها الإنسان واختبرها قبل عصر الشريعة، وقبل أن يعطى الله وصية مكتوبة عنها.**

إبراهيم بعد كسرة الملوك:

● قال الله فى رؤيا إلى إبراهيم « لا تخف يا إبرام . أنا ترس لك . اجرك كثير جداً » (تك ١٥ : ١). وفى ترجمات أخرى - ومنها ترجمة القديس جيروم « أنا أجرك العظيم جداً » **لكن متى صارت كلمات الرب هذه لإبراهيم؟ حينما رفض العالم، وتقدمات ملك سدوم الذى يشير إلى الشيطان رئيس هذا العالم...** حينما نرفض العالم يكون الله ترس لنا، ويكون هو أجرنا العظيم جداً.

● **فقال إبراهيم « أيها السيد الرب ماذا تعطينى وأنا ماضٍ عقيماً، ومالك بيتى هو اليعازر الدمشقى... انك لم تعطنى نسلاً وهوذا ابن بيتى وارث لى » (تك ١٥ : ٢، ٣)... كان كلام إبراهيم هذا لله رغم وعوده السابقة « اجعل نسلك كتراب الأرض. حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضاً يُعَدّ » (تك ١٣ : ١٦) أين ذهب إيمان إبراهيم؟ لعله نوع من القلق، والله يصنع أموره بطول أناة وحكمة.** وهناك مثل آخر نجده فى (ص ١٦)، فنرى سارة - نتيجة عدم صبرها - تدفع إبراهيم لأن يتزوج هاجر جاريته المصرية لينجب منها نسلاً. لكن الله يؤكد وعده لإبراهيم ويقول له: « لا يرثك هذا (اليعازر الدمشقى)، بل الذى يخرج من أحشائك هو يرثك. ثم أخرجه إلى خارج وقال: « انظر إلى السماء

وعدّ النجوم إن استطعت أن تعدّها . وقال له هكذا يكون نسلك . فآمن بالرب فحسبه له براً » (تك ١٥ : ٤ - ٦) .

الله يدخل فى عهد مع إبراهيم :

فى (تك ١٥ : ٧ ، ٨) نرى الله يؤكد وعده لإبراهيم « أنا الرب الذى أخرجك من أور الكلدانيين **ليعطيك هذه الأرض لترثها** » . فكان تعليق إبراهيم على ذلك « أيها السيد الرب **بماذا أعلم أنى أرثها** » - ليس هذا شكاً بل هو طلب إيضاح من الله على نحو ما فعلت العذراء مريم وسألت الملاك : « كيف يكون هذا لى » ... هنا أمر الله إبراهيم « خذ لى عجلة ثلاثية ، وعنزة ثلاثية ، وكبشاً ثلاثياً ، ويمامة وحمامة . فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط ، وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه . وأما الطير فلم يشقه » (تك ١٥ : ٩ ، ١٠) ...

اعتاد القدماء فى بعض الأحيان أن يقطعوا عهودهم على ذبيحة يشقونها نصفين ، ويجوز كل طرف بين الشقين دليلاً على تعهده بحفظ العهد ، وانه يقبل أن يشقه الله - مثل هذه الذبائح - إذا خان ذلك العهد ... وهكذا قطع الله عهده مع إبراهيم بهذه الصورة المألوفة ... و يشير ارميا النبى إلى تلك العادة المألوفة فيقول : « يقول الرب ... وأدفع الناس الذين تعهدوا عهدى ، الذين لم يقيموا كلام العهد الذى قطعوه أمامى . العجل الذى قطعوه إلى اثنين ، وجازوا بين قطعتيه . رؤساء يهوذا ورؤساء أورشليم الخصيان والكهنة وكل شعب الأرض الذين جازوا بين قطعتى العجل » (ارميا ٣٤ : ١٨ ، ١٩) ... **ونلاحظ هنا أن العجول والعنزة والكباش واليمام والحمام من الحيوانات التى كانت تقدم ذبائح فى العهد القديم** ... انظر :

العجول فى (تك ١٥ : ٩ ؛ عدد ١٩ : ٢ ؛ تث ٢١ : ٣ ؛ عب ٩ : ١٣ .

العنزة فى (تك ١٥ : ٩ ؛ لا ٤ : ٢٤ ؛ ١٦ : ٥ ؛ قض ١٣ : ١٩ ؛ ٢ أى ٢٩ : ٢٣) .

الكباش فى (تك ١٥ : ٩ ؛ ٢٢ : ١٣ ؛ خر ٢٩ : ١٥ ؛ لا ٥ : ١٥ ؛ عدد ٥ : ٨) .

اليمام فى (تك ١٥ : ٩ ؛ لا ١ : ١٤ ؛ عدد ٦ : ١٠ ؛ لوقا ٢ : ٢٤) .

الحمام فى (تك ١٥ : ٩ ؛ لا ١ : ١٤ ؛ ٥ : ٧ ؛ ١٢ : ٨ ؛ ١٤ : ٢٢ ؛ لوقا ٢ : ٢٤).

● **من سياق الكلام نرى أن أمر الذبائح الدموية كان أمراً معروفاً لإبراهيم ، ولم يكن بحاجة إلى أن يعرفه الله بتفاصيله ... كان أمراً معروفاً بالتقليد مثل موضوع العشور.**

● اختيار ثلاثة حيوانات وتكون ثلاثية **(عمرها ٣ سنوات)** ، **حتى ما تكون كاملة النمو.** فإن هذا أمر يليق بالله الكامل. كما يشير إلى كمال العهد واهميته ... وهو يشير أيضاً من طرف خفي إلى الثالوث القدوس. أما ابقاء الحمامة واليمامة بدون شقّ فربما إشارة إلى طرفى الميثاق.

● **نلاحظ اهمية الدم فى العهد الذى قطعه الله مع إبراهيم** ... فحينما سأل إبراهيم الله عن الأرض «بماذا أعلم انى أرثها» ، كان أمر الله له بهذه الذبائح. وهكذا نفهم أننا نرث الأرض الجديدة التى يسكن فيها البرّ عن طريق الدم والذبيحة (المسيح).

● كانت الطيور الجارحة تنزل على جثث الذبائح ، لكن إبراهيم كان يزجرها **(تك ١٥ : ١١)**. وهى بحسب تفسير الآباء والمعلمين تشير إلى الشياطين. وهكذا ينبغى أن نحفظ الذبائح الروحية التى نقدمها لله من أقتراب الشياطين منها ، ومن الأفكار الشريرة التى تهاجمنا.

نســـل إبراهــيم :

● **أورد الرب تشبيهين لنسل إبراهيم : الأول فى (تك ١٣ :١٦) «وأجعل نسلك كتراب الأرض حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضاً يُعد» ... والثانى فى (تك ١٥ : ٥) «ثم أخرجه إلى خارج وقال أنظر إلى السماء وعدّ النجوم إن استطعت أن تعدها. وقال له هكذا يكون نسلك» ... التشبيهان هما تراب الأرض، ونجوم السماء ... أبناء إبراهيم حسب الجسد كتراب الأرض، لكن نسله الروحى كنجوم السماء. ليسوا فقط عديدين بل ممجدين ومضيئين ومرتفعين كنجوم السماء ...** يقول بولس الرسول : **«كان**

لإبراهيم ابنان، واحد من الجارية والآخر من الحرّة. لكن الذى من الجارية ولد حسب الجسد، وأما الذى من الحرّة فبالموعد» (غل ٤ : ٢٢، ٢٣) ... وعن أبناء إبراهيم بالموعد يقول: «لهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد، ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين» (رو ٩ : ٤، ٥).

الله يُنبىء إبراهيم بما سيحلّ بنسله :

• وبعد العهد الذى قطعه الله مع إبراهيم قال له فى حلم: «اعلم يقيناً أن نسلك سيكونُ غريباً فى أرض ليست لهم ويُستعبدون لهم. فيذلونهم أربعمائة سنة... وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة» (تك ١٥ : ١٣، ١٤)... وهذا إشارة إلى غربة نسله فى مصر، ونلاحظ أن حقيقة المدة التى استعبد الشعب فيها فى مصر هى ٤٣٠ سنة وليس ٤٠٠ سنة (خر ١٢ : ٤٠؛ غل ٣ : ١٧). وذكرت هنا المئات وتركت السنوات من باب التقريب.

• ونلاحظ أن الله تحدث أولاً عن الضيقة ثم بعدها عن الفرج ـ التعب ثم الراحة، الاذلال والسلب ثم الحرية والامتلاك... وهذا هو طريق الله: نتألم أولاً ثم نملك. العبودية أولاً ثم الحرية ـ أى عبودية الخطية ثم حرية مجد أولاد الله... سيكون نسله غريباً ثم بعد فترة غربة يمتلكون الأرض ـ هكذا ورثة الملكوت يجب أن **يعيشوا** فى غربة أولاً ثم يمتلكون السماء...

• وبعد أن تحدث الرب عن غربة نسل إبراهيم واستعبادهم وإذلالهم يقول: «ثم الأمة التى يستعبدون لها أنا أدينها» (تك ١٥ : ١٤)... وهنا نرى نعمة الله لأولاده:

كأفراد ... «لى النقمة أنا أجازى يقول الرب» (رو ١٢ : ١٩؛ عب ١٠ : ٣٠)... «إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً. وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء» (٢تس ١ : ٦، ٧).

ككنيسة ... والأمثلة على ذلك لا تُحصى. كيف أن الله ينتقم من الذين يضطهدون الكنيسة، حتى أن أحد المدافعين المسيحيين ويدعى لكتانتيوس، وكان معاصراً لدقلديانوس واضطهاده (وكان وثنياً وآمن بالمسيح ـ كان فيلسوفاً واستاذاً

للبلاغة، واشتهر بتنوّع معارفه ورقة أسلوبه حتى دعاه معاصروه شيشيرون المسيحى).
كتب لكتانتيوس هذا كتاباً بعد موت دقلديانوس أسماه «**موت المضطهدين**» أو «الطريقة التى مات بها المُضطهِدُون». استعرض ما انتهى إليه مضطهدو الكنيسة... وجاء فى صدر كتابه:

[والآن، لقد أقام الله - سامع الدعاء، بمعونته الإلهية- خدامه المنطرحين والمتضايقين أقامهم من الحضيض، مع نهاية لكل مكايد الأشرار، وكفكف دموع النائحين. أما الذين جدفوا على اللاهوت، فقد طرحهم إلى أسفل. والذين هدموا الهيكل المقدس، سقطوا سقوطاً شنيعاً. والذين عذبوا الأبرار، ماتوا وسط الضربات الإلهية بعذابات يستحقونها. فالله قد تأنىّ فى عقابهم حتى -بالنموذجات العظيمة والعجيبة- يُعلّم نسلهم، أنه وحده هو الله. وأنه بالنقمة المناسبة، ينفّذ قضاءه على المستكبرين الكافرين المضطهدين].

● و يضيف الله فى كلامه لإبراهيم عن نسله الذى يتغرب ٤٠٠ سنة «وفى الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا» (تك ١٥ : ١٦)... **إن شعب الله -من ناحية- هو رمز للمسيح «هكذا يقول الرب إسرائيل ابنى البكر»** (خر ٤ : ٢٢) **والمسيح ظل متغرباً فى عالمنا ٣٣** سنة= **٤٠٠ شهراً. ومن ناحية أخرى، فإن أورشليم الأرضية هى رمز لأورشليم السمائية. ويرى الآباء -فيما يختص بالأربعة أجيال التى أشار إليها الله- أن الجيل الأول هو عصر ما قبل الناموس، والجيل الثانى هو عصر الناموس (الشريعة)، والجيل الثالث هو عصر الأنبياء، والجيل الرابع هو عصر السيد المسيح**. وحينما يقول: «وفى الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا»، يعنى أن الجنس البشرى -الذى يرمز إليه نسل إبراهيم- يرجع إلى السماء بالمسيح وفى عصره.

الرؤيا التى رآها إبراهيم:

بعد الكلام السابق عن غربة الشعب ٤٠٠ سنة، يقول الكتاب المقدس: «ثم غابت الشمس فصارت العتمة. وإذا تنوّر دخانٍ، ومصباح نار (متّقد) يجوز بين تلك القطع» (تك ١٥ : ١٧)...

● إبراهيم ظل فى حالة إنتظار لله طوال اليوم حتى مغيب الشمس... ربما تسرب

إليه اليأس أن الله ـ بانقضاء اليوم ـ لن يأتى إليه ... لكن مع مغيب الشمس، ومع الظلام، يأتى الله ... **فى الهزيع الأخير، وسط الظلمة يأتى الله فيصير نور ... المؤمنون عليهم أن ينتظروا، ويكونون فى حالة انتظار دائماً.**

● الرب وحده ـ فى صورة تنور دخان ومصباح نار متقد ـ هو الذى جاز بين القطع دون إبراهيم. وهذا يدل على أن الميثاق كان انعاماً من جانب الله نحو الإنسان الضعيف. ومصالحتنا مع الله بموت المسيح، كانت على هذا النحو من طرف واحد، وانعاماً منه. فإلى آخر لحظة ـ حتى الصليب ـ كان البشر يضمرون له العداوة «اصلبه اصلبه».

● تنوّر الدخان يشير إلى ما سيحلّ بنسل إبراهيم من اضطهادات فى مصر. وهكذا يقول موسى النبى: «وأنتم قد أخذكم الرب واخرجكم من كور الحديد من مصر لكى تكونوا له شعب ميراث» (تث ٤ : ٢٠). ويقول الله بفم إشعياء النبى: «هأنذا قد نقيتُكَ وليس بفضة. أخترتُك فى كور المشقة» (إش ٤٨ : ١٠) وكأنى بنسل إبراهيم وهم وسط الضيقات كأنهم فى الدخان الذى يضايق التنفس ويُدمع العيون، بل ويجعل الجو قاتماً، حتى أنهم ما كانوا يرون نهاية لمتاعبهم ... لقد كانت الظلمة تلفّهم !!

● أما «مصباح النار المتقد»، فيشير إلى وجود الله وتعزيته لهم فى الضيقات. فالله تجلّى فى العليقة بشبه النار (خر ٣)، ورأى شعبه مجده فى هيئة عمود سحاب وعمود نار (خر ١٤ : ٢٤). وعموماً فإنه كما هو مكتوب ان إلهنا نار آكلة (عب ١٢ : ٢٩).

هاجر الجارية والزوجة :

فى الأصحاح الخامس عشر من سفر التكوين ـ وهو الذى كنا نتكلم عن أحداثه ـ نرى إبراهيم يظهر إيماناً. لكنه فى الأصحاح التالى ـ السادس عشر ـ نراه لا يظهر صبراً ... لكن تحقيق الإيمان يحتاج إلى الصبر «متمثلين بالذين بالإيمان والأناة يرثون المواعيد» (عب ٦ : ١٢) ... إن الله يعطى الوعد، والإيمان يقبله، والرجاء يتوقعه، والصبر ينتظره بسكوت !!

● لإبراهيم بعض العذر لأنه قبل الزواج بهاجر، لكنه بلا أدنى شك كان

مخطئاً ... فالسيد المسيح يقول للفريسيين فى جوابه الخاص بالطلاق : « من البدء لم يكن هكذا » (مت ١٩ : ٨) ... ففكرة الله الأولى هى الزوجة الواحدة ... فى بدء الخليقة لم يخلق الله لآدم سوى زوجة واحدة ، على الرغم من انه كان يريدهم أن « يثمروا و يكثروا ويملأوا الأرض » ... يقول العلامة ترتليانوس فى كتابه « الحث على العفة » : [إن أصل الجنس البشرى يمدنا بفكرة عن وحدة الزواج . فقد وضع الله فى البدء مثلاً تحتذيه الأجيال المقبلة ، إذ خلق امرأة واحدة للرجل ، على الرغم من أن المادة لم تكن تنقصه لصنع أخريات ، ولا كانت تعوزة القدرة] !! وحينما تم الجمع بأكثر من زيجة واحدة كانت نتيجة رغبة الاكثار من النسل . لكن تعدد الزوجات كان أمراً شاذاً .

● **سبب زواج إبراهيم بهاجر كانت سارة ... ونلاحظ :**

+ **أن سارة هى التى اضعفت إيمان إبراهيم بعد أن « آمن بالرب فحسبه له براً » .**

+ **خطة الشيطان أن يستخدم أقرب الناس وأكثرهم مودة لدينا فى تجربتنا وأضعافنا** ... وهنا تصبح التجربة فى غاية الخطورة ، لأن الإنسان لا يتطرق إليه الشك بالنسبة لأقرب الناس إليه وأحبهم إلى قلبه . وهكذا كانت سارة بالنسبة لإبراهيم .

+ **« سمع إبراهيم لقول ساراى » ـ خطورة الاستماع بدون تعقل** ... وكم من مشاكل جرها أحد الزوجين بسبب كونه سمّاعاً للطرف الآخر أو إلى أناس من الخارج . وكم من بيوت خربت بسبب ذلك .

+ **خطة سارة فى اقناع إبراهيم زوجها ، هى اقناعه بأن الأمر من الله** « هوذا الرب قد امسكنى عن الولادة » (تك ١٦ : ٢)ـ اليست نسبة بعض الأمور لله هى خطة إبليس فى بعض الأحيان ، على نحو ما فعل مع حواء ، وأيضاً مع الرب يسوع فى تجربته ؟!!

ســـارة والشـــيخوخة :

● **هناك الإيمان والعيان** ... العيان هو المقياس المادى . كالشيخوخة مثلاً فى حالة الانجاب . هكذا نظرت سارة . **ولذا دفعت جاريتها هاجر إلى حضن زوجها !! ومن هذا المنطلق قالت سارة للرب ـ فى صورة الثلاثة رجال :** « أبعد فنائى يكون لى

تنعّم » ... وهكذا قال زكريا الكاهن للملاك : « كيف أعلم هذا لأنى شيخ وامرأتى متقدمة فى أيامها » (لو ١ : ١٨) ... **لكن الأمر، ليس هل يستطيع الإنسان أم لا يستطيع، بل « هل يستطيع الله أم لا يستطيع » !!**... وقف شاول الملك ـ وقت محنة جليات الجبار، ونظر إلى داود ثم إلى الفلسطينى وقال لداود : « لا تستطيع أن تذهب إلى هذا الفلسطينى لتحاربه لأنك غلام وهو رجل حرب منذ صباه » . لكن المسألة بالنسبة لداود لم تكن هكذا، بل إن هذا الفلسطينى « عيّر صفوف الله الحى ... الرب ينقذنى من هذا الفلسطينى » . وكان كلام داود لجليات العملاق : « أنت تأتى إلىَّ بسيف وبرمح وبترس. وأنا آتى إليك باسم رب الجنود » (١ صم ١٧).

• **حكمة الله من غلق الاحشاء وتأخير الاستجابة :**

أمامنا عدة أمثلة على ذلك : **سارة أنجبت إسحق** الذى من نسله تباركت كل أمم الأرض (المسيح) . **حنة أم صموئيل**، حتى أنها بعد أن رزقت به قالت مترنمة « العاقر ولدت سبعة، وكثيرة البنين ذبلت » (١ صم ٢ : ٥) . **اليصابات العاقر** ولدت أعظم مواليد النساء يوحنا المعمدان !!... **إن حكمة الله هى فى أنه يعطى بصورة أفضل. إن التأخير فى صالح الإنسان من وجوه كثيرة ومنها التدرّب على الفضيلة**. ولذا يقول فى العبرانيين : **« متمثلين بالذين بالإيمان والأناة يرثون المواعيد »** (عب ٦ : ١٢) ... يقول مار إسحق من كبار المتوحدين : [إذا أنت طلبت ولم تأخذ، فلست أحكم من الله] .

إبراهيم وهاجر وسارة :

• كانت زيجة إبراهيم بهاجر زيجة غير متكافئة . فإبراهيم كان غنياً جداً، وهاجر كانت جارية (كلمة هاجر معناها هروب) .

• كان للزوجة أن تهب جاريتها لزوجها لتكون له زوجة فى المرتبة الثانية . وكان نسل الجارية يُحسب لمولاتها، حيث أن الأمَة وكل ما لها يعتبر ملكاً لسيدتها .

• أظهرت هاجر الجارية كبرياء ... نسيت نفسها ووضعها كأَمَةٍ، وصغرت مولاتها سارة فى عينيها . ما أعجب كلمات المرتل : « إليك رفعت عينى يا ساكن السماء، فهاها مثل عيون العبيد إلى أيدى مواليهم، ومثل عينى الأمَة إلى يدىّ

سيدتها » !! الإنسان الذى يرفعه الله من المذلّة ، وبعد ذلك يتنكر لماضيه و يستعلى على مَنْ كانوا سبب نعمته !!

● كانت نتيجة تعالى هاجر أن « أذلتها ساراى فهربت من وجهها » ... لكن ملاك الرب ظهر لها على عين ماء فى البرية وأمرها أن ترجع إلى مولاتها وتخضع لها ... إن هروب هاجر كان عملاً خاطئاً لذا أمرها ملاك الرب بالعودة إلى مولاتها والخضوع لها ... ونلاحظ أن الملاك حين ناداها قال لها : **«يا هاجر جارية ساراى»**. انه يذكرها بوضعها انها جارية سارة. ليس معنى أنها تزوجت من إبراهيم أن تتعالى. وحين أمرها الملاك أن ترجع ، لم يأمرها بالرجوع إلى بيت سارة ، بل قال لها : « ارجعى إلى مولاتكِ واخضعى تحت يديها » !!

هاجر وسارة يمثلان العهدين القديم والجديد :

فى رسالته الأولى إلى غلاطية يوضح القديس بولس أن هاجر كانت ترمز إلى عهد الناموس (عهد الأعمال) بينما سارة ترمز إلى عهد النعمة ... يقول : **« فإنه مكتوب انه كان لإبراهيم ابنان. واحد من الجارية والآخر من الحرّة. لكن الذى من الجارية ولد حسب الجسد. وأما الذى من الحرّة فبالموعد. وكل ذلك رمز لأن هاتين هما العهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذى هو هاجر، لأن هاجر جبل سيناء فى العربية. ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة فإنها مستعبدة مع بنيها. وأما أورشليم العليا التى هى أمنا جميعاً فهى حرة. لأنه مكتوب افرحى أيتها العاقر التى لم تلد. اهتفى واصرخى أيتها التى لم تتمخض. فإن أولاد الموحشة أكثر من التى لها زوج. وأما نحن أيها الأخوة فنظير إسحق أولاد الموعد ... إذاً أيها الأخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد الحرّة »** (غل ٤ : ٢٢- ٣١).

عهد الناموس وعهد النعمة :

● **على نحو ما خلق الله الإنسان من عنصرين جسدانى وروحانى ، وعلى نحو ما دبّر الحياة الدنيا والحياة الآخرة (الأبدية) :** الحياة الدنيا يحيا فيها الإنسان بالجسد ، والحياة الأخرى يحيا فيها بالروح « ليس الروحانى أولاً بل الجسدانى وبعد ذلك الروحانى » (١ كو ١٥ : ٤٦). **كذلك يوجد عهدان وشريعتان : عهد**

الناموس أو الأعمال الجسدية، وعهد النعمة أو الحياة بحسب الروح ...

• شريعة العهد القديم تأمر بأوامر جسدانية وتعد بمواعيد جسدانية. وهذا يشابه الميلاد الجسداني الذى صار من هاجر... انها تغفر الخطايا بذبائح دموية، وعلامة العهد هى الختان الجسدى، ومواعيدها جسدية «أرض تفيض لبناً وعسلاً».
لكن شريعة العهد الجديد كلها روحانية على مثال سارة التى لم تلد إسحق كالولادة الجسدية المعروفة. فقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء (تك ١٨: ١١). بل أكثر من هذا فمنذ البداية كانت سارة عاقراً، وبلغت التسعين من عمرها، بينما كان إبراهيم فى سن المائة. وعلى ذلك فلم تكن ولادتها لإسحق بالعادة شأن بقية النساء بل بوعد الله.

• على هذا النحو كانت الأمم الوثنية عاقرة وغير مثمرة. لكن ما أن دخلوا فى شريعة الإنجيل وآمنوا بالمسيح حتى أثمروا كثيراً. وكان هذا بالوعد «اذهبوا إلى العالم أجمع، اكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها».

• كانت ولادة ابن هاجر نتيجة لنشاط الجسد، بينما كانت ولادة إسحق بقوة الله.

• فى ولادة إبن هاجر كان الإنسان هو العامل، أما فى ولادة اسحق فكان الله هو العامل، إذ لم يكن فى قدرة الإنسان أن يعمل شيئاً.

• بحسب الناموس ينظر الله ماذا يستطيع الإنسان أن يعمل، ولكن بحسب النعمة يقف الإنسان لينظر ما عمله الله وما يعمله من خلال التجسد والفداء.

• العهد القديم - هاجر - يشير إلى الفرائض الجسدية ... وسارة فى نصيحتها لإبراهيم أن يأخذ الجارية، إنما يمثل الالتجاء إلى الطبيعة التى تجد فى اللحم والدم ما يريحها ويلذ لها.

عهد الله مع إبراهيم بولادة إسحق :

ولد إسماعيل لإبراهيم وهو فى سن السادسة والثمانين، وبعدها بثلاثة عشر عاماً، ظهر الرب له وقال: «أنا الله القدير. سر أمامى وكن كاملاً، فأجعل عهدى بينى وبينك أكثرك كثيراً جداً» (تك ١٧: ٢). هذا الكلام «كن كاملاً»،

يعنى ضمنياً أن الله يسمح بالضيقة من أجل تكميل الإنسان. ما أروع ما قاله بولس الرسول فى هذا الصدد «**يُكمل رئيس خلاصهم بالآلام**» (عب ٢ : ١٠).

أما الوعد فكان « وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك ، كل أرض كنعان **ملكاً أبدياً** » (١٧ : ٨) ما معنى كلمة ملكاً أبدياً ؟ كلمة « إلى الأبد » أو « أبدياً » لها فى الكتاب المقدس معنيان :

المعنى الأول : ويفيد الزمن اللانهائى ، وهذا يختص بالأمور العتيدة .

والمعنى الثانى : ويفيد مدة محدودة من الزمن يغلب أن تكون طويلة نسبياً ، مثال ذلك قول الكتاب عن العبد الذى يجب أن يبقى فى خدمة سيده بعد سنى الإبراء « ... فيخدمه **إلى الأبد** » (خر ٢١ : ٦) أى مدى حياته . وقول حنة عن صموئيل : « متى فُطم الصبى آتى به ليتراءى أمام الرب ويقيم هناك **إلى الأبد** » (١ صم ١ : ٢٢) أى مدى حياته . وفى (تك ١٤ : ١٥) حينما يقول الله لإبراهيم : « لأن جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها ولنسلك **إلى الأبد** » ، إنما يعنى مدة بقاء الشعب القديم كشعب خاص لله . وقد انتهى هذا بمجيء المسيح ورفضهم الإيمان به رباً وإلهاً ومخلصاً .

والموعد بتمليك الأرض إنما يشير روحياً إلى الميراث السماوى للمؤمنين من جميع الشعوب ـ فليس شىء أبدى إلاّ ما هو روحى ...

هنا نرى أن الله يغير إسم إبرام (أب عظيم) إلى إبراهيم (أب لجمهور كبير) ، ويغير اسم ساراى (اميرتى) إلى سارة (أميرة) (تك ١٧ : ٥ ، ١٥) ... لقد صار إسم إبرام إبراهيم أى أب لجمهور كبير بالإيمان وليس من جهة الجسد . وتغيير اسم سارة فإنه مناسب جداً ، فهى لم تعد تنتسب لإبراهيم وحده (اميرتى ـ ياء الملكية للمتكلم) ، بل سينتسب إليها جميع الذين يرثون إيمان إبراهيم .

الختان علامة العهد :

● **كان الختان قاصراً على الذكور ، ومع ذلك فالإناث اعتبرن من نسل إبراهيم مشتركات فى العهد المقدس باعتبار أن الرجل رأس المرأة** ... وكان العبيد ـ سواء المولودين فى البيت أو المبتاعين بالفضة ـ يختنون ، وبذا اعتبروا روحياً من

أولاد إبراهيم. وقول الله عن العهد الذى بالختان انه عهد أبدى (تك ١٧ : ١٣)، فذلك يعنى انه لمدة طويلة لحين ابطاله بعهد آخر فى المسيح ...

● **لكن ما هو الختان ؟... الختان الجسدى رمز للمعمودية من ناحية، وهو تعبير عن الختان الروحى.** وهو كما عبّر بولس عنه أنه ختم لبرّ الإيمان (رو ٤ : ٧-). وفكرة الختان الروحية موجودة منذ القديم «فاختتنوا غرلة قلوبكم، ولا تصلّبوا رقابكم بعد» (تث ١٠ : ١٦). نفس المعنى أورده بولس الرسول «لأن اليهودى فى الظاهر ليس هو يهودياً، ولا الختان الذى فى الظاهر فى اللحم ختاناً. بل اليهودى فى الخفاء هو اليهودى. وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان» (رو ٢ : ٢٨، ٢٩).

كان الختان رمزاً للمعمودية. ولما كان الرمز يبطل بحلول المرموز إليه، فقد بطل الختان فى المسيحية «لأنه فى المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة» (غل ٥ : ٦)... أما كونه رمزاً للمعمودية فهذا واضح من كلام بولس الرسول: «انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس، حسب أركان العالم، وليس حسب المسيح... به أيضاً خُتنتم ختاناً غير مصنوع بيدٍ بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح. مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضاً معه...» (كو ٢ : ٨ : ١٢).

أما عن أوجه الشبه بين الختان والمعمودية، فإن الختان علامة للتمييز بين شعب الله من أبناء إبراهيم والأمم الوثنية. وهكذا المعمودية تميّز أولاد الله من غيرهم... والختان كان عهد دم (يقطع جزء من الجسم ويسيل الدم)، والعهد الجديد قطع بالدم... الختان يرمز إلى موت الجسد أو جزء منه، وكذلك المعمودية هى موت مع المسيح... جاءت ولادة إسحق بعد ختان إبراهيم، والختان رمز للمعمودية، وهكذا يتضح الرمز أن النفس البشرية لا تثمر إلاّ بالمعمودية التى هى مثال لموتنا مع المسيح...

ظهور الله لإبراهيم عند بلوطات ممرا :

« وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس فى باب الخيمة وقت حرّ النهار. فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب

الخيمة وسجد إلى الأرض» (تك ١٨ : ١ ، ٢) وبلوطات ممرا هذه كانت فى حبرون (تك ١٣ : ١٨)...

هناك ثلاثة آراء بخصوص الرجال الثلاثة الذين استقبلهم إبراهيم :

+ بعض الآباء يرون أن الله الواحد المثلث الأقانيم ظهر فى هيئة ثلاثة رجال. وحينما كان يسجد إبراهيم، كان يسجد للثلاثة أقانيم. وعند التخاطب كان بصفة المفرد إشارة إلى وحدانية الله المثلث الأقانيم.

+ والبعض يرى أنهم كانوا مجرد ثلاثة ملائكة، ودعى اسم الرب على أحدهم لكونه نائباً وممثلاً له.

+ **والرأى الأرجح أن «الرب» هنا هو الأقنوم الثانى فى الثالوث القدوس، ظهر بصورة إنسان تدبيرياً لكى يهىء عقول البشر لسرّ التجسد.** أما الاثنان اللذان معه فكانا ملاكين ظهرا معه لتنفيذ مقاصده فى سدوم وعمورة بعد هذه الزيارة... هذا الرأى كان اعتقاد الكنيسة الأولى... يرجح هذا الرأى ما جاء فى (تك ١٨ : ٢٢) «وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم. وأما إبراهيم فكان لم يزل قائماً أمام الرب». وفى (تك ١٩ : ١) يقول : «فجاء الملاكان إلى سدوم»... وفى كلام الرب بخصوص سارة ما يوضح ذلك (تك ١٨ : ١٣ ، ١٤).

● ومن الأمور التى نلاحظها فى زيارة الثلاثة رجال كرم إبراهيم وحسن ضيافته... كانت الضيافة عبارة عن عجل رخص وثلاثة كيلات دقيق وزبد ولبن. كل هذا يسميه إبراهيم «كسرة خبز فتسندون قلوبكم». وقد أشار بولس إلى هذه الضيافة : «لا تنسوا اضافة الغرباء لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون» (عب ١٣ : ١).

● فى هذه الزيارة أعطى الله وعداً نهائياً لسارة بأن تنجب ابناً «إنى أرجع إليك نحو زمان الحياة و يكون لسارة إمرأتك ابن»... ضحكت سارة فى قلبها. لقد اخطأت سارة عدة أخطاء منها طردها لهاجر، ولومها لإبراهيم بدون مبرر، وعدم إيمانها أن يكون لها ابن. ومع ذلك لما ضحكت لم يمنع الله عنها النسل. فالله فى عطاياه بلا ندامة. ولا يعطى بناء على استحقاق الإنسان، وإنما يعطى بناءً عن غناه فى العطاء والمجد... وقد عادت سارة وآمنت «بالإيمان سارة نفسها أيضاً أخذت قدرة على انشاء

نسل وبعد وقت السن ولدت ، إذ حسبت الذى وعد صادقاً » (عب ١١ : ١١) .

● بعد انتهاء الزيارة بدأ الله يتحدث مع إبراهيم عما هو عتيد أن يفعله بسدوم ... ونتعجب فى الطريقة التى كلم بها الله إبراهيم : « هل اخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله » (تك ١٨ : ١٧) ... وهنا تبدأ شفاعة إبراهيم فى سدوم « افتهلك البار مع الاثيم » (تك ١٨ : ٢٣) ... وقبل الله شفاعة إبراهيم وظل عدد الأبرار يتناقص حتى لم يوجد فى المدينة عشرة أبرار يصفح الله بسببهم ومن أجلهم فى المدينة (تك ١٨ : ٢٤ - ٣٢) . إن هذا يظهر مكانة أولاد الله فى نظره . يقول داود : « سرّ الرب لخائفيه » (مز ٢٥ : ١٤) ... ولدينا فى الكتاب المقدس قصة إيليا النبى الذى بصلاته أغلق السماء مدة ثلاث سنين ونصف وبصلاته فتحها (١ مل ١٧ ، ١٨) .

إبراهيم وأبيمالك ملك جرار :

بعد ذلك تغرّب إبراهيم فى جَرَار . وقال إبراهيم عن سارة امرأته أنها أخته . فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة (تك ٢٠ : ١ ، ٢) ... لقد كذب إبراهيم وهى نقطة ضعف فى حياته . أخطأ بها هنا فى جرار وأخطأ فى مصر أيضاً ... إبراهيم خاف أن يأخذوا منه سارة وعمرها ٩٠ سنة !! وفى تعليله لكذبه قال إبراهيم انى قلت : « ليس فى هذا الموضع خوف الله البتة فيقتلوننى لأجل امرأتى » (تك ٢٠ : ١١) . والسؤال إذا كان إبراهيم يعلم أن هذا المكان ليس فيه خوف الله فلماذا ذهب إليه ؟ وجاء الله فى حلم إلى أبيمالك وهدده بالموت من أجل سارة رغم أنه لم يمسسها . وعلى الرغم من أن أبيمالك أخذ سارة على أنها أخت إبراهيم، ومع ذلك فقد أعتبره الله مخطئاً ... **وهكذا تعلمنا الكنيسة أن نصلى من أجل الخطايا « التى صنعناها بمعرفة والتى صنعناها بغير معرفة »** ...

وعلى الرغم من خطأ إبراهيم فإن الله لم يوبخه ، وإنما وبخ أبيمالك ، وقال عن إبراهيم : « انه نبى فيصلى لأجلك فتحيا » (تك ٢٠ : ٧) ... الله الحنون نظر إلى قلب إبراهيم ، على نحو ما نظر إلى قلب شاول الطرسوسى رغم كل ما كان يعمله !!

ولادة إسحق (تك ٢١) :

● « **وافتقد الرب سارة** كما قال : وفعل الرب لسارة كما تكلم . فحبلت سارة

وولدت لإبراهيم إبناً فى شيخوخته فى الوقت الذى تكلم الله عنه» (تك ٢١ : ١ ، ٢) ... هذا يعود بنا إلى (تك ١٨ : ١٠) حينما قال الله فى شخص الثلاثة رجال : «انى ارجع إليك نحو زمان الحياة و يكون لسارة إمرأتك ابن» ... هنا نجد ثمر الانتظار والصبر. والله فى حكمته عنده ما يعبرّ عنه «بالوقت المعيّن» أو «ملء الزمان» .

وإذا كان الرب قد « **افتقد سارة** » ... فإن افتقاد الرب قد يكون مادياً أو روحياً أو معنوياً ... هكذا عبرّ زكريا الكاهن بعد ولادة يوحنا المعمدان : «مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه» (١: ٦٧) ... إن الرب يفتقد أولاده . قال بفم حزقيال النبى : «هأنذا أسأل عن غنمى وافتقدها كما يفتقد الراعى قطيعه ... هكذا افتقد غنمى وأخلصها» (حز ٣٤ : ١١ ، ١٢) .

● « وصنع إبراهيم وليمة عظيمة يوم فطام إسحق » (تك ٢١ : ٨) ... **ونلاحظ أن الوليمة لم تصنع يوم الولادة بل يوم الفطام ... إن هذا بالمفهوم الروحى يعنى أن الفرح الحقيقى يكون يوم الفطام عن العالم وشهواته والخطية وتوابعها .**

طرد هاجر وابنها :

إسحق معناه (الضحك) ، واسماعيل معناه (الله يسمع) ... «رأت سارة **ابن هاجر** المصرية الذى ولدته لإبراهيم يمزح . فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية **وابنها** لان **ابن هذه الجارية** لا يرث مع ابنى اسحق . فقبح الكلام فى عينى إبراهيم لسبب ابنه . فقال الله لإبراهيم لا يقبح فى عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك . فى كل ما تقول لك سارة أسمع لقولها . لأنه باسحق يدعى لك نسل» (تك ٢١ : ٩-١٢) .

● **العجيب أن إسماعيل هنا لا يذكر باسمه أبداً بل «الغلام - الولد - ابن الجارية ...» . وأما تفسير ذلك أن الإنسان حسب الجسد ليس له ذكر على الاطلاق** ... كان إسماعيل يمزح أى يستهزىء . وهذا ما يفعله ابناء إبليس وأولاد العالم ، فانهم يستهزئون بأولاد الله ... علينا ألاّ نتضايق بل لننتظر الأمر بالخلاص كما حدث مع إبراهيم ... وإذا كانت هاجر رمزاً لعهد الناموس ، فإن ابنها رمز لكل الذين هم من أعمال الناموس !!

• كان ابن هاجر يضطهد اسحق ويضايقه . هكذا يوضح بولس الرسول «ولكن كما كان حينئذ الذى وُلد حسب الجسد يضطهد الذى حسب الروح . هكذا الآن أيضاً. لكن ماذا يقول الكتاب. اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة» (غل ٤ : ٢٩ ، ٣٠).

• كان كلام الرب لإبراهيم « اطرد الجارية وابنها » ... لماذ ؟ انهما يمثلان الطبيعة العتيقة «المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح» (يو ٣ : ٦)... سياسة الترقيع لا تصلح ... «اطرد» المطلوب الحياة الجديدة فى المسيح.

• موضوع هاجر منذ البداية خطأ ... فيه على الأقل غلطتان روحيتان: الغلطة الأولى، حمّى الاسراع وسبق الوقت. والله قال لإبراهيم انه سيعطيه نسلاً، لكن إبراهيم لم يستطع الانتظار... اليأس وعدم الإيمان قاداه إلى الاسراع. والاسراع قاده إلى الخطأ... أما الغلطة الثانية، فهى اللجوء إلى الطرق البشرية فى علاج الموضوع. وما هى الطرق البشرية ؟... إنه يتخذ هاجر زوجة. وفعلاً أتت الطرق البشرية بنتيجة سريعة. فما لم تستطعه سارة فى ٨٣ سنة، استطاعته هاجر من أول سنة. لكن الله ظل على موقفه... الابن يكون من سارة!!

• طُردت هاجر من البيت ، وجهز لها إبراهيم الخبز والماء وصرفها مع ابنها وكان عمره أربع عشرة سنة. تاهت فى برية بئر سبع (جنوب فلسطين- إلى الجنوب الشرقى من مدينة غزة)... وهناك افتقدها الرب إله المساكين والضعفاء والمعوزين. وكبر اسماعيل وزوّجته امه من مصرية وسكن فى برية فاران بسيناء... وولد اسماعيل ١٢ ولداً، وصاروا رؤساء قبائل (تك ٢٥ : ١٢- ١٦). وعاش اسماعيل ١٣٧ سنة (تك ٢٥ : ١٧).

ذبح إسحق (تك ٢٢):

« وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم . فقال له يا إبراهيم هأنذا. فقال **خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق**، واذهب إلى أرض المُريّا **وأصعده هناك محرقة** على أحد الجبال الذى أقول لك» (تك ٢٢ : ١ ، ٢)... **ولنا تأملات فى تجربة ذبح إسحق ...**

• **الله يريد أن نكون له ، ويريد أن يكون هو كل شيء فى حياتنا. ومن أجل تحقيق ذلك يتبع معنا سياسة التجريد ... اتبع هذه السياسة مع إبراهيم لكن خطوة خطوة: جرده أولاً من أهله ووطنه فتركهما إلى بلاد عاش فيها غريباً ... ثم جرده من ابيه تارح الذى كان معطلاً له فى الانطلاق ... ثم جرده من لوط ومن سكناه معه ... ثم جرده من هاجر وابنها حتى لا تكون له محبة حسب الجسد، وبقى مع امرأته العجوز سارة وفلذة كبده إسحق الذى كان كل شهوة قلبه ... وهنا ـ فى هذه التجربة ـ يريد الله أن يجرد إبراهيم من محبته لإسحق، وكان فى ذلك الوقت شاباً يبلغ من العمر نحو خمس وعشرين سنة ... وتجريد الله لإبراهم من محبته لإسحق هو التجريد الكامل ... وإذا جُرد من هذه المحبة تبقى محبته لله وحده ... هذا يذكرنا بكلام السيد المسيح «من أحب ابناً أو ابنه أكثر منى فلا يستحقنى» (مت ١٠ : ٣٧).**

• **الله حينما يريد أن يمتحنا يضع يده على أعزّ شيء لقلوبنا.** ولذا قال لإبراهيم: «خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق ...». هذا امتحان شديد لإبراهيم. لكن إبراهيم سبق له أن اجتاز امتحانات أخرى. كان الامتحان شديداً، لكن لكى تكون تزكية إيمانه، وهى أثمن من الذهب الفانى مع أنه يمتحن بالنار توجد للمدح والكرامة والمجد (١ بط ١ : ٧).

• **كانت التجربة امتحاناً مثلثاً لإبراهيم ... كانت امتحاناً لمحبته، وامتحاناً لإيمانه، وامتحاناً لطاعته لله.** وقد نجح فيها جميعاً ... وفى ذلك يقول بولس الرسول: «بالإيمان قدم إبراهيم إسحق وهو مجرّب، قدّم الذى قبل المواعيد وحيده، الذى قيل له بإسحق يُدعى لك نسل. إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات» (عب ١١ : ١٧ - ١٩).

• **بقدر ما كانت التجربة شديدة وصعبة، فإن الله لكى يبرهن على فضيلة إبراهيم زادها صعوبة، إذ لم يعلن له عن مكان تقديم الذبيحة بالضبط،** ولكن اكتفى بقوله: «أرض المريا ... اصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك» ... وليس هذا فحسب، بل إن المكان كان مسيرة ثلاثة أيام ... وبرغم كل ذلك «بكّر إبراهيم صباحاً» دليل عدم التراخى والاستعداد. ولأن الإيمان لا ينتظر حتى يلاحظ الظروف أو يتأمل النتائج. لذلك يقول بولس: «لما سُرَّ الله الذى افرزنى

من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه فيَّ لأ بشر به بين الأمم للوقت لم استشر لحماً ودماً » (غل ١ : ١٥ ، ١٦) ... **ولماذا يقول الرسول انه لم يستشر لحماً ودماً ؟ لأننا عندما نقف لنستشير اللحم والدم تتعطل خدمتنا وشهادتنا للمسيح ... فاللحم والدم (الجسد) لا يعرف الطاعة لله ، لذا يجب أن نبكرّ.** وهكذا فعل إبراهيم .

● **احتفظ إبراهيم بالأمر سراً حتى لا يتدخل أحد لتعويقه ... وكون إبراهيم يكتم السرّ فإن ذلك يدل على استعداده الكامل ... حتى الغلامين اللذين أخذهما معه ، بعد أن وصل إلى المكان واقترب منه ، قال لهما :** « اجلسا انتما ههنا مع الحمار. وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما » (تك ٢٢ : ٥) ... **ونحن هنا نقارن بين جدية إبراهيم فى طاعته لله وبين أنفسنا حينما نختلق المعاذير ونتعلل بها . وقول إبراهيم لغلاميه : « ثم نرجع إليكما » لا يعتبر كذباً ، لأنه كان يؤمن أن الله قادر على الإقامة من الأموات** حتى بعد أن يذبحه **(عب ١١ : ١٩).**

● **العجيب فى الأمر هو طاعة إسحق العجيبة** ... رأى كل شيء معداً للذبيحة : النار ، الحطب ، السكين ، بناء المذبح ... كان إسحق شاباً ، وكان يمكنه أن يهرب ، لكنه أطاع مستسلماً ... فى ذلك كان إسحق رمزاً للمسيح . كان كشاة تساق إلى الذبح لم يفتح فاه . استسلم لأ بيه ليضعه فوق الحطب ، واستسلم له وهو يرفع السكين فى صمت . لكن الله لم يستطع أن يصمت أكثر ، فكان الصوت « لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً » (تك ٢٢ : ١٢) ... كان إسحق مثالاً للطاعة ورمزاً للمسيح الذى قال عنه الرسول : « وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب » (فى ٢ : ٨).

موت سارة (تك ٢٣) :

عاشت سارة مائة وسبع وعشرين سنة ثم ماتت ... وهى المرأة الوحيدة فى الكتاب المقدس التى ذكر عمرها . **ماتت سارة فى قرية أربع وهى حبرون ، وتدعى أيضاً ممرا - وهى الآن مدينة الخليل.** وأقام فيها إبراهيم زماناً طويلاً حيث ماتت سارة ودفنت فى حقل المكفيلة ... وفى نفس المغارة دفن إبراهيم وإسحق و يعقوب ورفقة

وليثة . و يقال إن عظام يوسف نقلت إليها (أنظر تك ٢٣ : ٤ - ٢٠ ؛ ٢٥ : ٩ ؛ ٣٥ : ٢٧ - ٢٩ ؛ ٣٧ : ١٤ ؛ ٤٩ : ٢٥ - ٣٣ ؛ ٥٠ : ١٣) ... وهى على بعد عشرين ميلاً جنوبى أورشليم . وسميت الخليل نسبة إلى إبراهيم خليل الله . وفيها الحرم (مسجد الخليل) الذى يقال انه قائم على مغارة المكفيلة ، وكانت قبلاً كنيسة مسيحية . وإلى الشمال منها على بعد ميلين موقع بلوطات ممرا .

التمس إبراهيم من بنى حث (هم نسل حث بن كنعان بن نوح) ، أن يبيعوه مكاناً ليجعله قبراً لسارة . لكن لم يشتر أرضاً ليبنى لنفسه بيتاً لسكناه ، إنما عاش متغرباً فى خيام .

ومن الناحية الرمزية نرى فى موت سارة ، إسرائيل - الأمة التى جاء منها المسيح - تختفى لتفسح المجال للعروس ، التى هى الكنيسة المسيحية .

سنى إبراهيم الأخيرة (تك ٢٥) :

• بعد موت سارة « عاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قَطُورَة » (تك ٢٥ : ١) . وكان سنّه مائة واربعين سنة ... ولعله فعل ذلك لأنه وصل إلى هذه السن ، ولم يصبح نسله كنجوم السماء كما وعده الله ... وولدت له قطورة ستة بنين ... وعلى نحو ما كان الحال مع هاجر، كذلك كان مع قطورة ... لم يكن بنوها الستة من الله ، لأن الأمر لم يكن من الله .

• من أجل ذلك « أعطى إبراهيم إسحق كل ما كان له . وأما بنو السرارى اللواتى كن لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحق إبنه شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حىّ » (تك ٢٥ : ٥ ، ٦) ... كان إسحق ابن الموعد ، لذا أعطاه إبراهيم كل أمواله ليكون وارثه الوحيد !!

• وفى سن المائة خمسة وسبعين « أسلم إبراهيم روحه ومات بشيبة صالحة شيخاً وشبعان أياماً وانضم إلى قومه » (تك ٢٥ : ٧ ، ٨) .

• هناك بعض تأملات ...

• قطورة الزوجة الثالثة والأخيرة لإبراهيم ، إنما تشير إلى الأمة التى تتسلط على الناس فى آخر الزمان من نسل إبراهيم أيضاً ... وكما لم يظهر هذه المرأة

ملاك من الله ولا رسالة ولا ذكر ولا عناية مثل امرأتى إبراهيم الأولتين هاجر وسارة المشبهتين بالشريعتين القديمة والجديدة. فكذلك هذه الأمة الأخيرة ليس لها شريعة من الله ولا ناموس ولا ذكر، بل ملك دنيوى وتسلط أرضى.

● حينما أعطى إبراهيم إسحق « كل ما كان له » ، إنما تصرف بعدل ، وساوى بين هاجر وقطورة ، ودعا الاثنتين جاريتين ، فطرد أبنائهما عن إسحق ... لماذا ؟ **هذه الأمة الأخيرة التى تشبه قطورة تصبح نظير أمة اليهود (هاجر). وتكون الاثنتان متساويتين فى البعد والتنحىّ عن الميراث الحقيقى الذى للمسيح بن إسحق بن إبراهيم الوارث كوعد الله ...**

وكون إبراهيم يعطى إسحق « كل ما كان له » له معنى بعيد وعميق ، فهو يشمل كل شىء، ولا يقتصر على الأمور المادية ... أما الآخرون فصرفهم بعطايا مادية ... هذا هو عين ما يفعله الله مع أهل العالم. أما أولاده فيتعامل معهم على أساس آخر...

شـــخصية يوســـف

تعتبر شخصية يوسف الصديق من أعظم والطف شخصيات العهد القديم من جوانب متعددة ... وتأتى أهمية دراسة حياته لكونه رمزاً من أبدع رموز العهد القديم للسيد المسيح، ومثالاً أعلى فى الطهارة والعفة، ومثال للإنسان الذى يسمح الله بتجربته ليخرج من بوتقة التجارب أكثر ما يكون قوة وإيماناً وصلة بالله ... وبين ثنايا سيرته وتاريخه نلمس بوضوح عناية الله به بقصد تمجيده ...

و يوسف اسم عبرى معنا (يزيد) . وهو بكر يعقوب من زوجته المحبوبة راحيل، والحادى عشر من أولاد يعقوب الإثنى عشر... ولد فى فدان آرام، ودعت راحيل اسمه يوسف قائلة: «يزيدنى الرب إبناً آخر» (تك ٣٠ : ٢٤). وقد تم ذلك بولادتها لبنيامين (تك ٣٥ : ١٨) ...

عرض سريع لحياة يوسف :

- **الاصحاحات (من ٣٧ إلى ٥٠) فى سفر التكوين تحدثنا عن شخصية يوسف**... و يظهر يوسف على مسرح الأحداث فى الكتاب المقدس فتى فى السابعة عشر من عمره، يرعى الغنم مع اخوته. وكان ابوه يعقوب يحبه أكثر من بقية اخوته لأنه ابن شيخوخته، الأمر الذى جرّ عليه كل التجارب التى تعرّض لها فى حياته... يضاف إلى ذلك احلامه التى أثارت حسد اخوته. لكنه فى محبة قلبيه يذهب ليفتقد سلامة اخوته فى شكيم. ولما لم يجدهم هناك بحث عنهم فى دوثان حتى وجدهم ...

- **تآمر اخوته على قتله، وانتهى الأمر إلى بيعه عبداً للإسماعيليين**، وكذبوا على ابيهم وقالوا له إن وحشاً افترسه!! باعت القافلة التى اشترت يوسف عبداً فى مصر وكان من نصيب فوطيفار رئيس الشرطة ... **وفى بيت فوطيفار تظهر أمانته ونجاحه. ثم يتعرض لتجربة عنيفة أثارتها عليه امرأة سيده، الأمر الذى انتهى به إلى السجن ...**

- **وفى السجن** يلتقى برئيس سقاة فرعون ورئيس خبازى قصره. وفى السجن تظهر

موهبته فى تفسير الأحلام ، الأمر الذى قاده إلى تفسير حلمين لفرعون كان قد رآهما . وبتفسير هذين الحلمين يخرج يوسف من السجن مدبراً ورئيساً فى مصر... بدأت أحلام فرعون تتحقق كما فسرّها له يوسف ، وبدأ الجوع الشديد يجتاح أرض مصر بعد سنى الشبع ووفرة المحاصيل . وبدأ الجوع يتعدى أرض مصر إلى البلاد المجاورة... وعُلم أن فى مصر قمحاً متوفراً فينحدر اخوة يوسف إلى مصر ليبتاعوا قمحاً...

● **يلتقى يوسف بأخوته دون أن يتعرفوا عليه ،** ويتهمهم أنهم جواسيس . ثم أطلق اخوته بعد أن احتجز واحداً منهم هو شمعون ، مقابل احضار اخيهم الأصغر بنيامين... يلتقى يوسف بأخوته ومعهم بنيامين . وهنا يكشف يوسف عن شخصيته لأخوته بعد اتهامهم بالسرقة . وكان منظراً مؤثراً أثناء هذا اللقاء... وطلب إليهم أن يأتوا جميعاً إلى مصر ويسكنوا فى أرض جاسان . ويرسل فرعون معهم مركبات ليحضر يعقوب وأبناءهم بها...

● **يبدأ ارتحال يعقوب إسرائيل إلى مصر .** وفى بئر سبع رفع ذبائح لله . وكلّمه الله فى رؤى الليل وقال له : « يعقوب يعقوب... أنا الله إله أبيك . لا تخف من النزول إلى مصر ، لأنى اجعلك أمة عظيمة هناك . أنا أنزل معك إلى مصر ، وأنا أصعدك أيضاً » (تك ٤٦ : ١ - ٤)... وكان عدد أفراد بيت يعقوب الذين صاروا فى مصر سبعين نفساً ما عدا نساء بنيه (٦٦ نفساً بنيه وأولادهم + يعقوب + يوسف + ابنا يوسف - تك ٤٦ : ٢٧) .

● **التقى يعقوب بفرعون مصر ،** ولما سأله عن عمره ، أجاب مستدركاً « **أيام سنى غربتى مائة وثلاثون سنة قليلة ورديئة...** » ... بارك يعقوب فرعون . وسكن هو وبنوه فى أرض جاسان... عاش يعقوب فى مصر ١٧ سنة وبلغ من العمر ١٤٧ سنة ، واستحلف يوسف ألاّ يدفنه فى مصر...

● **مرض يعقوب مرضه الأخير ، وبارك منسّى وافرايم ابنى يوسف ويداه على شكل صليب.** أعطى البركة بيده اليمنى لافرايم رغم أنه الأصغر... ثم تحدث يعقوب عن ابنائه الاثنى عشر رؤساء الأسباط . واعطى بركة خاصة ليهوذا ونبوءته ان من نسله يأتى المسيح... ثم اسلم يعقوب روحه بعد أن أوصى بدفنه فى مغارة حقل المكفيلة حيث دفن إبراهيم وسارة وإسحق ورفقة .

● **صعد يوسف واخوته إلى أرض كنعان ليدفنوا أباهم يعقوب** ... ثم يعود يوسف مع أخوته ثانية إلى مصر. و يعتذر اخوة يوسف إليه بعد موت أبيهم خوفاً من أن ينتقم منهم عن الشر الذى فعلوه به. لكنه يطمئنهم قائلاً: «**أنتم قصدتم لى شراً. أما الله فقصد به خيراً**» (تك ٥٠ : ٢٠)... وعاش يوسف ١١٠ سنة وتنبأ عن صعود بنى إسرائيل من مصر، وأوصى بأن يأخذوا معهم عظامه...

تأملات فى حياة يوسف :

أولاً ـ يوسف فى بيت أبيه :

● ظل يوسف فى بيت أبيه يعقوب حتى سن السابعة عشر ... كان شاباً رقيقاً، اتصف بالمحبة والبساطة والاتكال على الله، ونقاوة القلب والطهارة...

● **لقد أحب يوسف اخوته رغم بغضتهم له** ... الحسد أنشأ فيهم البغضة (الحسد يلد البغضة، وهذه تلد القتل: قايين وهابيل، عيسو و يعقوب، يوسف وأخوته)... كان اخوة يوسف يجاهرون بمشاعرهم نحوه، ومع ذلك لما ذهب إلى شكيم ـ حيث كانوا يرعون الغنم ـ ليفتقد سلامتهم ولم يجدهم اتجه إلى دوثان حتى وجدهم (تك ٣٧ : ١٢ ـ ١٧).

● **كان يوسف بسيطاً (اللى فى قلبه على لسانه) ـ هذه البساطة جلبت عليه المتاعب... كان يحلم الأحلام ويقصها على اخوته رغم تبرّمهم منه ومن كلامه**... ومن أمثلة احلامه أنه واخوته حزموا حزماً فى الحقل، وإذا بحزمته تنتصب وتسجد لها حزم اخوته... وحلم آخر رأى فيه الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة له (تك ٣٧ : ٥ ـ ١٠)... هذه الأحلام والبساطة فى روايتها لم يضايق اخوته فقط بل أباه أيضاً حتى أنه انتهره بقوله: «ما هذا الحلم الذى حلمت. هل نأتى أنا وأمك واخوتك لنسجد لك إلى الأرض»... وهنا ـ فى هذه النقطة بالذات ـ نجد فارقاً كبيراً بين يوسف والعذراء مريم التى قيل عنها انها كانت: «تحفظ جميع الكلام متفكرة به فى قلبها» (لو ٢ : ١٩)... يجب أن تقترن البساطة بالحكمة...

● **كان يوسف متكلاً دائماً على إلهه ... وهذه هى القوة التى آزرته فى كل**

مراحل حياته ... فيوسف فى تفسيره لحلم رئيس السقاة ورئيس الخبازين فى السجن، قال لهما: «اليست لله التعابير» (تك ٤٠ : ٨). ولما وقف أمام فرعون ليفسر له أحلامه قال، فرعون له: «أنا سمعت عنك قولاً انك تسمع أحلاماً لتعبرّها. فأجاب يوسف فرعون قائلاً: **ليس لى. الله يجيب**» (تك ٤١ : ١٥، ١٦).

حلم رئيس السقاة : كان تفسيره « فى ثلاثة أيام أيضاً يرفع فرعون رأسك و يرّدك إلى مقامك. فتُعطى كأس فرعون فى يده كالعادة الأولى حين كنت ساقيه. وإنما إذا ذكرتنى عندك حينما يصير لك خير تصنع إلىَّ احساناً وتذكرنى لفرعون وتخرجنى من هذا البيت» (تك ٤٠ : ٩- ١٥).

حلم رئيس الخبازين : كان تفسيره « فى ثلاثة أيام أيضاً يرفع فرعون رأسك عنك و يُعلّقك على خشبة وتأكل الطيور لحمك عنك» (تك ٤٠ : ١٦- ١٩).

حلم فرعون : بعد سنتين من حلمى رئيس السقاة ورئيس الخبازين، رأى فرعون حلماً انه واقف عند النهر وإذا سبع بقرات طالعة من النهر حسنة المنظر وسمينة اللحم فارتَعَتْ فى روضة. ثم طلعت سبع بقرات أخرى وراءها من النهر قبيحة المنظر ورقيقة اللحم، فوقفت بجانب البقرات الأولى على شاطىء النهر. فأكلت البقرات القبيحة المنظر والرقيقة اللحم البقرات السبع الحسنة المنظر والسمينة ... ثم حلم حلماً ثانياً وإذا سبع سنابل طالعة فى ساق واحد سمينة وحسنة. ثم إذا بسبع سنابل رقيقة وملفوحة بالريح نابتة وراءها، فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السبع السمينة الممتلئة.

أما تفسير الحلمين فهو « هوذا سبع سنين قادمة شبعاً عظيماً فى كل أرض مصر، ثم تأتى بعدها سبع سنين جوعاً و يتلف الجوع الأرض. والجوع يكون شديداً جداً». أما عن تكرار الحلم مرتين فلأن الأمر مقرر من الله والله سيصنعه بسرعة (تك ٤١).

واتصف يوسف بنقاوة القلب ... فقد أحب اخوته الذين أبغضوه ... لقد نفّذ وصية محبة الأعداء قبل أن يتفوّه بها المسيح بأجيال طويلة ... ونفذ وصية العفة (عدم الزنا) قبل أن يعطيها الرب لموسى بأجيال. كان صاحب قلب نقى ... وصايا الله كانت مكتوبة على صفحات قلبه قبل أن تكتب فى الكتاب المقدس، وقبل أن يتفوّه بها المسيح ...

• **موضوع الأحلام - هل الأحلام كلها من الله ؟**

هناك أحلام من الله ، وأحلام من الشيطان ، وأحلام من تصورات الإنسان .

+ **وعن النوع الأول ،** يقدم الكتاب المقدس أمثلة كثيرة ... يقول اليهو بن برخئيل لأيوب : « لكن الله يتكلم مرة وباثنتين لا يلاحظ الإنسان . فى حلم ، فى رؤيا الليل عند سقوط سبات على الناس ، فى النعاس على المضجع . حينئذ يكشف آذان الناس » (أى ٣٣ : ١٤ - ١٦) ... ويقول الرب بلسان يوئيل النبى : « ويكون بعد ذلك أنى اسكب روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ، ويحلم شيوخكم أحلاماً ، ويرى شبابكم رؤى » (يؤ ٢ : ٢٨) ... **ومن أمثلتها لأولاد الله** ... أحلام يعقوب (تك ٢٨ : ١٢ ؛ ٣١ : ١٠) ؛ وأحلام يوسف (تك ٣٧) ؛ وحلم سليمان (١ مل ٣) ، وأحلام يوسف النجار خطيب مريم (مت ١ : ٢٠ ؛ ٢ : ١٢) ... **ومن أمثلتها لغير المؤمنين :** حلم أبيمالك ملك جرار (تك ٢٠ : ٣) - وحلم لابان (تك ٣١ : ٢٤) - وأحلام رئيس السقاة ورئيس الخبازين من عبيد فرعون (تك ٤٠) - وحلما فرعون (تك ٤١) ، وحلم نبوخذنصر (دا ٢ : ٤) - وحلم امرأة بيلاطس (مت ٢٧ : ١٩) .

+ **أما عن النوع الثانى** (أحلام الشيطان) فهى كثيرة فى حياة القديسين . ولا عجب فإن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور (٢ كو ١١ : ١٤) ... وما أكثر ما قاله القديسون عن أمثال هذه الأحلام ... وهى على أنواع : أحلام للضلالة والكبرياء ؛ وأحلام للخطية والشهوة ؛ وأحلام مُضلّة تُضلّ أصحابها من أى وجه . ويقول عن ذلك سليمان فى الجامعة : « لماذا يغضب الله على قولك ويُفسد عمل يديك ، لأن ذلك من كثرة الأحلام والأباطيل وكثرة الكلام » (جا ٥ : ٦ ، ٧) .

+ **أما عن النوع الثالث** (أحلام من تصورات الإنسان) ، فيقول عنها سليمان فى سفر الجامعة : « لأن الحلم يأتى من كثرة الشغل » (جا ٥ : ٣) . ويقول إشعياء : « ويكون كما يحلم الجائع أنه يأكل ثم يستيقظ وإذا نفسه فارغة . وكما يحلم العطشان أنه يشرب ثم يستيقظ وإذا هو رازح ونفسه مشتهية » (إش ٢٩ : ٨) ... والأحلام فى هذه الحالة هى تعبير عن رغبات مكبوتة ، وتنفيس عنها كما يقول المثل العامى : [الجعان يحلم بسوق العيش] !!

وبصفة عامة حذرنا الآباء القديسون من تصديق الأحلام والانقياد لها .

ثانياً - يوسف فى مدرسة التجارب والضيقات :

١ - المدخل إلى مدرسة التجارب :

● **كانت محبة يعقوب غير المتعقلة ليوسف ابنه هى التى جلبت عليه كل المتاعب التى واجهته**، وهى التى جرّت أولاد يعقوب الآخرين إلى الخطأ فى حق أخيهم يوسف... لقد دلل يعقوب ابنه يوسف باعتباره ابن شيخوخته، وصنع له قميصاً ملوناً !!... «فلما رأى اخوته أن أباهم أحبه أكثر من جميع أخوته ابغضوه، ولم يستطيعوا أن يكلّموه بسلام» (تك ٣٧ : ٤)...

● **أخطاء المربين والوالدين فى تربية أولادهم...**

لا تدلل ولداً ولا تمدحه أمام بقية أخوته، ولا تميّزه عنهم... إن هذا هو عين ما حدث بالنسبة لأخوة يوسف... وحتى تلاميذ السيد المسيح، لما طلبت أم ابنى زبدى منه ان يجلس واحد من ابنيها عن يمينه والآخر عن يساره فى ملكوته، اغتاظوا (مت ٢٠ : ٢١)...

إن انجح أب وأنجح أم وانجح مدرس وخادم وأنجح راعٍ، هو الذى يشعر كل واحد انه بينه وبينه محبة خاصة. فالمصباح المنير ينير للكل. والنهر يعطى ماءه للكل، وكذلك الوردة الجميلة تقدم رائحتها الجميلة للكل. لا يهم ان الشخص الذى أمامها حسن أو ردىء، متدين أم شرير!! فلنحب الجميع من قلبنا وينعكس ذلك فى تصرفاتنا.

٢ - يوسف فى معمعة التجارب :

● ذهب يوسف ليفتقد سلامة اخوته فى شكيم، ولما لم يجدهم سأل عنهم ثم ذهب إلى دوثان حيث وجدهم. ذهب يوسف بمحبة قلبية ليفتقد سلامة اخوته رغم علمه بمشاعرهم من نحوه، لكنهم ما أن رأوه حتى تآمروا عليه ليقتلوا صاحب الأحلام... تدخل رأوبين الأخ الأكبر لينقذه. فاقنعهم بإلقائه فى بئر جاف بدلاً من قتله. وبالفعل القوه بعد أن جرّدوه من قميصه الملوّن. وإذ رأوا قافلة من الإسماعيليين مقبلة ونازلة إلى مصر، اقترح يهوذا على اخوته أن يبيعوه لهم. وفعلاً باعوه بعشرين من الفضة (تك ٣٧ : ١٨ - ٣٠)... ثم ذبحوا تيساً وغمسوا القميص فى دمه، وكذبوا

على أبيهم قائلين إن وحشاً مفترساً افترسه ... وبيع يوسف فى مصر عبداً لفوطيفار رئيس الشرطة. **وعاش يوسف فى بيت فوطيفار. ويرجح أنه عاش فيه لمدة عشر سنوات. هذه كانت تجربة الحسد والبغضة والخيانة والقتل والكذب وخداع الوالدين** ... أما مشاعر أخوة يوسف نحوه فنلمسها حينما نقرأ فى الكتاب أنهم القوه أولاً فى البئر ثم جلسوا ليأكلوا طعاماً !!

• ثم يدخل يوسف فى تجربة الجسد والغواية ... امرأة سيده فوطيفار بنفسها هى التى تطلب منه أن يخطىء معها !! لا نعلم كم من الوقت استمرت هذه التجربة طوال العشر سنوات التى عاشها يوسف فى هذا البيت. كل ما نعرفه أن التجربة كانت ملّحة ومتكررة « وكان إذ كلمت يوسف **يوماً فيوماً** انه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها » (تك ٣٩ : ١٠) ... **وإذ يرفض يوسف أن يرتكب هذه الخطية، ينتقل من بيت فوطيفار إلى السجن ليقضى فيه نحو ثلاث سنوات ظلماً ...**

• وكانت التجارب والضيقات التى أكتنفت يوسف شديدة. ويزيد فى شدتها براءته ... كل شىء حوله كان مظلماً ... لقد تعقبه الشيطان فى بيت أبيه، وتعقبه فى بيت سيده ...

٣ - النصرة فى التجارب :

بقدر ما كانت التجارب شديدة، بقدر ما تعاظمت معونة الله مع يوسف ... لقد أعطى الرب ليوسف نعمة فى عينى فوطيفار « فوجد يوسف نعمة فى عينيه وخَدَمَهُ. فوكّله على بيته ودفع إلى يده كل ما كان له ». **وكمثال نتكلم عن تجربتين تعرض لهما يوسف فى مصر:**

أ - تجربة الجسد : كانت هى الغواية التى قدمتها امرأة سيده ... **وهنا نلاحظ بطولة يوسف بالنظر إلى النقاط التالية:**

+ قسوة التجربة لأن المرأة هى التى طلبت، ولم يَسْعَ هو إلى هذا الأمر، بل امسكته من ثيابه ليتمم الفعل القبيح.

+ قسوة التجربة لأنها كانت تتكرر كل يوم.

+ قسوة التجربة لأن كل الظروف كانت سانحة ... « لم يكن إنسان من إنسان من أهل البيت هناك فى البيت » (تك ٣٩ : ١١) ... كان الطلب من جانب سيدته وسيدة البيت، وفى هذا ما يضمن كتمان الأمر، ونوال الحظوة لدى سيده بسبب رضاها عنه ...

كيف انتصر فى هذه التجربة :

● **احساس يوسف بالوجود فى حضرة الله وأن الله ينظره** « كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطىء إلى الله » (تك ٣٩ : ٩) ... **كانت التجارب التى مرّ بها يوسف كفيلة أن تحطّم إيمانه فى إلهه، إذ كيف يرضى الله عن كل الظلم الذى عمله معه اخوته، حتى انتهى الأمر به أن يصير عبداً ولمدة عشر سنوات !!**

● **محبته لله وأمانته لسيده وزوجته جعلاه لا يخطىء** ... كان الأمر فى نظره خيانة لسيده «قال لامرأة سيده هوذا سيدى لا يعرف معى ما فى البيت، وكل ما له قد دفعه إلى يدىّ. ليس هو فى هذا البيت أعظم منى. ولم يُمسك عنى شيئاً غيركِ لأنكِ امرأته» (تك ٣٩ : ٨، ٩) ... وهكذا لم يكن يوسف خائناً ...

● **هروبه لما أمسكت به امرأة فوطيفار ليتمم معها الفعل القبيح ... إن الهروب فى مثل هذه التجربة هو سرّ النصرة.**

هذه المشاعر يصوغها البابا شنوده فى قصيدة له عن يوسف يقول :

هوذا الثوب خذيه ... إن قلبى ليس فيه
أنا لا أملك هذا الثـ ... ـوب بل لا أدعيه
هو من مالك أنتِ ... لكِ أن تسترجعيه
فانزعى الثوب إذا شئـ ... ـتِ وإن شئتِ اتركيه
إنما قلبى لقد أقسـ ... ـمت ألاّ تدخليه
أنا لا أملك قلبى ... وكذا لن تملكيه
إنه ملك لربى ... وقد استودعنيه
عبثاً قربكِ منه ... هوذا قلبى اسأليه

* * *

زوجكِ الغائب قد أعـه دنى مـــالاً وعـرضـــاً
بـــل وقـــد مـــلكنى فى بيتـــه طـــولاً وعـرضـــاً
إنـــه عـــهد وثيـــق كيف أهـوى فيه نقضاً
وإذا مـــا كـــنت خـــوّا نأً أخـون العـــهد فرضـــاً
كـــيف أعصى الله ربـــى وبهـــذا الشـــر أرضى

ب - تجربة احتمال الظلم :

+ ظلمه اخوته حينما القوه فى البئر الجاف ، ولم يفتح فاه !!

+ ظلمته امرأة فوطيفار حينما ادعت عليه كذباً انه كان يداعبها ، ولم يدافع عن نفسه !!

+ ظلمه فوطيفار فألقى به فى السجن مدة ثلاث سنوات تقريباً ، واحتمل فى صبر...

واحتمال الظلم تجربة ليست هيّنة ... لكن لنتعلم من يوسف الذى تشبه بالمسيح دون أن يراه « الذى إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً . وإذ تألم لم يكن يهدّد ، بل كان يسلّم لمن يقضى بعدل » (١ بط ٢ : ٢٣) .

الله حاكم عادل ... لا تخشَ شيئاً انتظر الرب . « ليتشدد وليتشجع قلبك وانتظر الرب » ... والكاهن فى تحليل نصف الليل يقول : « احكم يارب المظلومين » ... يقول داود النبى : « لا تَغَرْ من الأشرار ولا تحسد عمّال الاثم . فإنهم مثل الحشيش سريعاً يقطعون ، ومثل العشب الأخضر يذبلون ... تلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك . سلّم للرب طريقك واتكل عليه وهو يجرى . ويخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة أنتظر الرب واصبرْ له **ولا تَغَرْ من** الذى ينجح فى طريقه ، من الرجل المُجْرى مكايد ... لأن عاملى الشر **يُقطعون** ، والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض » (مز ٣٧ : ١ - ٩) .

أسباب النصرة فى حياة يوسف بصفة عامة :

● **كان الرب معه ...** « كان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحاً ، ورأى سيده أن الرب معه ، وأن كل ما يصنع كان الرب ينجحه بيده » (تك ٣٩ : ٢ ، ٣) ...

وتكرر هذا الأمر بعينه فى السجن «وكان هناك فى بيت السجن. ولكن الرب كان مع يوسف، وبسط إليه لطفاً. وجعل نعمة له فى عينى رئيس بيت السجن. فدفع رئيس بيت السجن إلى يد يوسف جميع الأسرى الذين فى بيت السجن. وكل ما كانوا يعملون هناك كان هو العامل... لأن الرب كان معه، ومهما صنع كان الرب ينجحه» (تك ٣٩ : ٢١- ٢٣)... و يتكرر أيضاً نفس الأمر حينما تولى شئون البلاد كلها...

أما لماذا كان الرب معه... فلأن يوسف نفسه كان مع الله، وكان لديه دائماً الإحساس بوجوده فى حضرة الله...

● لم يتخلَّ عن مبادئه :

فى كل الظروف التى عرضت له، وفى كل الضيقات التى حاقت به لم يتخلّ عن مبادئه فى الفضيلة... باعه اخوته... أغرته امرأة سيده... دخل السجن. لكن فى كل هذا كان أميناً لمبادئه رغم كل الظلم الذى حاق به...

٤ ـ يوسف يتخرج فى مدرسة التجارب :

● ألقى يوسف فى البئر وخرج منه... دخل السجن وخرج منه مدبراً لكل أرض مصر... لم يكن يوسف ليصل إلى هذه العظمة بدون القائه فى الجب والسجن... مباركة هى التجارب والضيقات التى تصقلنا وتعدنا للعظمة الحقيقية ونحن إن كنا نتألم مع المسيح فلكى نتمجد أيضاً معه (رو ٨ : ١٧).

● وهنا نقف لنرى كيف يدبر الله الأمور، من أجل خير أولاده... وكيف أن يده تدير وتدبر كل شىء «كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله...» (رو ٨ : ٢٨)... كيف يتمم الله مقاصده رغم كل الظروف... فيسمح الله أن يوسف يدخل السجن مع رئيس السقاة و يفسر حلمه لكى يفسر حلم فرعون الذى أهله لكى يكون مدبراً لكل أرض مصر...

إن كانت هناك نقطة ضعف فى حياة يوسف. فقد سأل رئيس السقاة أن يذكره أمام فرعون. لكن للأسف نسى رئيس السقاة هذا، حتى يكون فضل القوة لله وليس من البشر.

مـوت يوسـف :

وبعد أن عاش يوسف مئة وعشر سنين مات وانضم إلى آبائه بعد أن خدم منها نحو ثمانين سنة كرئيس على أرض مصر. وتنبأ عن خروج بنى إسرائيل من أرض مصر إلى الأرض التى حلف لإبراهيم وإسحق و يعقوب أن يعطيها لهم. وأوصى أخوته أن يصعدوا عظامه من مصر حال خروجهم (تك ٥٠ : ٢٢ - ٢٥).

نقل جسد يوسف إلى فلسطين (يش ٢٤ : ٣٢) ودفن فى شكيم . وفى شكيم قبر يقدسه الجميع حتى الآن و يعرف بقبر يوسف. وقد فتح هذا القبر منذ أعوام ليست كثيرة. واكتشفت به جثة محنطة على عادة قدماء المصريين فى التحنيط وإلى جوارها سيف من النوع الذى كان يستخدمه كبار رجال الدولة فى مصر الفرعونية.

يوسف كرمز للمسيح :

يعتبر يوسف من أقوى الرموز الكتابية وأوضحها لشخص المسيح له المجد... ونعدد هنا بعض أوجه التشابه.

١ - كان يوسف محبوباً من أبيه وعمل له القميص الملون الذى كان سبباً فى حسد أخوته... والآب أعلن محبته لابنه من السماء «هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت» (مت ٣ : ٧).

٢ - كان يوسف مثالاً فى الطاعة لأبيه ... والرب يسوع ذكر عنه أنه «وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب» (فى ٢ : ٨).

٣ - أحب يوسف أخوته ، وذهب ليفتقد سلامتهم ، لكنهم ابغضوه حسداً ، وحالما رأوه تآمروا عليه ليقتلوه (تك ٣٧)... والمسيح ابغضه اليهود بلا سبب «إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله» (يو ١ : ١١). وهذا اتمام لنبوءة قديمة تنبأ بها داود «أكثر من شعر رأسى الذين يبغضوننى بلا سبب» (مز ٦٩ : ٤)... وفى النهاية أسلم اليهود المسيح حسداً إلى أيدى الأمم ليقتلوه (مت ٢٧ : ١٨).

٤ - يوسف كان يقص أحلامه على اخوته . وأحلامه كانت أعلانات إلهية ، وكانت هى السبب فى كل التجارب التى تعرض لها... والمسيح جاء شاهداً للحق ،

واعترف الاعتراف الحسن «الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبّر» (يو ١ : ١٨) ... والمسيح نفسه قال : «لأنى لم أتكلم من نفسى ، لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصيته ماذا أقول وبماذا أتكلم» (يو ١٢ : ٤٩) ... ومعنى هذا أن المسيح هو الذى أخبرنا عن المكنونات غير المستعلنة ... وكان نتيجة ذلك - كما فى حالة يوسف - أن اليهود حسدوه وابغضوه ثم صلبوه .

٥ - احتال اخوة يوسف عليه ليميتوه « فلما أبصروه من بعيد ، قبلما اقترب إليهم احتالوا له ليميتوه . فقال بعضهم لبعض هوذا صاحب الأحلام قادم ، فالآن هلم نقتله ونطرحه فى احدى الآبار ، ونقول وحش رديء أكله ، فنرى ماذا تكون أحلامه » (تك ٣٧ : ١٨ - ٢٠) ... نفس هذا الأمر حدث مع المسيح واعلنه فى مثل الكرم والكرامين : « اسمعوا مثلاً آخر كان إنسان رب بيت غرس كرماً واحاطه بسياج ، وحفر فيه معصرة وبنى برجاً ، وسلّمه إلى كرامين وسافر . ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره . فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً . ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك ، فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً يهابون ابنى . وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه . فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه » (مت ٢١ : ٣٣ - ٣٩) .

٦ - يوسف ظُلم سواء من أخوته أو من فوطيفار وزوجته ولم يشكُ أو يتذمر ... والمسيح « ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه » (إش ٥٣ : ٧) .

٧ - اخوة يوسف - قبل أن يتمموا جريمتهم - عروّه من قميصه وغمسوا القميص فى الدم ، وقالوا إن وحشاً أكله ، وهذا هو قميصه به دم ... واليهود الذين صلبوا المخلّص : « عرّوه والبسوه رداءً قرمزياً » (مت ٢٧ : ٢٨) . واللون القرمزى هو لون الدم .

٨ - أخوة يوسف باعوه للإسماعيليين (نسل إسماعيل) المعتبرين من الأمم ... والرب يسوع باعه اخوته اليهود بثلاثين من الفضة ، واسلموه إلى أيدى الأمم . ونلاحظ أن يهوذا أخو يوسف هو الذى أشار ببيعه . و يهوذا الاسخريوطى هوالذى تآمر على بيع المسيح !!.

٩ - يوسف الابن المحبوب صار عبداً فى أرض غريبة (مصر) ... والمسيح أخلى

ذاته آخذاً صورة عبد فى العالم متغرباً عن السماء.

١٠ - جُرّب يوسف من امرأة فوطيفار، وافترت عليه زوراً وكذباً... هكذا المسيح أيضاً اتهمه اليهود زوراً وكذباً... لقد سجن يوسف من أجل الحق، من أجل الفضيلة، وامضى فى السجن ثلاث سنوات. هكذا المسيح ظل فى القبر من أجل حياة شعبه ثلاثة أيام. والسجن رمز للقبر.

١١ - سُجن مع يوسف فى السجن شخصان من خدم فرعون هما رئيس السقاة ورئيس الخبازين. عُفى عن احدهما (رئيس السقاة)، وأعدم الآخر (رئيس الخبازين)... كذلك المسيح صُلب معه لصان. خَلُص واحد وهو الأيمن، وهَلكَ الآخر وهو الأيسر حسب التقليد الكنسى.

١٢ - خرج يوسف من السجن مدبراً للأجساد عقب تفسيره حلم فرعون. وذلك بعد الأفراج عنه وشغله للمنصب الثانى بعد فرعون. ونعنى بأنه صار مدبراً للأجساد أنه بدأ يخزن الغلال إلى أن وافت السبع سنوات القحط. وبعدها أخذ يوزع على الناس القمح ليس فى مصر وحدها بل فى البلاد المجاورة أيضاً... والمسيح خرج من القبر ملكاً على الأرواح ومدبراً لها.

١٣ - كان يوسف ابن ثلاثين سنة لما وقف أمام فرعون ليصير مدبراً لكل أرض مصر... والمسيح بدأ خدمته الكرازية وهو فى سن الثلاثين.

١٤ - فرعون سمىّ يوسف صفنات فعنيح (تك ٤١ : ٤٥). وهذا الاسم معناه مخلّص العالم أو معلن الأسرار بحسب الأصل العبرى، أو قوت الحياة بحسب اللغة المصرية القديمة... والمسيح يجمع معانى هذه التعبيرات الثلاثة: مخلص العالم، ومعلن الأسرار، وقوت الحياة... انه قوت المؤمنين، والخبز الحىّ النازل من السماء الواهب حياة للعالم (يو ٦ : ٣٣).

١٥ - ارتاع اخوة يوسف حينما حضروا إلى مصر ومثلوا أمامه وكشف لهم عن شخصيته وتذكّروا اساءاتهم إليه... والمسيح فى مجيئه الثانى سوف يرتاع منه الأشرار «وتنظره كل عين والذين طعنوه، و ينوح عليه جميع قبائل الأرض» (رؤ ١ : ٧).

١٦ - صفح يوسف عن اخوته الذين اضطهدوه ظلماً... والمسيح غفر لصالبيه «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو ٢٣ : ٣٤).

١٧ - تزوج يوسف بأجنبية من مصر هى اسنات بنت فوطى فارع الكاهن المصرى ، وهى ليست من شعب إسرائيل ... والمسيح الذى رفضته خاصته - الذين هم اليهود - أخذ عروساً من الأمم (الوثنيين) التى هى الكنيسة .

١٨ - لقد عال يوسف الأمم - المصريين وغيرهم ، واليهود الذين نزحوا بعد ذلك إلى مصر - حينما كانوا يأخذون منه قمحاً - مدة القحط والمجاعة . لقد عالهم بالخبز الجسدى ... والمسيح سيعترف له الأمم واليهود على السواء باستبقاء حياتهم جسداً وروحاً ...

باقة من رسل المسيح وتلاميذهم

- يوحـــنا الرســـول .
- يعقـــوب البـــار .
- لوقـــا الإنجيـــلى .
- أغناطيوس الأنطاكى الشهيد
- فـــيبى .
- بريســـكلاّ .
- تكلا أولى الشهيدات .

يوحـــنا الرســـول

هو ابن زبدى ، وشقيق يعقوب بن زبدى المعروف بيعقوب الكبير ... هو التمليذ الذى كان يسوع يحبه (يو ١٩ : ٢٦) . وهو الذى أتكأ على صدره فى العشاء الأخير... **ويوحنا هو التلميذ الحبيب والرسول واللاهوتى والرائى ... هو الرسول الذى جمع فى شخصه بين حب البتولية والعظمة الحقيقية ، والبساطة القلبية مع المحبة الفائقة العجيبة ...** هو الذى انفرد من بين التلاميذ فى سيره بدون خوف وراء المخلّص فى الوقت العصيب الذى تركه الجميع وانفضّوا من حوله ... كان هو واسطة ادخال بطرس حيث كان الرب يسوع يُحاكم ، نظراً لأنه كان معروفاً عند رئيس الكهنة (يو ١٨ : ١٥ ، ١٦) ... **وهو الوحيد الذى رافق الرب إلى الصليب ، فسلّمه أمه العذراء مريم . ومن تلك الساعة عاشت معه** (يو ١٩ : ٢٥ - ٢٧) ... كان أبوه زبدى يحترف مهنة الصيد ، و يبدو أنه كان فى سعة من العيش ، لأنه كان له اجراء (مر ١ : ٢٠) ، وكانت أمه سالومى بين النساء اللائى كن يخدمن الرب يسوع من أموالهن (مت ٢٧ : ٥٥ ، ٥٦ ؛ مر ١٠ : ٤٠ ، ٤١) ... و يغلب على الظن أن أسرة يوحنا كانت تقيم فى بيت صيدا القريبة من بحر الجليل .

و يبدو أنه تتلمذ بعض الوقت ليوحنا المعمدان ، وكان يتردد عليه (يو ١ : ٣٥ - ٤٢) ... دعاه السيد المسيح للتلمذة مع أخيه يعقوب فتبعه . **وبناءً على رواية القديس جيروم ، فإن يوحنا فى ذلك الوقت كان فى الخامسة والعشرين من عمره .**

كان يوحنا واحداً من التلاميذ المقربين إلى الرب يسوع مع يعقوب أخيه وبطرس ... وكان هو - مع اندراوس - أول من تبعه فى بشارته (يو ١ : ٤٠) ، وآخر من تركه عشية آلامه من بعد موته ... هو الذى انفرد بين الإنجيليين بتسجيل حديث الرب يسوع الرائع عن الافخارستيا (يو ٦) ، ولقائه مع السامرية (يو ٤) ، وموقفه من المرأة الزانية التى أمسكت فى ذات الفعل (يو ٨) ، وشفاء المولود أعمى (يو ٩) ، واقامة لعازر من الموت (يو ١١) ، وصلاة الرب يسوع الوداعية (يو ١٧) ... وكان يوحنا أحد الأربعة الذين سمعوا نبوة المخلص عن خراب أورشليم والهيكل

وانقضاء العالم (مر ١٣ : ٣). وأحد الاثنين اللذين اعدا له الفصح الأخير...

وكان يوحنا واحداً من التلاميذ الثلاثة (بطرس و يعقوب و يوحنا) الذين صحبوا السيد المسيح فى معجزة إقامة ابنة يايروس من الموت (مر ٥ : ٣٧)، وفى حادث التجلى (مت ١٧ : ١)، وفى جشيمانى ليلة آلامه (مت ٢٦ : ٣٧)... وبكرّ مع بطرس وذهب إلى قبر المخلّص فجر أحد القيامة (يو ٢٠ : ٢ - ٥). وكان حماسه وحبه ظاهرين، حتى أنه سبق بطرس ووصل أولاً إلى القبر... وهو الوحيد بين التلاميذ الذى استطاع أن يتعرّف على الرب يسوع حينما أظهر ذاته على بحر طبرية عقب قيامته المجيدة، وقال لبطرس: «هو الرب» (يو ٢١ : ٧). و يذكر أغسطينوس أن عفة يوحنا و بتوليته دون بقية التلاميذ كانت هى سرّ محبة المسيح له.

والقديس يوحنا لم يكن - كما يتصوره البعض شاباً رقيقاً خجولاً - بل كان له وضع بارز فى الكنيسة الأولى... **نقرأ عنه فى الاصحاحات الأولى من سفر الأعمال، ونراه جنباً إلى جنب مع بطرس أكبر الرسل سناً.** نراهما متلازمين فى معجزة شفاء المقعد عند باب الهيكل (أع ٣). وأمام محكمة اليهود العليا (السنهدرين) يشهدان للمسيح (أع ٤). وفى السامرة يضعان أياديهما على أهلها ليقبلوا الروح القدس (أع ٨).

ويبدو أن خدمته الكرازية فى الفترة الأولى من تأسيس الكنيسة كانت فى أورشليم والمناطق القريبة منها. فالتقاليد القديمة كلها تجمع على بقائه فى أورشليم حتى نياحة العذراء مريم التى تسلمها من الرب كأم له ليرعاها... ومهما يكن من أمر فإن يوحنا الرسول - بعد نياحة العذراء مريم - انطلق إلى آسيا الصغرى ومدنها الشهيرة. وجعل اقامته فى مدينة أفسس العظيمة متابعاً ومكملاً عمل بولس الرسول الكرازى فى آسيا الصغرى (أع ١٨ : ٢٤ - ٢٨؛ ١٩ : ١ - ١٢)... وأخذ يشرف من تلك العاصمة القديمة الشهيرة على بلاد آسيا الصغرى ومدنها المعروفة وقتذاك من أمثال ساردس وفيلادلفيا واللاذقية وازمير وبرغامس وثياتيرا وغيرها، وهى البلاد التى وردت إشارات عنها فى سفر الرؤيا...

وبسبب نشاطه الكرازى قبض عليه فى حكم الأمبراطور دومتيان (٨١ - ٩٦)، وارسل مقيداً إلى روما، وهناك القى فى خلقين (مرجل) زيت مغلى. فلم يؤثر عليه، بل خرج منه أكثر نضرة، **مما أثار ثائرة الأمبراطور فأمر بنفيه إلى جزيرة**

بطمس (٤)، ومكث بها حوالى سنة ونصف كتب اثناءها رؤياه حوالى سنة ٩٥ م ... ثم أفرج عنه فى عهد الامبراطور نرفا (٩٦ - ٩٨ م) الذى خلف دومتيان، فقد أصدر مجلس الشيوخ الرومانى قراراً بعودة جميع المنفيين إلى أوطانهم ... وبالافراج عنه عاد إلى أفسس ليمارس نشاطه التبشيرى. **وكل التقاليد القديمة تؤيد بالاجماع نفى يوحنا إلى جزيرة بطمس فى ذلك التاريخ وكتابته رؤياه هناك** ... ومن الآباء والعلماء الذين شهدوا بذلك ايرنياوس وكليمنضس الاسكندرى وترتليانوس واوريجينوس. هذا فضلاً عن الآثار التى مازالت تحتفظ بها جزيرة بطمس حتى الآن.

ومن الألقاب اللاصقة بيوحنا لقب « الحبيب » ... فقد ذكر نفسه انه « التلميذ الذى يحبه يسوع » (يو ١٣ : ٢٣ ؛ ١٩ : ٢٦ ؛ ٢٠ : ٢ ؛ ٢١ : ٧، ٢٠) ... **وقد ظل يوحنا رسول المحبة فى كرازته ووعظه ورسائله وإنجيله. إن كتاباته كلها مفعمة بهذه الروح** ... روى عنه انه لما شاخ ولم يعد قادراً على الوعظ، كان يُحمل إلى الكنيسة و يقف بين المؤمنين مردداً العبارة: **« يا أولادى حبوا بعضكم بعضاً »**. فلما سأم البعض تكرار هذه العبارة وتساءلوا لماذا يعيد هذه الكلمات و يكررها، كان جوابه **لأنها وصية الرب** وهى وحدها كافية لخلاصنا لو اتممناها ... (روى هذه القصة القديس جيروم).

ومن القصص التى تروى عن حبه الشديد لخلاص الخطاة، تلك القصة التى تروى انه قاد إلى الإيمان شاباً، وسلّمه إلى أسقف المكان كوديعة وأوصاه به كثيراً. لكن ذلك الشاب ما لبث أن عاد إلى حياته الأولى قبل إيمانه، بل تمادى فى طريق الشر حتى صار رئيساً لعصابة قطاع طرق ... **عاد يوحنا بعد مدة إلى الأسقف وسأله عن الوديعة.** ولما لم يفهم الأسقف ما يعنيه بالوديعة، ذكّره بذلك الشاب ... **تنهّد الأسقف وقال [لقد مات]! ولما استفسر عن كيفية موته، روى له خبر ارتداده... حزن يوحنا حزناً شديداً، واستحضر دابة ركبها رغم كبر سنه. وصحبه دليل. واخذ يجوب الجبل الذى قيل إن هذا الشاب كان يتخذه مسرحاً لسرقاته... امسك اللصوص يوحنا وقادوه إلى مقدّمهم الذى لم يكن سوى ذلك الشاب!!... تعرّف عليه الشاب، وللحال فرّ من أمامه... وأخذ يوحنا ـ فى**

٤ ـ إحدى جزر بحر ايجه وتقع إلى الجنوب الغربى من مدينة أفسس وتعرف الآن باسم Patoma أو Palmosa ومازال بالجزيرة بعض معالم أثرية عن سكنى يوحنا بها.

شيخوخته- يسرع خلفه وهو يناشده الوقوف رحمة بشيخوخته، وكان يقول له: [لماذا يا ابنى تهرب منى. أنا أبوك غير المسلح الطاعن فى السن. اشفق عليَّ يا ابنيّ، ولا تخف. لازال أمامك أمل فى الحياة. اننى سأقدم للمسيح حساباً عنك. وان لزم الأمر فإنى مستعد لتحمل الموت عنك كما تحمل المسيح الرب الموت عنا. لأجلك ابذل حياتى. قف آمن. المسيح أرسلنى إليك] أما الشاب فعندما سمع وقف أولاً ثم أطرق برأسه إلى الأرض، وفتح ذراعيه وارتعد وبكى بحرقة. ولما أقترب منه العجوز عانقه الشاب معترفاً بخطاياه بنحيب شديد، ومعمداً نفسه مرة أخرى بالدموع، مخبئاً فقط يده اليمنى. ولكن يوحنا قطع له عهداً، مؤكداً أنه سوف ينال المغفرة من المخلص. وتوسل إليه الشاب وجثا على ركبتيه وقبل يده اليمنى نفسها كأنها قد تطهرت وقتئذ بالتوبة، واخذه ثانية إلى الكنيسة. وإذ تشفع من أجله بصلوات حارة، وجاهد معه بأصوام مستمرة، واخضع عقله بأقوال مختلفة، ولم يغادر يوحنا المدينة إلاَّ بعد أن أعاده إلى الكنيسة مقدماً بذلك مثلاً عالياً فى التوبة الصادقة وبرهاناً قوياً على تجديد الحياة، ودليلاً على قيامة من بين الأموات منظورة] (يوسابيوس القيصرى ك٣ ف ٢٣ : ١٧- ١٩).

لكن على الرغم من محبة يوحنا بصفة عامة، ومحبته الشديدة للخطاة بصفة خاصة، فقد كان يمقت الهراطقة جداً. ويظهر هذا واضحاً فى رسائله المليئة بالتحذير من الهراطقة والمبتدعين فى الدين... يقول فى رسالته الثانية: «كل من تعدّى ولم يثبت فى تعليم المسيح فليس له الله. ومن يثبت فى تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعاً. إن كان أحد يأتيكم ولا يجيء بهذا التعليم فلا تقبلوه فى البيت، ولا تقولوا له سلام. لأن من يُسلّم عليه يشترك فى أعماله الشريرة» (٢يو ٩- ١١)... ذكر عنه أنه دخل يوماً حماماً فلما وجد فيه كيرنثوس الهرطوقى الغنوسى الذى انكر تجسد الرب صاح فى المؤمنين لا تدخلوا حيث عدو المسيح، لئلا يهبط عليكم الحمام. قال ذلك وخرج يعدو أمامهم فخرجوا وراءه مذعورين (٥) !!

ويشير بولس الرسول إلى وضع يوحنا المتميّز فى الكنيسة الأولى، فيذكره على أنه أحد أعمدة الكنيسة وانه من رسل الختان (غل ٢ : ٩)... «فإذ علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أهم أعمدة أعطونى وبرنابا عين الشركة

٥ - يروى هذه القصة ايريناوس على أنه سمعها من بوليكربوس تلميذ يوحنا الرسول نفسه.

لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان » .

و يذكر بوليكراتس Polycrates أسقف أفسس أواخر القرن الثانى أن يوحنا كان يضع على جبهته صفيحة من الذهب ، كالتى كان يحملها رئيس أحبار اليهود (خر ٢٨ : ٣٦ ، ٣٧ ؛ ٣٩ : ٣٠ ، ٣١) ، ليدل بذلك على أن الكهنوت قد انتقل من الهيكل القديم إلى الكنيسة ... لكن مع ذلك ، نستدل من مواقفه وكتاباته انه كان معتدلاً وغير متطرف ...

ومما يذكر عن يوحنا انه كان يروّض نفسه أحياناً بأمور لا تتنافى مع الوقار. حدث ذات يوم انه كان يداعب حِجْل داجن (نوع من الطير المنزلى) أن مرّ به صياد ، فوقف تجاهه متعجباً مما يفعله شيخ فى مثل سنه . فقال له الرسول : ما هذا الذى بيدك ، فأجابه الصياد [قوس] ، فقال له : [لماذا لا تبقيها على الدوام مشدودة] ، فأجاب الصياد : [إن دام الوتر مشدوداً ينقطع] . فأجابه الرسول : [هكذا شأن العقل ولذلك أروّضه أحياناً ليجد راحة] ... إن البساطة واللعب الذى ماثل يوحنا بهما الأطفال يرتبطان دائماً بعظمة الإنسان فى عقله . **(روى هذه القصة يوحنا كسيان من القرن الخامس) .**

أخيراً رقد فى هذا الرسول العظيم فى الرب فى شيخوخة وقورة حوالى سنة ١٠٠ م بعد أن دون لنا الإنجيل والرؤيا والرسائل الثلاث التى تحمل اسمه ... ودفن فى مدينة أفسس بحسب رواية بوليكراتس أسقف أفسس أواخر القرن الثانى (يوسابيوس القيصرى ك٣ ف ٣١) ...

إنجيـــل يوحـــنا :

الإنجيل الرابع هو إنجيل يوحنا ، وقدس أقداس كتاب العهد الجديد ... يشبهه كلمينضس الاسكندرى بالروح بينما الأناجيل الثلاثة الأخرى هى الجسد . ويدعوه اوريجينوس [تاج الأناجيل كما أن الأناجيل هى تاج جميع الكتابات المقدسة] .

التلميذ المحبوب ، الذى كان يتكىء على صدر المسيح ، الذى أوكل إليه العناية بأمه ، الذى عمر أكثر من جميع الرسل ، هيأته النعمة أن يقدم للكنيسة أعماق رب

المجد ... لقد امتص فى شبابه المبكر أعمق كلمات سيده، وحفظها فى قلبه الأمين ككنز ثمين. وفى شيخوخته المتقدمة، استعادها بالهام الروح القدس الحال فيه، وإرشده إلى كل الحق. ولذا يكتب فى رسالته الأولى: «**الذى سمعناه الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة**» (١ يو ١ : ١).

والتقاليد القديمة المعتبرة تجعل الهرطقة الغنوسية هى التى دفعت يوحنا لأن يكتب إنجيله وكان ذلك بناء عن طلب والتماس اساقفة وكهنة الأقاليم المجاورة لأفسس حيث كان يقيم... فطلب إليهم أن يصوموا معه مدة ثلاثة أيام ويصلوا إلى الله. وكان بعدها أن الهمه الوحى الإلهى، فاستفتح حبله بالكلمات: «**فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله...**» (يو ١ : ١).

حين ننتقل من بشارة إلى أخرى فى نطاق البشائر الثلاث الأولى، لا نشعر بتغيير جوهرى. لكن ما أن ننتقل من أيها إلى إنجيل يوحنا، حتى نستنشق عبيق جو آخر مختلف... إن إنجيل يوحنا هو الذى رفع الحجاب عن قدس الأقداس، وكشف مجد الابن الوحيد المملوء نعمة وحقاً... وصدق القديس أغسطينوس فى تصويره حينما قال: [لقد سار الإنجيليون الثلاثة الآخرون مع الرب على الأرض كما مع إنسان، ولم يذكروا إلاّ القليل عن لاهوته. أما يوحنا، فكما لو كان يأبى السير على الأرض، يُدوّى فى فاتحة إنجيله ـ ليس فوق الأرض وكل دائرة الهواء والسماء فحسب، بل حتى فوق كل جيش الملائكة وكل رتب القوات غير المرئية، ويصل إلى ذاك الذى به كان كل شىء].

ليس إنجيل آخر بين الأناجيل أكثر عمقاً ... كلامه مفهوم وإن كان مُفعماً بالأسرار. هو بسيط كطفل سامياً كالسيرافيم، ووديعاً كحمل جريئاً كنسر، عميقاً كبحر، عالياً كالسموات... لقد كُتب آخر القرن الأول، وكأنه شمس الغروب الذهبية لعصر الالهام الرسولى، وقد مدّت خيوطها إلى كل أجيال الكنيسة ...

ويوحنا لا يهدف إلى سرد تاريخ كامل لحياة السيد المسيح بالجسد، وإلاّ كان تكراراً لما سجّله الإنجيليون الثلاثة الذين سبقوه إلى الكتابة... يوحنا نفسه يذكر ذلك صراحة: «وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا

الكتاب » (يو ٢٠ : ٣٠ بالقارنة مع ٢١ : ٢٥) . أما السبب الذى حمله على الكتابة فهو « لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله . ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه » (يو ٢٠ : ٣١) ... لقد صاغ يوحنا إنجيله تبعاً لحالة الكنيسة واحتياجاتها أواخر القرن الأول ، مفتداً البدع التى ظهرت فى ذلك الوقت ...

وإنجيل يوحنا هو إنجيل التجسّد « الكلمة صار جسداً » ، ويبدأ انجيله بالكلام عن أزلية الكلمة (اللوغوس) ... وهو إنجيل الحب ، وفيه وحده تقرأ الآية الذهبية : « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (٣ : ١٦) ... ونقرأ عن الوصية الجديدة « وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً ، كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً » (يو ١٣ : ٣٤) ..

رســــائلــه :

وجوهر رسائله المحبة واثبات ضلال الهراطقة ... « من يحب أخاه يثبت فى النور وليس فيه عثرة . وأما من يبغض أخاه فهو فى الظلمة ، وفى الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضى لأن الظلمة اعمت عينيه » (١ يو ٢ : ١٠ ، ١١) ... « أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله » (١ يو ٣ : ١) ... « أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هى من الله وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله . ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة » (١ يو ٤ : ٧ ، ٨) . وأما عن رده على ضلالات الهراطقة فنلمسها مما كتبه « أيها الأولاد هى الساعة الأخيرة ، وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتى قد صار الآن اضداد للمسيح كثيرون ... منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا ، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا » (١ يو ٢ : ١٨ ، ١٩) ... « أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح ، بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم . بهذا تعرفون روح الله . كل روح يعترف بيسوع المسيح انه قد جاء فى الجسد فهو من الله . وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فليس من الله » (١ يو ٤ : ١ - ٣) .

الرؤيـــا :

أما عن الرؤيا التى أعلنت له فى جزيرة بطمس ودونها لنا فى آخر أسفار الكتاب المقدس **فإنها تتضمن ثلاثة أمور جوهرية :** الاصحاحات الأولى تحتوى على انذارات ونصائح لرعاة كنائس آسيا السبعة. والثلاثة اصحاحات الأخيرة تحتوى على نبوءة بانتصار المسيح والدينونة الأخيرة وسعادة الأبرار. أما الأصحاحات التى بين هذه وتلك فهى تحوى كتابات رمزية أو أسفاراً مختومة اختلف المفسرون فى تفسيرها لكنها تتحدث عن مستقبل الكنيسة، وما هو عتيد أن يحل بها من ضيقات ... ونستطيع أن نلخص سفر الرؤيا بأنه سفر الرجاء، وسفر النصرة، وسفر التسبيح، وسفر السماء وأورشليم الجديدة بكل أمجادها ...

يعقـــوب البـــار

هو يعقوب بن حلفى احد الاثنى عشر رسولاً ، **وهو أحد الأعمدة الثلاثة لكنيسة الختان حسبما دعاه القديس بولس الرسول** (غل ٢ : ٧ - ٩) **... عرف باسم يعقوب أخى الرب لأنه ابن خالته بالجسد من مريم زوجة كلوبا (شقيقة العذراء مريم). فكلمة «حلفى» آرامية ويقابلها «كلوبا» فى اليونانية.**

وعرف باسم يعقوب الصغير (مر ١٥ : ٤٠) تمييزاً له عن يعقوب الكبير بن زبدى. **وعرف أيضاً باسم يعقوب البار نظراً لقداسة سيرته وشدة نسكه. كما عرف باسم يعقوب أسقف أورشليم، لأنه أول أسقف لها.**

وقد اثير جدل حول شخصيته ، وحول اللقب الذى عرف به « أخ الرب » ... وهناك ثلاثة آراء بخصوص المذكورين فى العهد الجديد اخوة الرب «يعقوب و يوسى وسمعان و يهوذا» (مت ١٣ : ٥٥) :

١ - رأى يقول انه ابن ليوسف ومريم بعد ميلاد رب المجد يسوع ... قال بهذا الرأى ترتليانوس وهو من المونتانيين الهراطقة. وبعده قال بهذا الرأى شخص هرطوقى يدعى هلفيديوس Helvidius من روما سنة ٣٨٠م، مما دعا القديس جيروم أن يرد عليه برسالة قوية سنة ٣٨٣م، فند فيها كل هذه الادعاءات الباطلة. وفى هذا

الرد دعا جيروم كلاً من ترتليانوس وهلفيديوس منشقين على الكنيسة الجامعة ... **وهذا الرأى هو رأى البروتستانت. وهو يتناقض مع روح الكتاب المقدس ونصوصه، وعقيدة الكنيسة الجامعة منذ عصرها الرسولى. وكنيستنا ترفض هذا الرأى وتشجبه، لأن العذراء مريم ظلت عذراء أيضاً بعد ولادة المسيح.** فهى «العذراء كل حين». وهى لم تعرف يوسف خطيبها معرفة الزواج قبل وبعد ميلاد المخلّص.

رأى ثانٍ يقول ان المذكورين فى الأناجيل اخوة الرب، هم فى الحقيقة أبناء ليوسف النجار من زوجة سابقة توفيت قبل خطبته لمريم العذراء ... وقد ظهرت هذه النظرية إلى عالم الوجود فى كتابات الابوكريفا (الغير قانونية) المنسوبة للقديس يعقوب اخى الرب، ومنها إنجيل يعقوب المعروف باسم Protoevangeliam (ف ٩) ... وقد أخذ بهذا الرأى بعض الآباء الشرقيين- وهذا هو رأى الكنيستين اليونانية والسريانية ... وهذا الرأى -على ما فيه من أخطاء وثغرات لا محل للرد عليها ههنا- فإنه لو كان هؤلاء المدعون اخوة الرب أولاداً ليوسف من زوجة سابقة، لكانوا أكبر من الرب يسوع سناً. وفى هذا هدم لنصوص الكتاب ونبوات العهد القديم.

٣ - الرأى الثالث - وهو رأى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية والكنيسة اللاتينية أيضاً، بأن يعقوب هذا هو عينه ابن حلفى (كلوبا)، وابن خالة السيد المسيح بالجسد من مريم أخرى شقيقة العذراء مريم، وذلك استناداً لما جاء فى الإنجيل المقدس (أنظر يو ١٩: ٢٥ بالقارنة مع لو ٢٤: ١٠؛ مر ١٥: ٤٠) ... وقد دافع عن هذا الرأى بحماس كبير كل من القديس جيروم والقديس أغسطينوس. والجعيب أن هذا الرأى الثالث يدافع عنه حالياً كثير من العلماء البروتستانت ... وفضلاً عن ذلك، فليس أول على صحة هذا الرأى من أن التقليد الكنسى القديم فى العالم كله، يجعل منهما -يعقوب بن حلفى و يعقوب أخا الرب- شخصاً واحداً.

ولم يقف الجدل بخصوص شخصية هذا الرسول عند هذا الحد، بل لقد اثير جدل حول وضعه فى الكنيسة الأولى من جهة رسوليته: هل كان رسولاً من الاثنى عشر أم لا ... فريق يؤكد رسوليته على اعتبار أنه ابن حلفى المذكور فى قوائم الرسل، وفريق يدعى أنه شخص آخر، وبالتالى ليس من الاثنى عشر ... بل ذهبوا إلى ابعد من هذا، فقالوا بل انه لم يؤمن بالسيد المسيح إلاّ بعد قيامته المقدسة من بين

الأموات، وظهوره له ظهوراً خصوصياً على نحو ما حدث لشاول الطرسوسي (بولس الرسول) قرب دمشق... ويستند أصحاب هذا الرأى الأخير إلى ما جاء فى (يو ٧ : ٥) «لأن اخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به»، بالمقارنة مع ما قاله بولس الرسول فى (١ كو ١٥ : ٧) من ظهور الرب يسوع ليعقوب بعد قيامته المجيدة!!

لكن ليس فى هذا ما يثبت هذا الزعم. فقول يوحنا ان اخوة الرب يسوع لم يكونوا يؤمنون به، لا يعنى عدم الإيمان كلية. لكن العبارة تحمل معنى عدم الإيمان الكامل بلاهوته. وهذا الأمر له نظير فيما يختص بالرسل أنفسهم الذين قيلت عنهم أقوال مشابهة (مت ١٧ : ١٧؛ مر ٤ : ٤٠؛ ٩ : ١٩؛ ١٦ : ١٤؛ لو ٨ : ٢٥؛ ٩ : ٤١؛ ١٧ : ٥؛ ٢٤ : ٢٥؛ يو ٦ : ٦٤ وأيضاً موقف تلميذى العمواس فى لوقا ٢٤ : ١٣ - ٢٧)... أما عن الآية التى أوردها القديس بولس الخاصة بظهور الرب له (١ كو ١٥ : ٣ - ٧)، فنقول إن ظهور الرب ليعقوب بعد قيامته ليس فيه أى دليل على أنه كان غير مؤمن ثم آمن بواسطة هذا الظهور كما فى حالة القديس بولس الرسول. لأنه يوجد كثيرون أظهر الرب لهم ذاته بعد قيامته. فلماذا يكون يعقوب هو الوحيد بين هؤلاء جميعاً الذى كان غير مؤمن ثم آمن بسبب هذا الظهور!!

أما عن هذا الظهور الذى خصّ به يعقوب، فهناك رأى قديم بخصوصه أورده كاتب إنجيل العبرانيين الابوكريفا (غير القانونى) - هو من أقدم الأناجيل الابوكريفا وأقلها مجانبة للصواب - ويتلخص فى أن يعقوب لما علم بموت المخلّص على الصليب، تعاهد ألاّ يذوق طعاماً إلى أن يقوم الرب من بين الأموات. وحدث فى صبيحة يوم القيامة أن الرب تراءى له وقدم له خبزاً وقال له: «قم يا أخى تناول خبزك لأن ابن البشر قام من بين الراقدين. وقد أورد هذا الاقتباس القديس جيروم فى كتابه «مشاهير الرجال»... وجدير بالذكر ان كاتب إنجيل العبرانيين يجعل من يعقوب بن حلفى ويعقوب أخ الرب شخصاً واحداً.

يؤكد رسولية هذا القديس وانه من الاثنى عشر، نص صريح ذكره القديس بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية. يذكر بولس زيارته الأولى لأورشليم بعد إيمانه فيقول: «ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس، فمكثت عنده خمسة عشر يوماً، ولكننى لم أرَ غيره من الرسل إلاّ يعقوب أخا الرب»

(غل ١ : ١٨، ١٩) ... وواضح من هذه الآية أن يعقوب أخا الرب رسول نظير بطرس والآخرين.

رأس هذا القديس كنيسة أورشليم، وصار أسقفاً عليها، واستمر بها إلى وقت استشهاده. لا يعرف بالضبط متى صار أسقفاً على أورشليم. لكن هناك رأياً يقول ان ذلك كان سنة ٣٤م. وهذا التاريخ يتفق تقريباً مع شهادة القديس جيروم التى ذكر فيها ان يعقوب ظل راعياً لكنيسة أورشليم نحو ثلاثين سنة... وعمله الرعوى كأسقف على أورشليم يوضح لنا حكمة الكنيسة الأولى فى وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب... **لقد كان هذا الرسول يتمتع بشخصية قوية بحكم صلة القرابة الجسدية بالرب يسوع، فضلاً عن تقواه الشديدة ونسكياته الصارمة. ومن هنا فقد تمتع بسلطان كبير بين اليهود المتنصرين، بل تمتع بمكانة كبيرة بين اليهود أنفسهم،** ولذا فقد اسندت إليه المهام الرعوية فى أورشليم معقل اليهود فى العالم كله، وإليها يفد الآلاف منهم، ليكون كارزاً لهم... وبناء عن تقليد قديم ذكره ابيفانيوس، كان يعقوب يحمل على جبهته صفيحة من الذهب منقوش عليها عبارة «قدس للرب» على مثال رئيس أحبار اليهود.

تمتع هذا الرسول بمكانة كبيرة فى كنيسة الرسل، فقد رأس أول مجمع كنسى سنة ٥٠ م وهو «مجمع أورشليم»، الذى عرض لموضوع تهوّد الأمم الراغبين فى الدخول إلى الإيمان (أع ١٥). وكان الرأى الذى نادى به فى المجمع فيه فصل الخطاب بالنسبة لهذا الموضوع، الذى كان يعتبر موضوع الساعة وقتذاك. بل يبدو أنه هو الذى كتب بنفسه صيغة قرار المجمع. فقد لاحظ العلماء تشابهاً بين أسلوب القرار واسلوب الرسالة التى كتبها فيما بعد وهى رسالة يعقوب، مما يدل على أن كاتبها شخص واحد.

والرسول بولس يذكره أحد أعمدة كنيسة الختان الثلاثة، الذين اعطوه وبرنابا يمين الشركة ليكرزا للأمم، بل ويورد اسم يعقوب سابقاً لاسمى بطرس ويوحنا، مما يدل على مكانته (غل ٢ : ٩)... ويؤيد هذه المكانة أيضاً **الخوف والارتباك اللذان لحقا ببطرس فى إنطاكية لمجرد وصول اخوة من عند يعقوب!! الأمر الذى** جعله يسلك مسلكاً ريائياً، وبّخه عليه بولس علانية (غل ٢ : ١١- ١٤)!!

أما عن نسكه فقد أفاض فى وصفه هيجيسبّوس Hegesippus (أحد علماء القرن الثانى المسيحيين) وقال انه كان مقدساً من بطن أمه لم يَعْلُ رأسه موسى، لم يشرب خمراً ولا مسكراً وعاش طوال حياته نباتياً لم يأكل لحماً... وكان لباسه دائماً من الكتان. وكان كثير السجود حتى تكاثف جلد ركبتيه وصارت كركبتى الجمل!!... وبسبب حياته المقدسة ونسكياته ومعرفته الواسعة للكتب المقدسة وأقوال الأنبياء نال تقديراً كبيراً من اليهود، وآمن على يديه كثيرون منهم فى مدة رئاسته لكنيسة أورشليم. **بل ان يوسيفوس المؤرخ اليهودى الذى عاصر خراب أورشليم، لم يتردد عن الاعتراف بأن ما حل بأمته اليهودية من نكبات ودمار أثناء حصار أورشليم، لم يكن سوى انتقام إلهى لدماء يعقوب البار التى سفكوها!! لكن انعكاف اليهود نحو هذا القديس آثار حنق رؤساء كهنة اليهود وجماعة الكتبة والفريسيين، وفعولوا على التخلص منه...**

أما الطريقة التى استشهد بها فيذكرها هيجيسبّوس، و يؤيده فيها كليمنضس الاسكندرى... أوقفه اليهود فوق جناح هيكلهم ليشهد أمام الشعب اليهودى ضد المسيح. لكنه خيّب ظنهم وشهد عن الرب يسوع أنه هو المسيا، فهتف الشعب «أوصنا لابن داود». وكان نتيجة ذلك أنهم صعدوا وطرحوه إلى أسفل. أما هو فجثا على ركبتيه يصلى عنهم، بينما اخذوا يرجمونه، وكان يطلب لهم المغفرة... **وفيما هو يصلى تقدم قصّار ملابس وضربه بعصا على رأسه فأجهز عليه ومات لوقته. وكان ذلك سنة ٦٢ أو سنة ٦٣م بحسب رواية يوسيفوس والقديس جيروم...**

وقد خلّف لنا هذا الرسول الرسالة الجامعة التى تحمل اسمه، والتى ابرز فيها أهمية أعمال الإنسان الصالحة ولزومها لخلاصه إلى جانب الإيمان... «ما المنفعة يا اخوتى إن قال أحد إن له إيماناً ولكن ليس له أعمال. هل يقدر الإيمان أن يخلّصه... **هكذا الإيمان أيضاً إن لم يكن له أعمال ميت فى ذاته.** لكن يقول قائل أنت لك إيمان وأنا لى أعمال. أرنى إيمانك بدون أعمالك، وأنا أريك بأعمالى إيمانى. أنت تؤمن أن الله واحد. حسناً تفعل. والشياطين يؤمنون و يقشعرون. ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل ان الإيمان بدون أعمال ميت...» (يع ٢: ١٤ - ٢٠)... «أنتم الذين لا تعرفون أمر الغد. لأنه ما هى حياتكم، إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل... من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له» (يع ٤:

١٤ ، ١٧) . « أعلى أحد بينكم مشقات فليُصَلِّ . أمسرور أحد فليرتل . أمريض أحد بينكم فليدعُ قسوس الكنيسة فيصلوا عليه و يدهنوه بزيت باسم الرب . وصلاة الإيمان تشفى المريض ، والرب يقيمه ، وإن كان قد فعل خطية تغفر له » (يع ٥ : ١٣ - ١٥) ... **وكان حماسه لخلاص الخطاة عظيماً** يقول : « أيها الاخوة إن ضل أحد بينكم عن الحق فردّه أحدٌ ، فليعلم أن من ردّ خاطئاً عن ضلال طريقه يُخلّص نفساً من الموت و يستر كثرة من الخطايا » (يع ٥ : ١٩ ، ٢٠) ... **أما عن زمن كتابة هذه الرسالة فهناك رأى يقول إنها كتبت فى الأربعينيات من القرن الأول قبل مجمع أورشليم ، ورأى آخر يقول انه كتبها قبيل استشهاده بزمن قصير.**

كما خلف لنا هذا الرسول الليتورجيا (صلاة القداس) التى تحمل اسمه والتى انتشرت فى سائر الكنائس . والتقليد الكنسى يجمع على صحة نسبتها إليه .

لوقــا الإنجيــلى

هو ثالث الإنجيليين ، وكاتب سفر أعمال الرسل ، ورفيق القديس بولس فى أسفاره وكرازته واتعابه ... والتاريخ لا يمدنا بمعلومات عن حياته السابقة قبيل تعرّفه على بولس الرسول ...

و يبدو أن التقليد القديم الذى يقول انه كان من السبعين رسولاً - وهو رأى ابيفانيوس فى القرن الرابع - وانه أحد تلميذى عمواس اللذين التقى بهما الرب عشية قيامته أمر مشكوك فيه ... والأرجح أنه كان أنطاكياً أممياً وليس يهودياً ... هكذا شهد يوسابيوس المؤرخ الكنسى فى تاريخه (ك ٣ ف ٤ : ٧) . وهكذا تقول كل التقاليد القديمة . ولعل مما يؤكد ذلك ملاحظتان : فلوقا يعطينا معلومات أكثر من غيره عن كنيسة أنطاكية (أع ١١ : ١٩ - ٣٠ ؛ ١٣ : ١ - ٣ ، ٢٢ - ٣٥) ، و يرجع أساس تسمية « مسيحى » إلى أنطاكية (أع ١١ : ١٩) ؛ كما أنه حينما يذكر السبعة شمامسة ، يذكر نيقولاوس أنه أنطاكى (أع ٦ : ٥) ، دون أن يذكر جنسية أى شماس آخر ... **وهو باعترافه لم يعاين الرب يسوع بالجسد ، وانه اعتمد فى كتابة إنجيله على ما تسلمه ممن سبقوه ، وعلى ما كان مكتوباً وشائعاً** « إذ كان كثيرون

قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة » (لو ١ : ١ ، ٢) .

أما كون لوقا اممياً - فبالاضافة إلى التقليد الكنسى القديم- نرى القديس بولس -فى رسالته إلى أهل كولوسى يذكره ضمن الأمميين ... يقول : « يسلّم عليكم ارسترخس المأسور معى ومرقس ابن أخت برنابا ... و يسوع المدعو يسطس الذين هم من الختان ... يسلّم عليكم ابغراس .. **يسلّم عليكم لوقا الطبيب الحبيب وديماس** » (كو ٤ : ١٠- ١٤) ... ونلاحظ هنا أن بولس يذكر بعض أسماء فى الأول و يقول عنهم إنهم من الختان أى يهود ، أما الباقون -ومنهم لوقا- فمن الأمم ...

وهناك رأى آخر يجعل من لوقا أممياً أهتدى إلى اليهودية . ولعل مصدر هذا الرأى هو الخلط بين إسم لوقا وإسم لوكيوس الوارد فى (أع ١٣ : ١) . وكلاهما يرجع إلى أصل لغوى واحد .

والأرجح أن لوقا كان أممياً واهتدى إلى الإيمان المسيحى على يد أحد التلاميذ الذين نزحوا من أورشليم وقصدوا انطاكية فى وقت مبكر حوالى سنة ٣٦ م عقب التشتت الذى حدث بعد مقتل استفانوس (أع ٨ : ٤) ... **وإن كان البعض يرجحون أنه آمن بالمسيح على يد بولس الرسول. وهذا هو رأى العلامة ترتليانوس من القرن الثانى.**

ومهما يكن من أمر ، فالثابت من رواية سفر الأعمال - وكاتبه هو القديس لوقا- انه التقى بالقديس بولس أثناء رحلته التبشيرية الثانية فى مدينة ترواس عقب الرؤيا التى أعلنت لبولس ورأى فيها رجلاً مكدونياً يقول له : « اعبر إلى مكدونيا واعنا » (أع ١٦ : ٩) ... و يبدو أنه رافق بولس إلى مدينة فيلبى لأنه - فى سفر الأعمال- يتكلم بعد ذلك مباشرة بصيغة المتكلم الجمع بعد أن كان يتكلم بصيغة الغائب الجمع ... » وبعدما اجتازوا فى فريجية وكور غلاطية منعهم الروح القدس أن يتكلموا بالكلمة فى آسيا .. » وبعد أن ظهرت الرؤيا لبولس يقول لوقا « فلما رأى (بولس) الرؤيا للوقت طَلَبْنَا أن نخرج إلى مكدونية متحققين أن الرب قد دعانا لنبشرهم » (أع ١٦ : ٦ ، ١٠) ...

ومن متابعة ودراسة سفر الأعمال واستخدام ضمير المتكلم الجمع بدل ضمير الغائب، نستنتج أن لوقا بعد سبع سنين من لقاء ترواس، التقى ببولس مرة أخرى فى فيلبى فى رحلته الأخيرة إلى أورشليم. ويبدو أن لوقا كان مرافقاً لبولس فى رحلته إلى أورشليم أو على الأقل قريباً منه ... **كما كان قريباً منه مدة السنتين اللتين أسر خلالهما فى قيصرية. كما رافقه فى رحلته الأخيرة إلى روما حينما ذهب إليها مخفوراً. وبقي بالقرب منه هناك مدة الأسر الأول والثانى ... وظل الخادم الأمين والصديق الوفى لبولس إلى النهاية ...** ففى آخر رسالة كتبها بولس من سجنه فى روما - وهى رسالته الثانية إلى تيموثاوس يقول: «لوقا وحده معى» (٢تى ٤: ١١).

أما عن بقية حياة لوقا فلا نعلم عنها شيئاً على وجه التحقيق. وهذا دليل على ما اتصف به هذا الرسول من اتضاع ... لأنه على الرغم من أنه كتب الإنجيل الثالث، ووضع سفر «أعمال الرسل» وذكر ببعض الأسهاب ما حدث لبولس فى حياته الكرازية، فإنه اغضى عن ذكر نفسه وسكت عن أعماله، حتى لقد ترك شيئاً من الشك يحوم حول شخصهُ والرسالة التى اضطلع بها ...

وتذكر بعض التقاليد القديمة انه عمر حتى سن الرابعة والثمانين، وانه مات مصلوباً على شجرة زيتون فى إيليا ببلاد اليونان ... ويذكر القديس جيروم أن ذخائره - مع ذخائر اندراوس الرسول - نقلت من تبرا فى اخائية إلى كنيسة الرسل فى القسطنطينية.

خلّف لنا لوقا الإنجيل الذى يحمل اسمه، الذى اعتمد فى كتابته على وثائق ثابتة مكتوبة وعلى ما استقاه من التقليد الشفوى الثابت، ويأتى فى مقدمتها ما سمعه من البتول القديسة مريم. ويؤيد هذا تقليد كنسى قديم ... ولا يعرف على وجه الدقة الوقت الذى كتب فيه لوقا إنجيله، لكنه على أية الحالات كتب قبل سنة ٧٠م وهى سنة خراب أورشليم وهيكلها لأنه يذكر فى (ص ٢١) نبوءة المسيح عن خراب أورشليم مما يدل على أنه لم يكن قد حدث بعد ... وهناك دلالات قوية على كتابته بين عامى ٥٨، ٦٣م.

اختُلف فى مكان كتابة الإنجيل لكنه دونه وقدمه مع سفر الأعمال لشخص

اسكندرى يدعى ثاوفيلس (محب الله). ويبدو أن ثاوفيلس هذا كان يشغل مركزاً اجتماعياً ملحوظاً، ويحتمل انه كان فى خدمة الدولة، كما يظهر من لقب عزيز الذى يخاطب به لوقا (هو نفس اللقب الذى استخدمه بولس فى خطابيه أمام فيلكس وفستوس الواليين الرومانيين فى قيصرية أع ٢٣: ٢٦؛ ٢٤: ٣؛ ٢٦: ٢٥)... والثابت أن ثاوفيلس هذا كان متنصراً أو موعوظاً يستعد للعماد، ويتضح هذا من قول القديس لوقا له: «لتعرف صحة الكلام الذى وعظت به» (لو ١: ٤).

كتب لوقا إنجيله للأمميين لا سيما اليونانيين، لذا فهو يشرح بإيجاز للقراء الأمميين موقع المدن الفلسطينية والمسافات بينها وبين أورشليم (لو ١: ٢٦؛ ٤: ٣١؛ ٢٣: ٥١؛ ٢٤: ١٣). كما أنه لا يرجع إلى نبوات ويشير إلى اتمامها فى شخص الرب يسوع على نحو ما يفعل متى فى إنجيله، لكنه يقدم نظرة عامة وشاملة على المسيح كمخلص جميع البشر، ومتمم اشتياقات كل قلب... ومن هنا فإن سلسلة نسب المسيح يرجعها لوقا -لا إلى إبراهيم كما فعل متى- بل إلى آدم ابن الله وأب جميع البشر (لو ٣: ٣٨)... كما يهتم لوقا اهتماماً خاصاً بابراز أن المسيح مخلص الأمم أيضاً... وهو الوحيد من بين البشيرين الذى ذكر ارسالية السبعين رسولاً الذين يمثلون الأمم الوثنية مقابل الرسل الاثنى عشر الذين يمثلون أسباط إسرائيل الاثنى عشر (لو ١٠: ١) **ولوقا فى إنجيله يظهر المسيح الإنسان فى ملء بشريته، وانه مثلنا فى كل شيء ما خلا الخطية. ويصوّره فى كل البشارة على أنه صديق الخطاة الرحيم، شافى المرضى، مُعزّى منكسرى القلوب وراعى الخروف الضال...**

كما كتب لوقا سفر أعمال الرسل - باجماع الكنيسة الأولى- وهو تكملة للإنجيل الثالث... ويسجل لوقا فى انجيله حياة المسيح وأعماله، أما فى سفر الأعمال فيسجل عمل الروح القدس الذى نلمسه ظاهراً ملموساً فى كل خطوة.... فكلمة «الروح» و«الروح القدس» تتكرر مراراً عديدة فى سفر الأعمال أكثر من أى سفر آخر فى العهد الجديد.

وسفر أعمال الرسل كتاب مفرح كالإنجيل الثالث. فهو مملوء من الغيرة الرسولية والرجاء، ويسجل التوفيق والنجاح. وحتى الاضطهاد والاستشهاد يحولهما إلى مناسبة للفرح والشكر!! انه أول تاريخ للكنيسة الأولى. ولذا يعتبر لوقا أول مؤرخ كنسى...

ولا شك أن كتابته احتاجت لسنوات عديدة لتجميع المعلومات التى كان لوقا شاهد عيان لها حينما كان رفيقاً لبولس فى الخدمة والأسفار... ويبدو أنه انتهى من كتابته عقب الأسر الأول للقديس بولس فى روما مباشرة، وقبيل الاضطهاد المروع الذى أثاره نيرون والذى استشهد فيه بولس، لأنه لا يذكر عنه شيئاً.

كان لوقا - قبل ايمانه بالمسيح - يمارس مهنة الطب. هكذا يذكره بولس إلى أهل كولوسى «لوقا الطبيب» (كو ٤ : ١٤)... لذا لا تعجب إن رأيناه فى إنجيله يظهر الرب يسوع كطبيب للبشرية ومخلّص العالم... **كما جاء فى التقاليد الكنسية القديمة أن لوقا كان فناناً، وإليه ينسب رسم أول صورة للسيدة العذراء مريم.**

أغناطيوس الأنطاكى الشهيد

هو أسقف انطاكية الشهيد الشهير، وهو من أشهر الآباء الرسوليين أى تلاميذ الرسل. يُلقب «بالثيؤفوروس» ومعناها (حامل الإله). وهى الكلمة اليونانية Theophorus بالنبرة على المقطع الثانى. أما إذا وضعت النبرة على المقطع الأول من هذه الكلمة فإن معناها يصبح (مَنْ حمله الله)... لجأ إلى هذا المعنى الثانى بعض المتأخرين فى العصور الوسطى للتدليل على أن أغناطيوس هو الطفل الذى أقامه الرب يسوع وسط تلاميذه ليلقنهم درساً فى الاتضاع (مت ١٨ : ٢، ٣). **لكن القديس يوحنا ذهبى الفم الانطاكى المولد، يؤكد أن أغناطيوس لم يَرَ المسيح.**

وهذا اللقب « ثيئوفوروس » لم تخلعه الكنيسة على هذا القديس، بل هو الذى أطلقه على ذاته أثناء محاكمته التى سبقت استشهاده... فعندما مثل أمام والى سوريا، إبان الاضطهاد الذى أثاره الامبراطور الرومانى تراجان، سأله الوالى وأجاب على النحو التالى:

+ من أنت أيها الشقى الشرير حتى تعصى أوامرى وتحرّض الآخرين على ذلك أيضاً فتجعلهم يهلكون؟

+ **لا يكون شريراً من يلقب بالثيؤفوروس (حامل الإله).** لأن الأرواح الشريرة تبتعد عن خدام الله. ولكن إن كنت فى نظر الأرواح الشريرة أننى شرير،

فذلك لأنى عدو لهم . وهذا أوافقك عليه . لأنه طالما معى السيد المسيح ملك السماء فسأبيد كل مكائدهم .

+ وماذا تقصد بحامل الإله (ثيئوفوروس) .

+ أن يكون السيد المسيح فى قلبه .

والكنيسة السريانية تدعو القديس أغناطيوس « بالنورانى » لأنه رأى الملائكة النورانيين يسبّحون الله فى فرقتين ، فأدخل هذا النظام فى كنيسته ، وعنه أخذت الكنائس الأخرى . وكان أول من فعل ذلك (ذكر ذلك سقراط المؤرخ الكنسى) .

لا نعرف شيئاً عن حياته الأولى ، لكن يبدو انه كان وثنياً ، ثم آمن بالمسيح على يد أحد المبشرين الأوائل الذين وفدوا على انطاكية .

أما عن أسقفيته فهناك من يحاول أن يجعل منه تلميذاً للرسول بطرس وبولس ويوحنا !! قال البعض انه أول أسقف على انطاكية خلفاً لبطرس الرسول أسقفها الأول !! وقيل بل هو الخليفة الثانى لمار بطرس بعد اوفوديوس ... وقيل إن اوفوديوس وأغناطيوس كانا معاصرين لبعضهما . الأول على اليهود المتنصرين ، والثانى على الأمم المتنصرين !! وهكذا من الادعاءات التى حاولت بها بعض الكنائس أن تخلع على ذاتها أهمية نتيجة نسبتها لبعض كبار الرسل !!

كان أغناطيوس شخصية عظيمة وسط معاصريه . لكن شهرته بالأكثر هى بسبب استشهاده الرائع وثباته العجيب فى محاكمته ، واشواقه المتأججة لسفك دمه على اسم المسيح بلغ حبه للاستشهاد حداً عجيباً ، حتى أنه كثيراً ما كان يقول : [لا أعتقد أننى أحب سيدنا يسوع المسيح دون أن يسفك دمى كله لأجله] ... ورسالته التى كتبها إلى المؤمنين فى رومية ـ وهو فى طريقه إليها ليلقى للوحوش ـ يتوسل إليهم أن يكفوا عن العمل على عرقلة استشهاده ، تعتبر أروع رسالة يسجلها شهيد قبيل استشهاده . ولم يسبق للكنيسة أن شهدت ما رفع مِنْ مجد الاستشهاد مثل تلك النشوة الروحية ، التى انطلق بها ذلك الشهيد الملتهب حماساً ، انطلاق الشهاب من الشرق إلى الغرب ليلقى حتفه ...!! قبض عليه إبان الاضطهاد الذى أثاره الامبراطور تراجان (٩٨ - ١١٧) . وحوكم أمام والى سوريا سنة

١٠٧م . وإذ أظهر ثباتاً عجيباً فى محاكمته صدر الحكم باعدامه بالقائه للوحوش فى روما أمام جماهير الشعب الرومانى. سُرّ أغناطيوس بهذا الحكم ، فقد كان قلبه يتحرّق شوقاً للاستشهاد ، الأمر الذى يتضح بكل جلاء من رسالته التى كتبها إلى كنيسة روما يرجوهم ألاَّ يعوّقوه عن الاستشهاد ... فلما قدموا إليه السلاسل التى سيقيد بها ، انحنى عليها وقبلّها ، وصرخ فى ابتهاج قائلاً : [أشكرك أيها السيد الرب لأنك وهبتنى أن تشرفنى بالحب الكامل نحوك ، وسمحت لى أن أقيّد بسلاسل حديدية كرسولك بولس !!

فى الطريق إلى روما :

سافر بحراً متجهاً إلى روما يخفره عشرة جنود افظاظ لقبهم « بالفهود » . فوصل إلى أزمير (سميرنا) حيث استقبله اجلّ استقبال اسقفها بوليكاريوس ومؤمنوها . ولما كان خبر سفره إلى روما ليطرح للوحوش قد انتشر فى آسيا الصغرى ، فقد وافته وفود عديدة من كنائس آسيا لنوال بركته فى ازمير... وبالرغم من قساوة جنوده الحراس ، استطاع أن يتحدث إلى زائريه محتفظاً بكامل هدوئه . وكان يتذكر دائماً مدينته انطاكية راغباً فى معرفة اخبارها بعد أن تركها والاضطهاد على اشده . وكان يطلب الصلاة من أجلها ...

وقبل أن يترك ازمير كتب أربع رسائل ، واحدة إلى مسيحى أفسس وأخرى إلى مسيحى مفنيسيا ، وثالثة إلى مسيحى ترالس Tralles . أما الرسالة الرابعة فقد كتبها إلى مسيحى روما يطلب إليهم فيها ألاَّ يحولوا بينه وبين الاستشهاد ، وهى أجمل رسائله وأسماها .

ثم إنتقل من ازمير إلى طروادة ، ومنها كتب ثلاث رسائل : واحدة إلى كنيسة فيلادلفيا ، وثانية إلى كنيسة أزمير، وثالثة إلى صديقه بوليكاربوس أسقف أزمير... ثم تابع القديس أغناطيوس رحلته مجتازاً مكدونية وايليريا حتى انتهى إلى ايطاليا ، فقصد روما ...

اســتشــهاده :

لم يكن للقديس أغناطيوس من رغبة أسمى وأقوى من الاستشهاد حباً فى المسيح ،

معتبراً سفك دمه الواسطة العظمى للإتحاد بالمسيح اتحاداً مؤبداً ... **جاء فى رسالته إلى أهل رومية :**

[بالصلاة قد وُهب لى أن أرى وجوهكم الفائقة الكرامة أمام الله ، فنلت أكثر مما طلبت ... إن اراد الله أن يجعلنى مستحقاً لنوال الختام (الاستشهاد) ، فستكون البداية حسنة (الحكم الصادر بإعدامه) . إن وهب لى نوال نصيبى دون أن يوجد عائق لذلك حتى النهاية . **لاننى اخشى أن محبتكم لى تسبب لى ضرراً ،** لأنه يسهل عليكم أن تنقذوا مَنْ تشاءون . لكن يصعب علىَّ البلوغ إلى الله إن منعتم اسشهادى ... ان التزمتم الصمت من نحوى فسأصير لله . **أما إذا أظهرتم محبة لجسدى ، فسأصبح مضطراً إلى أن أركض شوطى من جديد .** إذن صلوا ألاَّ يوهب لى احسان أعظم من أن أقدَّم لله ، مادام المذبح لا يزال مُعداً ... جيد لى أن أرحل من العالم إلى الله لأقوم فى الله مرة أخرى ... **اننى اكتب إلى الكنائس واشدّد عليها جميعاً بأننى سأموت اختياراً لأجل الله ، ما لم تمنعونى أنتم عن ذلك . أطلب إليكم ألاَّ تظهروا لى عطفاً فى غير أوانه ، بل اسمحوا لى أن أكون طعاماً للوحوش الضارية التى بواسطتها يوهب لى البلوغ إلى الله . اننى خبز الله . اتركونى اطحن بأنياب الوحوش لتصير قبراً لى ، ولا تترك شيئاً من جسدى ، حتى إذا ما متّ لا أتعب أحداً . فعندما لا يعود العالم يرى جسدى ، أكون بالحقيقة تلميذاً للمسيح .** توسلوا إلى المسيح من أجلى حتى أعدّ بهذه الطريقة لأكون « ذبيحة لله ... ليتنى اتمتع بالوحوش الضارية التى أعدت لى ، **فإننى أصلى أن يكون لها شغف أكثر لتنقض علىَّ . واننى سأغريها لتفترسنى سريعاً ، حتى لا تعاملنى كما تعامل البعض ، إذا خافت أن تمسّهم بأذى وان عاندت فى افتراسى الاطفها وارغمها على ذلك]** . ويعلّق رينان فى كتابه الأناجيل على هذا الكلام بقوله : [لم يجد الإيمان الحىّ ولا الرغبة الحارة فى الموت عاطفة أشدّ من هذه قوة - إن حب الاستشهاد الذى سيطر مدة جيلين على المسيحيين وجد فى كلام القديس أغناطيوس هذا أجمل تعابيره] .

وفى روما - فى الكوليسيوم Coliseum اجتمعت جموع الرومان ليشهدوا الاحتفالات بانتصارات الامبراطور تراجان على الداسيين . ودامت هذه الاحتفالات مئة وثلاثة وعشرين يوماً سقط فيها عشرة آلاف مصارع تسلية للشعب الرومانى ... **وأثناء هذه الاحتفالات جاء دور اغناطيوس فنال النعمة التى طلبها بكل قلبه . عُرّى من**

ثيابه وألقى فى الحلبة، فوثب عليه أسدان مزّقا جسده الطاهر والتهماه. ولم يُبقيا منه سوى بعض عظام خشنة مما عسر عليها طحنه، جمعها المؤمنون بكل وقار وارسلوها إلى انطاكية معتبرين إياها أثمن كنوز الدنيا. وضعت هذه الذخائر أولاً فى كنيسة خارج مدينة انطاكية، ثم أمر الامراطور ثيئودوسيوس الصغير فى القرن الخامس بادخالها إلى انطاكية لأن أغناطيوس هو أحد أمجادها، ووضعت فى هيكل الشهداء الذى سمّى منذ ذلك الوقت «كنيسة مار أغناطيوس».

وفى مديحه للقديس أغناطيوس يقول القديس يوحنا ذهبى الفم مخاطباً مسيحى انطاكية: [سقى دمه رومية، أما أنتم فجمعتم بقاياه. لقد كان لكم الحظ السعيد بأن يكون أسقفكم. الرومان جملّوا آخر نسمة من حياته، وكانوا شهوداً لكفاحه وانتصاره. أما أنتم فقد كان دائماً بينكم **لقد ارسلتم إليهم أسقفاً، فأعادوه إليكم شهيداً**].

رســـــائله :

قلنا إن القديس أغناطيوس كتب وهو فى طريقه إلى روما سبع رسائل وهى كل ما كتب هذا القديس. وكان لها أعتبار سام جداً لدى كافة المسيحيين... **بالإضافة إلى ما تحويه هذه الرسائل وتكشف عنه من محبة متأجحة نحو المسيح، فإنها تتضمن كلاماً ـ دون قصد من أغناطيوس ـ عن أمور إيمانية وعقيدية وكنسية**... ولكتابات أغناطيوس أهمية خاصة فقد كتبت سنة ١٠٧ فى مستهل القرن الثانى المسيحى، فضلاً عن كونه تلميذاً لرسل المسيح...

إنه يتحدث عن لاهوت المسيح وازليته وتجسده من الروح القدس والعذراء مريم، والخلاص الذى اتمه بآلامه وبموته المحيى على الصليب وقيامته المجيدة... ويتحدث عن الثالوث القدوس... وعن سرّ الافخارستيا وانها جسد ربنا يسوع المسيح ودمه ويقول عنها: [كاسرين خبزاً واحداً هو عربون الخلود، ودواء يحفظنا من الموت ويضمن لنا الحياة] (الرسالة إلى أفسس ٢٠)... **كما يتحدث صراحة عن بتولية العذراء مريم** فيقول: [إن ربنا هو بالحقيقة من ذرية داود بحسب الجسد، وابن الله بإرادة الله وقدرته، المولود حقاً من عذراء] (أزمير ١).

كما يتحدث حديثاً مستفيضاً عن الكنيسة ودرجاتها الكهنوتية الثلاث

الأسقف والقس والشماس ... إنه يطلب من المؤمنين أن يكونوا متحدين بالأسقف اتحاد الأوتار بالقيثارة. وهو يشدّد على هذا الاتحاد بحيث يعتبر الخارجين عن طاعة الأسقف متمردين على الله، وخدام الشيطان وخارج الكنيسة. يقول: [لأنه لا كنيسة بدون هؤلاء (الأسقف والقسوس والشمامسة)] (التراليين ٣)... كما يطلب من المؤمنين احترام القسوس والشمامسة احترامهم للرسل وشريعة الله. و يشبّه الكنيسة بجسد واحد رأسه المسيح.

أما عن الحياة المسيحية فإن أغناطيوس يطلب من المؤمنين ألاّ يكتفى بالاسم مسيحى، بل عليه أن يحيا حياة المسيح مقتدياً به حتى يصل إلى الاتحاد به جسداً وروحاً كى يكون مسيحياً حقيقياً، فيسكن الله فيه و يصير هو هيكل الله... ثم يتحدث عن الفضائل المسيحية فيحث المسيحيين على التحلى بها و يقول ناصحاً المؤمنين: [أن يقابلوا غضب الغير بالوادعة، وكبرياءهم بالتواضع، وتجاديفهم بالصلاة، وخلقهم الفظّ باللطف] (أفسس ١٠)... [صلوا أيضاً لأجل بقية البشر لأننا نرجو رجوعهم إلى الله بالتوبة] (أفسس ١٠)... وعن الصلاة يقول: [لأنه إذا كانت صلاة شخصين متحدين لها مفعول كبير، فأى شيء لا تقدر عليه صلاة الأسقف متحدة بصلاة الكنيسة] (أفسس ٥).

ويحذر المؤمنين تحذيراً شديداً من الهراطقة وتعليمهم و يدعوهم المعلمين الكذبة. و يقول لأهل أفسس: [علمت أن اجتاز بأفسس أناس مشبعون تعليماً فاسداً، ولكنى على يقين أنكم منعتموهم أن يبذروه بينكم] (أفسس ٩)... ولم يكتف بتحذير المؤمنين من الاستماع لأقوالهم بل نعتهم بأقبح النعوت. فقال عنهم إنهم ذئاب خاطفة بظواهر خداعة (فيلادلفيا ٢، ٣)، وحيوانات مفترسة بشكل بشرى (ازمير ٤)، وأغصان طفيلية تحمل أثماراً مسمومة لم يغرسها الرب (التراليين ١١). [فتجنبوهم ولا تتحدثوا عنهم لا منفردين ولا مجتمعين] (ازمير ٦).

كما تحدث عن الزواج والبتولية. فطلب من الزوجات الأمانة لأزواجهن جسداً وروحاً، وطلب من الرجال أن يحبوا نساءهم كما أحب المسيح كنيسته... وامتدح البتولية وقال: إذا كان أحد المؤمنين قادراً على حفظ العفة إكراماً لجسد المسيح فليحفظها [ولكن بلا كبرياء. فإن داخله عجب من جراء ذلك فقد خسر نفسه] (بوليكاربوس ٥)...

ويوصى بالعناية بالأرامل ويقول للأسقف : [لا تترك الأرامل . فعليك بعد الله أن تعتنى بهن] (بوليكاربوس ٤) .

أخيراً نختم بعبارة مما حوته رسائله تدل على محبته الشديدة للمسيح ... يقول فى رسالته إلى أهل رومية : [أشرف لى أن أموت للمسيح من أن أملك حتى أقاصى الأرض ... فلتنزل فىَّ أشد عذابات الشيطان : النار والصلب ، ومصارعة الوحوش ، وتمزيق أعضاء الجسد ، وكسر العظام ... شريطة أن أمتلك يسوع المسيح] (أهل رومية ٦ ، ٥) .

فـــيبى

لم يكن رسل المسيح وحدهم هم الذين اضطلعوا بتأسيس ملكوت الله على الأرض ، بل لقد اسهم معهم كثيرون فى هذا العمل ... البعض منهم لا نعرف مجرد أسماءهم ، والبعض الآخر نعرف أسماهم لكن لا نعرف عن اتعابهم الكثير ... ولم يكن العمل فى حقل الكنيسة والخدمة وقفاً على الرجال ، بل هناك نساء وعذارى كثيرات ... ومن أمثلة ذلك ، الخادمات الثلاثة اللائى سنعرض لهن الآن ... وهن فيبى وبرسكلا وتكلا الشهيدة ...

تكاد تكون فيبى أشهر انثى ورد إسمها فى رسائل الرسل ... لا نعرف عنها شيئاً سوى ما دوّنه القديس بولس فى أول الاصحاح الأخير من رسالته إلى كنيسة رومه . والعجيب أن التاريخ الكنسى لا يسجّل عنها أى شىء ...

يكاد الاصحاح الأخير من الرسالة إلى رومية يقتصر على أسماء بعض الأشخاص الذين يبعث بولس تحياته إليهم ويذكر الخدمات التى أدوها إما للكنيسة أو لشخصه ... ويذكر على رأس هذه القائمة الطويلة كلها ـ وقبل الرجال ـ « فيبى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا » ... يقول القديس بولس : « أوصى باختنا فيبى التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا ، كى تقبلوها فى الرب كما يحق للقديسين . وتقوموا لها فى أى شىء احتاجته منكم ، لأنها صارت مساعدة

للكثيرين ولى أنا أيضاً» (رو ١٦: ١، ٢).

واسم « فيبى » يعنى بهيّة أو منيرة ... ومن اسمها نستنتج أنها كانت أممية متنصرّة. ففيبى فى الأساطير اليونانية كان هو اسم ارطاميس آلهة القمر... كان اليهود الاتقياء يتجنبون أسماء الآلهة الوثنية. وعلى ذلك فلم يكن والداها يهوديين... كما يدل الاسم أيضاً على أن المتنصرين من الأمم لم يحسّوا بأى حرج إن هم ظلوا على أسمائهم السابقة لإيمانهم... إن فيبى هى المرأة الوحيدة بين أصدقاء بولس التى يدعوها « أختنا » ...

وبولس فى رسالته إلى أهل رومية يكتب موصياً بها. وهو فى ذلك لم يخرج عن مألوف العادة التى كانت جارية فى ذلك الوقت (أع ١٨: ٢٧؛ ٢كو ٨: ١٨-٢٤؛ ٣يو ٩، ١٢)، بل من الملامح المميزة لكنيسة الرسل... وأمثال هذه التوصيات كانت الوسائل الثمينة فى تقوية الرابطة والشركة بين الكنائس المختلفة. ومن ناحية أخرى كانت حماية عملية إزاء المعلمين الكذبة والدجالين... ورسالة بولس وتوصيته بفيبى افادت من ناحيتين، تقديمها لمؤمنى رومية وتوصيتهم بها.

وبولس فى توصيته كنيسة رومية بفيبى وصفها بأمرين. إنه يقدمها « أختنا فيبى » ثم هى « خادمة الكنيسة التى فى كنخريا ». الأمر الأول يوضح صلة القرابة الروحية التى تربط بولس بفيبى، بينما يوضح الأمر الثانى صلتها بالكنيسة المحلية فى كنخريا... وتعبير « أختنا » يوضح الرابطة بين المؤمنين فى ذلك الوقت المبكر، والتى نتجت عن وحدتهم فى المسيح... واستعمال بولس لضمير المتكلم الجمع « نا » إنما يوضح - ليس احساس بولس القوى بهذه القرابة الروحية، بل صلتها الروحية بجماعة المؤمنين.

وبهذه المناسبة نقول إن هناك ثلاث تسميات شاعت فى العصر الرسولى دُعى بها المسيحيون. كانت هذه التسميات هى: مؤمنون وقديسون واخوة واخوات... وهى تعبر عن حياة أولئك المسيحيين الأوائل. فتسمية « مؤمنين » كانت تعبّر عن إيمانهم الجديد وحياة الإيمان التى يحيونها. وتسمية « قديسين » كانت تعبّر عن حياتهم وعلاقتهم بالله فقد تقدسوا فى الله وله بالروح القدس وانهم مفرزون له... أما التسمية الثالثة « اخوة واخوات » فكانت تعبّر عن علاقتهم بعضهم ببعض كأعضاء فى جسد المسيح الواحد. إنها تسمية تلائم سلوكهم المسيحى...

يربط بولس بين فيبى وكنيسة كنخريا - وهى الميناء الشرقى لمدينة كورنثوس اليونانية الشهيرة وتبعد عنها بنحو تسعة أميال ... وليس لدينا معلومات من سفر أعمال الرسل عن تأسيس الكنيسة فى كنخريا، لكن مما لا شك فيه انها كانت امتداداً للكنيسة فى كورنثوس ... ان وجود كنيسة فى كنخريا يوضح انتشار المسيحية فى كل الأقاليم المحيطة بمدينة كورنثوس أثناء إقامة بولس بها لمدة ثمانية عشر شهراً أثناء رحلته التبشيرية الثانية (أع ١٨ : ١١) ... ويجدر بالذكر أن كورنثوس كانت بؤرة للفساد والرذيلة. كان بها معبد الإلهة فينوس إلهة الجمال وكان يضم بين جدرانه أكثر من ألف امرأة زانية مخصصة لارتكاب الوان الفحشاء ارضاءً لهذه الإلهة!! والرذائل التى اشار إليها بولس فى (رو : ١٨- ٣٢) إنما جاءت وصفاً لأنواع الفجور فى تلك المدينة، والتى بعث منها بولس رسالته إلى كنيسة رومية، وكانت تلك الفجور ماثلة أمامه ... نخرج من كل ذلك بتقدير للمجهود الرائع الذى عملته نعمة الله على يد بولس فى تلك المناطق الصعبة المليئة بالشر والفساد!!

ويبدو أن فيبى كانت متبتلة أو كانت تقوم بخدمة فعالة فى الكنيسة فى منطقة كورنثوس، فهى بحسب تعبير بولس «صارت مساعدة للكثيرين ولى أنا أيضاً» ... ويبدو أنها كانت تخدم كشمّاسة فى كنيسة كنخريا. فالرسول بولس يذكرها على أنها Diakonos -هذه التسمية التى تطلق على من يقوم بخدمة الشماسية سواء كان ذكراً أم أنثى. ولذا فإن فيبى لا بد وأنها كانت تمارس عمل الشماسية النسوية. والكلام عنها هو أول إشارة تقابلنا فى العهد الجديد عن دياكونية المرأة ...

ويجدر هنا الإشارة إلى أن الخدمة التى كانت منوطة بالشماسة، هى خدمة بنات جنسها بصفة عامة كما نصت على ذلك قوانين الرسل. كانت تقوم على المداخل المؤدية إلى القسم المخصص للنساء فى مكان العبادة. وكان من أعمالها الهامة مساعدة الكاهن فى عماد النساء فى الأمور واللحظات التى يجب أن يتنحى، حتى لا يبصر جسد امرأة عارية. وكانت فى العصور المبكرة من تاريخ الكنيسة تفتقد النساء خاصة فى بيوت غير المؤمنين حيث يُستحسن ألاّ يذهب الشماس الرجل للافتقاد منعاً للعثرات ... هذا وشماسية النساء فى الكنيسة ليست درجة كهنوتية، فلا كهنوت للنساء. ولا توضع عليها الأيدى كما فى حالة الرسامات الكهنوتية. لكنها تقام من

الأسقف و يتلو عليها صلاة ورد نصها فى قوانين الرسل .

كانت فيبى هى كاتبة الرسالة إلى كنيسة رومية بناء على املاء الرسول بولس ، وليس هذا فحسب ، بل لقد حملت هى نفسها هذه الرسالة إلى رومية ... وإذ نفكر فى وضع المرأة الاجتماعى فى ذلك العصر المبكر، وكيف كانت تحيا فى عزلة عن المجتمع لا يسعنا إلاَّ الاعتقاد أن فيبى لم تكن شخصية نسائية عادية ... فقد جمعت فى شخصها إلى جانب الثقافة ، الشخصية القوية والثراء ، اللذين مكّناها من السفر عبر البحار إلى روما ، من أجل الإيمان بيسوع المسيح .

وليس من السهل أن نسلّم بأن مهمة فيبى كانت مجرد توصيل الرسالة التى كتبها القديس بولس إلى كنيسة رومية ، **بل لا بد أن يكون الرسول قد كلفها بمهمة خاصة ، وجد أن من الحكمة عدم الافصاح عنها ... وكل ما فعله أنه أوصى الكنيسة بتسهيل مهمتها ... لا شك أن تلك المهمة كانت شيء يتعلق بخدمة الكرازة ...**

بريسـكلا

إن كانت فيبى مثال للمرأة المتبتلة الخادمة فى الكنيسة الأولى ، فإن بريسكلا هى مثال المرأة المتزوجة الخادمة الكارزة. حتى أن القديس يوحنا ذهبى الفم يقول: [سيبقى اكيلا وبريسكلا المثل الأعلى للكمال فى الزواج المسيحى] .

تدعى بريسكلا أو بريسكا وهو اسم رومانى ... كان زوجها اكيلا يهودياً ، ولا نعرف عنهما شيئاً سوى الإشارات العابرة التى يشير بها القديس بولس إليهما فى بعض رسائله ، فضلاً عن ذكر اسمهما فى سفر أعمال الرسل. يُذكر اسمها مع زوجها ست مرات فى العهد الجديد **(أع ١٨ : ١ - ٣ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٤ - ٢٦ ؛ رو ١٦ : ٣ ؛ ١ كو ١٦ : ١٩ ؛ ٢ تى ٤ : ١٩) وإن كنا نرى فى حنانيا وسفيرة نموذجاً محزناً لزوجين متفقين فى إرتكاب الخطية ، فإننا نرى فى اكيلا وبريسكلا نموذجاً لزوجين متحدين فى الروح والهدف والعمل ...**

اسم بريسكلا من الأسماء الرومانية ، و يغلب عليَّ الظن أنها كانت ترجع لأسرة رومانية ارستقراطية ... و يرى بعض العلماء - تبعاً لهذا الاسم الرومانى - انه على الرغم من أن زوجها كان يهودياً ، لكنها لم تكن يهودية بالمولد ويحتمل انها كانت أصلاً وثنية ثم اعتنقت اليهودية فصارت « دخيلة » Proselyte أى ليست يهودية بالمولد. وكثيراً ما كان يحدث ذلك فى روما التى كانت فيها جالية يهودية كبيرة . وطبعاً كان اهتداؤها إلى اليهودية قبل زواجها .

وإذا سلّمنا بهذا الرأى فإنه يكشف أن بريسكلا كانت امرأة ذات اهتمامات دينية عميقة ... لكن هناك نقطة تقف أمامنا بخصوص هذا الرأى ، وهو أن زوجها كان يحمل إسماً رومانيا هو الآخر « اكيلا » ومعناه (النسر) على الرغم من كونه يهودياً .

كانت تقيم مع زوجها أولاً فى روما ، لكنهما تركاها مع كل اليهود الذين طردهم كلوديوس قيصر... ولم يكن الزوجان يهوديين وقت طردهما من روما مع كل اليهود الذين بها ، بل كانا مسيحيين. لكن حتى ذلك الوقت كانت السلطات الرومانية تنظر إلى المسيحية على أنها مجرد شيعة يهودية جديدة .

أول ما يرد ذكرها مع زوجها فى العهد الجديد يرد فى سفر أعمال الرسل ، و يرتبط بوصول القديس بولس الرسول إلى مدينة كورنثوس فى رحلته التبشيرية الثانية (أع ١٨ : ١ ، ٢) ... وما لبث بولس أن ارتبط بهما وانس إليهما وتوطدت أواصر الصلة ونزل ضيفاً عليهما لكونه كان يشتغل فى صناعة الخيام كما كانا يشتغلان (أع ١٨ : ٣)... وفى المدة التى أقام فيها بولس فى كورنثوس - والتى امتدت إلى سنة ونصف- كانت اقامته معهما ... ولا نستطيع أن نؤكد أن صناعة الخيام كانت مهنتهما فى روما ، إذ ربما اضطر إليها على نحو ما فعل بولس نفسه إزاء الظروف التى الّمت بهما نتيجة طردهما من موطنهما .

ولا شك انهما اسهما مع القديس بولس فى الخدمة فى كورنثوس ومجاوراتها ، مدة خدمته الطويلة فيها التى امتدت إلى سنة ونصف ، وخلّف وراءه كنيسة مزدهرة ...

ولما غادر بولس كورنثوس عائداً إلى انطاكية ماراً بأفسس رافقاه حتى مدينة

أفسس. **وهناك تركهما بولس يبشران بالإنجيل** (أع ١٨ : ١٨، ١٩) ... وفى أفسس حوّلا بيتهما إلى مكان لاجتماع المؤمنين وفيه كانا يجمعان المؤمنين و يقومان بتعليمهم أصول الإيمان ... وفى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس والتى كتبها بولس من أفسس كتب يقول: «تسلّم عليكم كنائس آسيا. يسلّم عليكم فى الرب كثيراً اكيلا وبريسكلا مع الكنيسة التى فى بيتهما» (١ كو ١٦ : ١٩) ... و يتضح من ذلك أن اكيلا و بريسكلا امتدت اقامتهما فى مدينة أفسس. فالرسول بولس فى رحلته التبشيرية الثالثة حينما أتى إلى مدينة أفسس ومكث بها ثلاث سنوات، ومنها كتب رسالته الأولى إلى كورنثوس، كانا مايزالان بها ... **ويقول ذهبى الفم فى مدحه لهما: [لقد دعا الرسول الإلهى بيت اكيلا وبريسكلا كنيسة، لأن ذلك البيت كان قد أضحى مكان اجتماع المؤمنين، ولأنه كان قد تقدّس بقداسة ذنيك الزوجين وتعطرّ بخور فضائلهما وصالح أعمالهما].**

وبعد أن تغيرت الأوضاع وسمح لليهود بالعودة إلى روما، عادت بريسكلا مع زوجها إليها. وهناك أخذا يمارسان نشاطهما الكرازى، لأنهما كانا قد أخذا على نفسيهما أن يكونا فى خدمة الرب أينما ذهبا وحيثما مكثا ... فحينما انفذ بولس رسالة إلى كنيسة رومية، بعث بتحياته إليهما فى تقدير كبير... «سلموا على بريسكلا واكيلا العاملين معى فى المسيح يسوع، **اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتى.** اللذين لست أنا وحدى اشكرهما، بل أيضاً جميع كنائس الأمم، وعلى الكنيسة التى فى بيتهما» (رو ١٦ : ٣- ٥) ... لا يوجد كلام تقدير أكثر مما تحويه كلمات الرسول هذه: لقد عملا معه، ووضعا عنقيهما من أجل حياته، ولهما جهود فى خدمة كنائس الأمم ... **هذا الكلام على ايجازه يخفى وراءه جهادات عظيمة وتعرض للمخاطر فى سبيل انقاذ الرسول العملاق من اليهود والأمم على السواء** ... هناك تاريخ طويل عبّر عنه بولس فى كلماته الموجزة!! ... **يقول يوحنا ذهبى الفم:** [ترى أى الفاظ تكون أكثر مجداً وأعظم شأناً من هذا الكلام؟ **إن قول الاناء المختار** «العاملين معى فى المسيح» **معناه اللذين لهما نصيب معى فى حمل الشعوب** على الإيمان بالمسيح، وذلك بالصلوات والأصوام والأسفار والأخطار والذل والهوان وسهر الليالى، واحتمال الأخوة الكذبة. وقوله: «**اللذين وضعا عنقهما من أجل حياتى**»، أليس معناه أنهما بذلا حياتهما، بل عرّضاها لأخطار الموت فى

سبيلى ؟ فقد خدمانى فى ضروريات الحياة ، وخدمانى فى بشارة الإنجيل ، وكانا ترساً لى فى الضيقات ، وتعزية فى الشدائد ، وساعداً قوياً فى عمل الرسالة ، حتى أن الشكر وجب لهما من « جميع كنائس الأمم »] .

ومرة أخرى يترك الزوجان روما ويعودان إلى آسيا ، وإلى أفسس بالذات كبرى مدنها ، ليتابعا عملهما فيها من أجل الرب ... فالرسول بولس فى آخر رسالة له من سجنه فى روما ـ قبيل استشهاده مباشرة ، بينما كان يُسكب سكيباً ووقت انحلاله من الجسد قد حضر ، لا ينسى تعب محبتهما ، فيكتب إلى تلميذه الأسقف تيموثاوس قائلاً : « **سلّم على بريسكلا واكيلا** » (٢تى ٤ : ١٩) .

ويلاحظ العلماء ـ ومنهم يوحنا ذهبى الفم ـ أن اسم بريسكلا فى العهد الجديد يلازم اسم زوجها ، بل انه فى الست مرات التى ورد اسمهما فى العهد الجديد ، يأتى فى أربعة منها اسم بريسكلا سابقاً لاسم زوجها (أع ١٨ : ١٨ ، ٢٦ ؛ رو ١٦ : ٣ ؛ ٢تى ٤ : ١٩). وهذا مما يدل على شخصيتها الفذة واقتدارها فى عمل الرب. ويبدو أنها كانت أيضاً مقتدرة فى الكتب المقدسة للعهد القديم فهماً وشرحاً. وهذا واضح من مشاركتها زوجها فى شرح طريق الرب بأكثر تدقيق لأبلّوس الاسكندرى الذى كان هو الآخر رجلاً فصيحاً مقتدراً فى الكتب ، خبيراً فى طريق الرب وحارٌ بالروح عارفاً معمودية يوحنا فقط (أع ١٨ : ٢٤ـ ٢٦) .

هذا كل ما نعلمه عن هذه السيدة البارة المضحية ، مثال الزوجة المسيحية الخادمة... لكن للأسف لا يمدنا تاريخ الكنيسة بأية معلومات أخرى عنها أو عن زوجها. لكن لا شك أنهما يتمتعان بشركة المجد مع القديس بولس الرسول الذى كانا يعاونانه ويخدمانه...

تـكـلا أولى الشـهيدات

هى تلميذة بولس الرسول ، ومثال البتولية والطهارة بين العذارى ، ونموذج الجهاد واحتمال الشدائد . هى تلك الفتاة التى تألبت عليها قوى الجحيم ، فلم تستطع أن تضعف إيمانها ، ولا أن تقلّ من ثباتها ، ولا أن تخمد نيران حبها للرب يسوع الفادى إلهها وعريسها ... هى تلك الصبية التى شغفت بحب المعلم الإلهى الذى بشرها به بولس ، فاحتملت من أجله صنوفاً من الآلام تهلع من مجرد ذكرها قلوب الجبابرة !!

وعلى الرغم من أنها لم يُسفك دمها على اسم المسيح ، فقد خلعت الكنيسة عليها لقب «أولى الشهيدات» تقديراً لأتعابها ، والميتات التى احتملتها وانقذها الرب منها .

كانت تكلا من مدينة أيقونية - احدى مدن أقليم غُلاطية بآسيا الصغرى - من أشراف تلك المدينة ، بارعة الجمال ، كريمة الخلق ... كانت مخطوبة لأحد أشراف تلك المدينة ، عندما وصل إليها القديس بولس الرسول (أع ١٣ : ٥١) فى رحلته التبشيرية الأولى بين عامى (٤٥ - ٥٠ م) ... **ويرجح أن لقاءها بالقديس بولس تم فى أواخر الاربعينيات من القرن الأول ...**

فى مدينة أيقونية بشر بولس اليهود والأمم بانجيل الرب ... سمعته تكلا فسحرها جمال تعاليمه ، وعذوبة نير المسيح الذى يُبشر به فلازمته ... ولما كانت نفسها كبيرة توّاقة للكمال آمنت بالمسيح واعتمدت ونذرت بتوليتها للرب ، وكان ذلك سبباً فى هجرها لخطيبها ... ولما كان إيمان تكلا قلبياً فقد طرحت عنها الزينة الخارجية ، وبالجملة فقد تبدّلت حياتها ... ولاحظت امها هذا التغيير فى سلوكها ومظهرها ، فلما فاتحتها فى أمر اتمام زواجها ، رأت منها اعراضاً واحجاماً . فألحّ خطيبها فى طلبها فرفضته . وباحت لأمها بسرّها ، وقالت لها انها اصبحت مسيحية ، وانها نذرت للرب يسوع بتوليتها ... ثارت أمها وكادت تُجنّ غيظاً . حاولت اقناعها والتوسل إليها ، فاصطدمت بثبات عجيب وارادة صلبة . فطار رشدها ، ورأت فى اغضاء ابنتها عن عريسها مساساً بكرامتها . فآثرت موت تلك الابنة على أن تتعرض

لاحتقار الناس بحسب ما كان مألوفاً فى ذلك الوقت ...

لجأت الأم لحاكم المدينة تستعين به ، فاستحضر تكلا واخذ يقنعها بترك تلك الخرافات المسيحية والعودة إلى الآلهة وإلى عريسها. فذهب كلامه ادراج الرياح. هددها بحرقها حيّة، فلم تعبأ بتهديده. فأمر بإضرام نار حامية وبطرحها فيها. فتهللت لقرب اتحادها بعريس نفسها، ولم تنتظر حتى يقيدوها و يطرحوها فى تلك النيران، بل ركضت هى إليها وألقت بنفسها فيها، وهى تصلى إلى الله أن يقو يها و يستقبل روحها. لكن الرب يسوع عريسها كان قد دبّر لها طريقاً أخرى غير طريق الاستشهاد العاجل. كان يريد أن يُظهر فيها مجده وقدرته وعمل نعمته حتى ما تصبح مثالاً رائعاً للأجيال المقبلة من العذارى البتولات ومن الشهيدات البطلات. فما أن دخلت تكلا النيران حتى أرسل الله مطراً غزيراً كاد يتحول إلى طوفان، فولى الناس هاربين، وانطفأت النيران، وخرجت البتول سالمة، ولم يحترق خيط من ثيابها!! وبإلهام إلهى تركت مدينتها هاربة وذهبت تسعى وراء بولس الرسول لتلحق به وتلازمه وتنال بركة مشاركته اتعابه فى الكرازة... **صحبها القديس بولس إلى مدينة أنطاكية، وهناك تركها لتخدم بين النساء الوثنيات...**

وفى انطاكية فتن بجمالها أحد وجهائها الطائشين ... وإذ رآها معرضة عنه، انقضّ عليها ذات مرة واراد اختطافها واذلالها!! لكنها افلتت من بين يديه. وكان ذلك سبباً فى أن يشى بها إلى الوالى الذى حكم بطرحها للوحوش... **فألقيت عارية للوحوش** ثلاث مرات على ثلاثة أيام متوالية. لكن الوحوش لم **تقربها على مختلف أنواعها** ... حار الحاكم فى أمر تلك الفتاة العجيبة، وأراد أن **يتخلص منها، فألقاها فى جب ملىء بالأفاعى السامة فلم تؤذها...**

استدعاها الوالى وسألها : مَنْ أنتِ ومن هو شيطانك حتى لا يقدر أحد عليك. فأجابته تكلا فى وداعة: أنا تكلا عبدة يسوع المسيح ابن الله الحىّ، وهو وحده الطريق والحق والحياة وخلاص النفوس... وهو الذى انقذنى من الوحوش ومن الموت، وهو الذى يحفظنى بنعمته لكى لا أعثر. وهنا أمر الوالى باطلاق سراحها.

اتصلت بالقديس بولس ، وبعد أن شجعها وتعزت بإيمانه ، ذهبت إلى ايقونية

مسقط رأسها لتبشر مواطنيها بالإيمان الحىّ ... لكن اقامتها فى أيقونية لم تَطُلْ لأن والدتها ظلت مصرة على عنادها مدفوعة بكبريائها ولم تشأ أن تؤمن على يديها بالمسيح . فتركت تكلا أيقونية وعادت إلى سوريا لمتابعة رسالتها . **وهناك آمن على يديها شعب غفير من المنغمسين فى جهلهم وغرورهم وشرورهم !!**

وفى أواخر حياتها عكفت على حياة الخلوة والتأمل والنسك ... ووهبها الرب موهبة الشفاء ، حتى ان كثيرين كانوا يتقاطرون إليها طالبين البرء من أمراضهم ... **وكم من مرة حاول بعض الأشرار الإساءة إلى طهارتها وكان الرب ينقذها من أيديهم بمعجزة ... وأخيراً رقدت فى الرب وهى فى سن التسعين ،** ودفنت فى سلوكية ميناء انطاكية ... أما الآن فهى فى الفردوس ـ السماء الثالثة ، حيث معلمها بولس الرسول .

قد أفاض آباء الكنيسة الأوائل فى مديح هذه القديسة البتول ، منهم باسيليوس الكبير وغريغوريوس الثاؤلوغوس و يوحنا ذهبى الفم وامبروسيوس وايرونيموس (جيروم) وايسيذوردس العزمى وساديرس الانطاكى ... **كتب القديس ايسيذوروس العزمى إلى راهبات أحد الأديرة يقول : [مِنْ بعد يهوديت وسوسنة العفيفة وابنة يفتاح لا يحق لأحد أن ينسب الضعف إلى جنس النساء . بالأكثر عندما نرى تكلا ـ تلك البطلة المتقدمة بين البطلات من البنات ، البتول الذائعة الصيت فى الدنيا كلها ، عندما نراها حاملة عَلَمَ الطهارة والبرارة عالياً . وقد فازت فوزاً باهراً فى معارك شديدة على الشهوة والرذيلة ، نوقن إن قلوب النساء يمكنها أن تكون جبارة] !!**

باقة من المدافعين عن الإيمان والعقيدة

• شخصيات المدافعين عن الإيمان :

كوادراتوس - ارستيريز الأثينى -
أرسطو البلاّوى - اثيناغوراس الأثينى -
الرسالة إلى ديوجنيتس - يوستينوس الشهيد -
كليمنضس الاسكندرى - العلامة أوريجينوس -
العلامة ترتليانوس - الشهيد كبريانوس .

• دفاعات المدافعين :

الاتهام الأخلاقى - الاتهام الدينى -
الاتهام السياسى .

• نماذج من المدافعين عن العقيدة :

البابا أثناسيوس الرسولى -
ايلارى أسقف بواتييه -
البابا ديسقوروس .

تعرضت المسيحية منذ ظهورها لهجمات القوى الوحشية المادية ، وهجمات الفلاسفة ... أو بعبارة أخرى تعرضت لحملات السيف والقلم ... أجابت على هجمات القوى الوحشية الدموية بثبات اتباعها البطولى من الشهداء والمعترفين، الذين وضعوا حياتهم ذوداً عنها وعن الإيمان المسيحى، فصانوا حيويتها الدائمة ... أما تحديات الفلاسفة الوثنيين المتعجرفين، الذين يمثلون حكمة العالم القديم المنتفخة، فقد فندتها وابكمتها، بل وهدمتها وهاجمتها بالكتابات الفذة التى دبجتها يراع الفلاسفة المسيحيين فى دفاعهم عنها ...

وهكذا ظهرت طبقة من الفلاسفة والكتّاب المسيحيين ، كرّسوا جهودهم للدفاع عن المسيحية وإيمانها عرفوا باسم المدافعين Apologists ـ أى المدافعين عن الإيمان ... كانت مهمة أولئك المدافعين تبرئة المسيحية مما يُنسب إليها ظلماً وخطأً، وتقديم مفاهيم سليمة عنها لغير المؤمنين ...

اتجهت كتابات الدفاع عن المسيحية فى القرن الثانى نحو اليهودى الغيور والفيلسوف اليونانى والسياسى الرومانى. كان المسيحيون من البدء « مستعدين لمجاوبة كل من يسألهم عن سبب الرجاء الذى فيهم » ... وكان لا بد للمسيحيين أن يضيفوا إلى شهادتهم العملية البسيطة، دفاعاً نظرياً، يدفعون به عن أنفسهم أشر الاتهامات الباطلة والخطيرة ...

قال هؤلاء المدافعون المسيحيون للوثنيين ـ كما يقول ترتليانوس [اضربوا إن كان يجب أن تضربوا، ولكن اسمعوا أولاً. لا تبيدونا عن وجه الأرض حتى تعرفوا القليل عنا] ... وقال يوستينوس الفيلسوف المسيحى الشهيد **[لا تكونوا غير عادلين حتى تحكموا علينا دون أن تسمعونا] ...** وفى نفس المعنى **قال اثيناغوراس الأثينى : [أنتم تنزلون بنا العقاب لمجرد كوننا مسيحيين. لكن يقيناً انه لا يوجد شىء فى مجرد الاسم. لديكم أفكار ملتبسة عنا أننا أناس أشرار، لكنكم مخطئون. فحياتنا طاهرة، نعبد الله ونحن اوفياء للامبراطور] !!**

مثل هذا كان عمل المدافعين ... لم تكن مهمتهم تعليم الحق ، لكن اعداد السبيل للتعليم ... هم لا يبرهنون على صحة المسيحية كديانة إلهية من الكتب

المقدسة، **لكنهم يثبتون أنها ليست غير معقولة على الاطلاق أو ضارة** ... كان عملهم تمهيد الطريق بازالة أحجار العثرات، واثارة حب الاستطلاع، لذلك فقلما يقتبسون من الكتب المقدسة، لكنهم يستشهدون بها دواماً ... فمثلاً يتكلمون عن قِدَم هذه الكتب، وانها سابقة لجميع الكتب الأخرى، و يشيرون إلى صحتها وخلوها من أى خطأ بمقارنتها بأساطير الآلهة الوثنية ... كانوا يصفون اتفاقها و بساطتها بمقابلتها بأقوال الفلاسفة الصعبة المتعارضة. وكانوا يؤكدون إتمام النبوات ـ التى لا يرقى الشك إلى قدمها ـ فى حياة المسيح وقيام ديانته ...

وبالجملة **فإن الدفاعات إنما كتبت لمصالحة الأعداء**. ولذلك فقد جاءت فيها الحجج حسبما سمحت الظروف ... **وعلى أية الحالات فإن جميع المدافعين استخدموا نفس البراهين والحجج تقريباً. وجميعهم أظهروا الفضائل المسيحية فى مواجهة قوية لرذائل الوثنية وقبائحها !! وجميعهم أطنبوا فى الكلام عن بطولة الشهداء** ...

لكن لمن قُدمت هذه الدفاعات ؟... بعض المدافعين قدموا دفاعهم **للأباطرة الرومان، أو حكام الأقاليم** ... وبعضها وجهت إلى **أشخاص خصوصيين أو لجمهور الشعب الرومانى عامة** ... لكن دفاعاً واحداً ظهر فى كتاب، وذلك ما فعله العلامة أوريجينوس **رداً على كتاب الفيلسوف الوثنى كلسوس**.

والآن نعرض لأشهر المدافعين الذين دافعوا بأقلامهم عن المسيحية، ثم لدفاعهم رداً على اتهامات اليهود والوثنيين الباطلة، ثم نعرض بعدها لنتائج دفاع هؤلاء المدافعين ...

شخصيات المدافعين عن الإيمان

بدأت كتابات الدفاع تظهر فى عهد الامبراطور الرومانى هدريان (١١٧ - ١٣٨). ومعظم كتابات الدفاع الأولى، إما أنها فقدت تماماً، أو تبقى منها بعض شذرات وعبارات متفرقة حفظها لنا يوسابيوس القيصرى فى تاريخه الكنسى ... ولكن مازال بين أيدينا بعض دفاعات كاملة لمدافعين من القرن الثانى ... كان معظم المدافعين من الفلاسفة. وبعضهم كتب باللغة اليونانية والبعض كتب باللغة اللاتينية وكما عانت الكنيسة المسيحية من اضطهاد دموى يهودى وآخر وثنى، كذلك كانت هناك كتابات يهودية تهاجم المسيحية فضلاً عن كتابات الفلاسفة الوثنيين ... وإن كانت كتابات اليهود العدائية لا تقارن من جهة الكمّ والخطورة بكتابات الفلاسفة الوثنيين ... والآن نذكر بعض مشاهير المدافعين ...

١ - كـــوادراتس :

لعله أول المدافعين . ذكره اوسابيوس القيصرى فى تاريخه الكنسى (٤ : ٣) فقال: [بعد أن حكم تراجان تسع عشرة سنة ونصف (٩٨ - ١١٧)، خلفه على الامبراطورية اليوس هدريان. وقد وجّه إليه كوادراتس حديثاً متضمناً الدفاع عن ديانتنا، لأن بعض الأشرار حاولوا ازعاج المسيحيين. ولا يزال هذا المؤلف بين ايدى الكثيرين من الاخوة، وفى أيدينا أيضاً. وهو برهان قوى على ذكاء الرجل وعلمه وعلى أرثوذكسيته الرسولية. وهو يظهر قِدَمْ عهده وذلك فى الكلمات التالية ... « واعمال مخلصنا كانت دائماً ماثلة أمامنا لأنها حق. فالذين نالوا الشفاء، والذين اقيموا من بين الأموات، شوهدوا - ليس حينما نالوا الشفاء واقيموا فحسب - بل أنهم ظلوا دائماً موجودين فى أثناء حياة المخلّص وبعد موته مدة طويلة من الزمن. وبعضهم ظل عائشاً حتى عصرنا »] ... **ونحن لا نعلم على وجه الدقة موطن كوادراتس، وإن كان البعض يرجح أنه من رجالات آسيا الصغرى. أما تاريخ كتابة هذا الدفاع فهو فى الفترة من سنة ١٢٣ إلى سنة ١٢٩.**

٢ ـ ارستيديس الأثيني :

أشار إليه أوسابيوس أيضاً فى تاريخه الكنسى (٤ : ٣) ... فبعد أن ذكر كوادراتس قال ... [كذلك ترك لنا ارستيديس وهو مؤمن غيور، دفاعاً عن الإيمان مثل كوادراتس موجهاً إلى هدريان (١١٧ ـ ١٣٨). ولا يزال مؤلفه باقياً إلى الآن أيضاً لدى أشخاص كثيرين] ...

يقول ارستيديس فى دفاعه أن الرأى الصحيح فى الله هو عند المسيحيين وحدهم، فإنهم يقولون بإله خالق صنع كل شيء بالابن الوحيد والروح القدس، ولا يعبدون غيره. والدليل على أنهم يعبدون الإله الأحد ظاهر فى طهارة سيرتهم ... ثم يستطرد قائلاً : [إن وصايا السيد يسوع المسيح نفسه محفورة فى قلوبهم، وهى التى يعملون بموجبها راجيين قيامة الموتى فى الدهر العتيد. هم لا يزنون ولا ينافقون ولا يشهدون شهادة زور، ولا يشتهون ما لغيرهم. يكرمون الوالدين ويحبون القريب. يحكمون بالحق، ولا يفعلون للغير ما لا يريدون أن يفعل الغير بهم. يُعزّون الذين يسيئون إليهم ويصادقونهم. يتوقون لعمل الخير مع أعدائهم. وهم ودعاء لطفاء ويمتنعون عن كل علاقة غير شرعية، وعن كل إثم وشر. ولا يحتقرون الأرملة ولا يظلمون اليتيم. ومن عنده يعطى من ليس عنده بسرور. وإذا رأوا غريباً آووه فى بيوتهم وفرحوا به كأنه أخ لهم. يدعون أنفسهم اخوة لا بالجسد بل بالروح. وهم على استعداد لتقديم حياتهم لأجل المسيح. يحفظون الوصايا بدون زيغ، ويعيشون بالتقوى والطهارة كما أوصاهم السيد إلههم. وهم يقدمون الشكر له فى كل ساعة لأجل المأكل والمشرب وعطاياه الأخرى. حقاً إذاً هذا هو الطريق الحق الذى يقود من يسلك فيه إلى الملكوت الأبدى الذى وعد به المسيح فى الحياة الآتية].

ويستمر ارستيديس فى دفاعه فينظر إلى البشر نظرة شاملة ويعتبرهم وحدة واحدة، ويشعر بأهمية الرسالة الجديدة، فيرى فى المسيحيين ـ على قلة عددهم ـ شعباً جديداً هدفه اخراج العالم من وهدة الدعارة والفساد، يقول : [لقد ضلّت الأمم جميعها وخدعت نفسها فسلكت سبل الظلام مترنحة كالسكارى. وانى لواثق انها لم تبق كائنة إلاّ بصلوات المسيحيين وتضرعاتهم].

٣ - ارسطو البلاوى Aristo of Pella :

وهو يهودى متنصر من بلا Pella (خربة فحل الحالية قرب بيان بفلسطين) . و يرجع إلى النصف الأول من القرن الثانى - نشأ وتلقى علومه بالاسكندرية ... صنف حوالى سنة ١٤٠ م دفاعاً عن المسيحية ضد تهجمات اليهود وانتقاداتهم . ولعله أول من ردّ عليهم . وهو معنون «حوار جاسون Jason اليهودى المتنصر و بابسكوس Papiscus اليهودى الاسكندرى عن المسيح ومكانته فى تاريخ اليهود ... وظل هذا الكتاب معروفاً حتى القرن السابع الميلادى . وكان يهدف إلى اظهار اتمام النبوات القديمة فى المسيح ... و ينتهى هذا الحوار باقتناع بابسكوس اليهودى وعماده .

٤ - اثيناغوراس الأثينى :

هو رجل اثينى أو ينتسب إلى أصل اثينى . وليس من ينكر صحة انتسابه إلى أثينا التى ربما ولد فيها . ومهما يكن من أمر فقد أقام بمدينة الاسكندرية وكان يشغل وظيفة خطيرة بمتحفها . وكان من اساطين الديانة الوثنية ، ومن أنصار الفلسفة الأفلاطونية المحدثة ، حيث كان يدير بالاسكندرية مدرسة فلسفية وثنية تنهج نهج الأفلاطونية المحدثة ...

كان كغيره من الأفلاطونيين يكره الديانة المسيحية و يعمل على مقاومتها ، حتى أنه توفر على دراسة الكتاب المقدس لعله يجد فيه منفذاً للطعن والنقد ... ولكنه ما كاد ينتهى من قراءته حتى ترك فيه أثراً عميقاً جعله يؤثر الدين المسيحى . وقد تحول إليه فعلاً نحو سنة ١٧٦ م ، وصار من انصار المسيحية ومن أكبر المدافعين عنها ولذا لُقّب «باثيناغوراس المدافع» ...

فلما وثق به المسيحيون قبلوه وعمدّوه ، وعهدوا إليه بمهمة التعليم فى مدرسة الاسكندرية اللاهوتية . وظل مع ذلك يرتدى زى الفلاسفة كما كان قبل اعتناقه المسيحية ... أما عن زمان ومكان وملابسات موت اثيناغوراس فلا نعرف عنها شيئاً ...

له أكثر من مؤلَّف ولكن ما يعنينا هنا هو كتابه الدفاع الذى وجهه إلى الامبراطورين مرقس اوريلسيوس وابنه كومودوس حوالى سنة ١٧٧ م ...

ويشتمل دفاع اثيناغوراس على فاتحة وثلاثة أقسام، نتاول فيها الرد على الاتهامات الثلاثة التى وجهت إلى المسيحيين، وهى الالحاد، والمعاشرات الأوديبية وولائم ثيستين (أكل لحوم البشر).

ويعتبر اثيناغوراس أول مفكر مسيحى حاول أن يبرهن على وحدانية الله بطريقة فلسفية علمية، مستشهداً بأدلة من الفلاسفة عن وحدانية الله التى شهد عنها الأنبياء ... وفيما هو يتحدث عن الله خالق العالم، الروح البسيط غير المركب، السرمدى الكامل، والقادر على كل شيء، يتحدث عن الثالوث القدوس كجوهر واحد، الآب هو العقل والابن اللوغوس الكلمة غير المخلوق والروح القدس. تحدث بإدراك كامل ودقيق لوحدانية الله.، ووحدة الثالوث ... ويتحدث اثيناغوراس بوضوح واستفاضة عن الوحى الإلهى والأنبياء ويمتدح البتولية كإحدى ثمار الحياة المسيحية العظمى، بل أجمل ثمارها. والزواج فى نظره وسيلة للتوالد فقط.

ويشهد المؤرخون بأن اثيناغوراس يمتاز عن جميع المدافعين المسيحيين فى القرن الثانى امتيازاً واضحاً بأدلته السديدة وحججه الدامغة. وهو كاتب مُجيد رقيق العبارة سلس الأسلوب، منطقى التفكير، له مقدرة ممتازة على الوصف، وله تأثير رائع يشهد بعلمه الواسع بمشاعر النفس البشرية. ولا نجد فى دفاع اثيناغوراس قولاً نابياً ولا لفظاً جارحاً. أفاض فيه مظهراً صدق رأى المسيحيين وبهتان معتقد الوثنيين، بأدلة عقلية ومنطق فلسفى سليم مؤيداً قوله بأسانيد من نصوص الشعراء والفلاسفة. ويقرر اثيناغوراس فى لهجة صادقة ان الكتاب المقدس كتاب موحى به من الله. وهو من نفثات الروح القدس فى روح الأنبياء ... وكثيراً ما يقتبس آيات من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

٥ ـ الرسالة إلى ديوجنيتس Diognetus :

كاتب هذه الرسالة مجهول، ويبدو انه شاء متعمداً أن لا يضع اسمه لأنه يؤمن أن الحياة الحقيقية هى نمو داخلى ... ومهما يكن من أمر فإن الرسالة اسكندرية الأصل والمعنى واللفظ والاتجاه الفكرى. ونحن لا نعرف شيئاً عن شخصية ديوجنيتس الذى وجهت إليه الرسالة ... هل هى رسالة رمزية تهدف إلى اظهار جمال المسيحية وتبشير الوثنيين؟! أو هل هى دفاع عن المسيحية غُفْل من اسم

كاتبه ؟! ونقتطف بعض مقتطفات من هذه الرسالة :

[أنا عالم باهتمامك الشديد الذى يدفعك لأن تتعلم ... عن تقوى المسيحيين ، ولا سيما وانك تسأل أسئلة منتقاة واضحة عنهم وعن الإله الذى يؤمنون به وكيف يعبدونه ، وعما يدفعهم إلى عدم التكالب على العالم وإلى الاستهانة بالموت . و يهمك أن تعرف لماذا لا يعترفون بالآلهة التى يعترف بها اليونانيون ، ولا يلتفتون إلى خرافات اليهود ؟ ما هو سر حبهم بعضهم لبعض ؟...

يا ليتك تُطَهّر عقلك من التعصب الذى يمنعك من التفكير ... انظر ليس بعينيك فقط بل بعقلك ما هى حقيقة وشكل تلك التى تدعونها وتعاملونها كآلهة . أليس الواحد منها حجراً كالذى نسير عليه بأقدامنا ، والآخر معدناً لا يسمو فى قيمته على أى آنية مصنوعة من نفس المعدن نستخدمها لقضاء الحاجة ... أليس ما يحملكم على اضمار البغض للمسيحيين هو أنهم لا يعتقدون أن هذه التماثيل آلهة ؟!

يقيم كل من المسيحيين فى وطنه ، لكن كما لو كان غريباً . يتممون واجباتهم كمواطنين ويتحملون كل الأعباء كغرباء . كل أرض غريبة (خارج الامبراطورية) هى وطن لهم ، وكل وطن أرض غريبة . يحيون فى الجسد ، ولكنهم لا يعيشون حسب الجسد . يصرفون العمر على الأرض ، ألاّ أنهم من مواطنى السماء . يطيعون الشرائع الوضعية ، لكنهم يسمون على كل هذه الشرائع . يحبون جميع البشر ، والجميع يضطهدونهم ... فقراء وبفقرهم يغنون كثيرين . يفتقرون إلى كل شىء ، وكل شىء فائض لديهم . يحتقرهم الناس ، ولكن احتقار الناس هو مجدهم . يتكلم الناس عليهم بافتراء ولكنهم يتبررون .

وبكل اختصار ، مثل النفس بالنسبة للجسد ، هكذا المسيحيون بالنسبة للعالم . النفس منتشرة فى أعضاء الجسد ، والمسيحيون فى مدن العالم . النفس تقيم فى الجسد ، إلاّ أنها ليست من الجسد ، والمسيحيون موجودون فى العالم ، لكنهم ليسوا من العالم . النفس غير مرئية ، ولكنها تعمل وتظهر فى جسد مرئى . والمسيحيون تراهم عندما يعملون ، فيظهرهم عملهم فى العالم ، إلاّ أن صلاحهم يظل مخفياً . الجسد يحارب النفس ، رغم انها لا تؤذيه ، إنما هى تحول دون انغماسه فى الملذات والعالم يكره المسيحيين لا لأنهم اساءوا إليه ، وإنما لأنهم

يعارضون ما فيه من لذات. النفس تحب الجسد الذى يكرهها، وهكذا المسيحيون يحبون من يبغضونهم. النفس سجينة الجسد، وبدونها لا حياة للجسد، والمسيحيون موثوقون فى العالم، كما لو كانوا فى سجن، ولكنهم سبب حياة العالم. بإماتة النفس عن شهوة الطعام والشراب تنمو، والمسيحيون بمضايقتهم يزدادون عدداً...

ألا ترى كيف يُلقى المسيحيون للوحوش الضارية بغية حملهم على إنكار الرب، ولكنهم بالموت ينتصرون. ألا ترى أنهم كلما عوقبوا كلما ازداد عدد الذين يعتنقون إيمانهم. كل هذه ليست أعمال البشر، بل هى معجزة الله وهى دليل ظهوره فى الجسد] !!

٦ ـ يوستينوس الشهيد :

ولنا معرفة عنه تكاد تكون كاملة مما دونه هو عن حياته سواء فى دفاعه أو حواره مع تريفو...

ولد آخر القرن الأول (سنة ١٠٠ م) أو أوائل الثانى فى بلدة شكيم القديمة وهى مدينة نابلس الحالية كبرى مدن السامرة، من ابوين وثنيين، ونشأ هو نفسه وثنياً. كان منذ حداثته يميل إلى التفكير العميق والبحث عن الله ومبدأ العالم... تتلمذ أولاً لأحد الفلاسفة الرواقيين اتباع الفيلسوف زينون، فلم تشبع تعاليمه عقله، فانصرف عنه. وتبع فيلسوفاً آخر من جماعة الرواقيين المشائين الذى أخذ يساومه على أجر تعليمه، الأمر الذى دفع يوستينوس إلى الازدراء به. ومازال يسعى فى طلب المعرفة واشباع عقله، حتى اهتدى إلى أحد الفلاسفة الأفلاطونيين، فتعلّق به وأحبه...

على أن هذه الفلسفات كلها مجتمعة لم تكن لتشبع عقل وقلب هذا الإنسان العجيب. فلم يكن له عقل متفتح وحسب، لكن كانت له روح جائعة متعطشة للنور والحق... ومما هو جدير بالذكر أنه وهو فى وثنيته لم يكن متعصباً تعصباً أعمى لها، بل كان له العقل الذى يزن به الأمور. فقد كتب فى دفاعه الثانى عن التأثر العميق الذى طبعه فى نفسه رؤية الشهداء المسيحيين... قال: [فى الوقت الذى كنت استمتع فيه بمبادىء أفلاطون. وفى الوقت الذى كنت استمع فيه إلى المصائب التى يكابدها المسيحيون، قلت لنفسى: حيث انى رأيتهم لا يرهبون الموت حتى وسط

الأخطار، التى يعتبرها العالم مرعبة، فمن المستحيل أن يكونوا أناساً يعيشون فى الشهوة والجرائم] (الدفاع الثانى: ١٢، ١٣) ... **ولا شك أن مثل هذا القلب أهّله لقبول دعوة الله.**

أما قصة إيمانه فهى قصة لقاء مع الله ... فبينما كان يسعى وراء الوحدة، حتى يتمكن من التأمل بعقل غير مرتبط بالأشياء الخارجية. وبينما كان مستغرقاً فى تأملاته، يسير على شاطىء البحر فى بلده، قابله شيخ مهيب يبدو على محياه الجاذبية والعذوبة... بدا كما لو كان فيلسوفاً وجد الراحة والسلام فى فلسفته. حيّاه واخذ يباحثه فى شئون الفلسفة. وبيّن له أن الفلسفة الأفلاطونية التى كان معجباً بها ناقصة، إذ لا تأثير لها على حياته الأدبية (الأخلاقية).

فسأله يوستينوس فى لهفة وتعجب [أين إذن أجد الحق إذا لم أجده بين الفلاسفة؟]. أجابه الشيخ: [قبل الفلاسفة بزمان طويل عاش فى الأزمنة الغابرة رجال سعداء أبرار، هم رجال الله، نطقوا بروحه، وسُمّوا أنبياء. هؤلاء نقلوا إلى البشر ما سمعوه وما تعلموه من الروح القدس. كانوا يعبدون الله الخالق أب جميع الموجودات، وعبدوا ابنه يسوع المسيح فاطلب أنت حتى ما تنفتح لك أبواب النور الآن] (حواره مع تريفو ٢: ٨).

قال له الشيخ هذا الكلام وتوارى عنه ... ولا شك أن هذا الطريق الذى أرشده إليه ذلك الشيخ بكلامه، كان هو أمل يوستينوس منذ شبابه. **والآن بعد ان استمع يوستينوس إلى الفلاسفة، تحوّل إلى الأنبياء... بل إلى ذاك الذى هو أعلى من أعظم الأنبياء علو السموات عن الأرض... الكلمة الأزلى، الذى سيصبح يوستينوس، منذ ذلك الوقت، الشاهد الأمين له..**

أكبّ يوستينوس على قراءة تلك الكتب التى أرشده إليها ذلك الشيخ المجهول. **فتوصل إلى أن الفلسفة المسيحية هى الوحيدة التى استطاعت أن تشبع عقله. فآمن بالسيد المسيح واعتمد. وبدأ منذ ذلك الحين حياة الفيلسوف الحقّة، كما يقول هو عن نفسه.** وكان دائماً يعتبر أن الفلسفة الأفلاطونية هى بمثابة اعداد العالم الوثنى لقبول المسيحية... وهكذا فإن يوستينوس كمسيحى لم يكف عن تقدير الفلسفة، بل ظلّ بعد إيمانه يرتدى زى الفلاسفة. ولم يفعل ذلك هروباً من أن يظهر

كتلميذ للمسيح ، فهو يقول عن نفسه : [لقد طرحت جانباً كل الرغبات البشرية الباطلة . ومجدى الآن فى أن أكون مسيحياً . ولا شيء اشتهيه أكثر من أن أواجه العالم كمسيحى ...] .

كان سعيه الطويل الجاد بحثاً عن الحق سبباً فى تقدير هذا الحق . لقد جرّب كل النضالات الفكرية لمعاصريه . وهكذا إذ عرف المرض والعلاج ، كان مستعداً بصورة فائقة ، ان يكون ذا رسالة فعالة ، بل وأحد المعزيين الحقيقيين الذين تعلموا من خبرتهم الخاصة فى الألم كيف يعزىّ الآخرين . لم يَنْسَ أو يتناسى - ولو ليوم واحد - مسئوليته العميقة التى ترتكز على الشهادة للحق . وكان شعوره هذا على السواء بالنسبة لليهود والوثنيين والهراطقة ...

وهكذا كرّس يوستينوس ذاته لنشر الديانة المسيحية والدفاع عنها . فذهب إلى روما حيث فتح هناك مدرسة ، وكان يتخذ الفلسفة وسيلة للتبشير بالمسيحية والدفاع عنها ... وكان يعقد مقابلات متكررة مع اليهود والوثنيين حيثما التقى بهم ، وكذلك مع الهراطقة . وفى هذه المناقشات اظهر صبراً وثباتاً عجيبين . **ولعل أهم أعماله التى قدمها للمسيحية فى ذلك الوقت دفاعيه الأول والثانى ، وحواره مع تريفو اليهودى ...**

لقد رفع دفاعه الأول (٦٨ فصلاً) ، والثانى (٢٥ فصلاً) إلى الامبراطور أنطونيوس بيوس وابنائه . ويرجح أنه كتبه سنة ١٤٧م إن لم يكن قبل ذلك . **ودفاعه ملء بالشجاعة والكرامة والإنسانية . فقد كان اتجاهه فى دفاعه هو عدم التوسل والخوف من القوة الغاشمة .** ويقول فى دفاعه موجهاً الكلام للامبراطور أنطونيوس بيوس : **[أنتم تدعون فى كل مكان بيوس (تقى) ، حارس العدالة ، صديق الحق . وستظهر أعمالكم ، إذا كنتم جديرين بهذه الألقاب . ولست أقصد من وراء ذلك أن اتملقكم ، أو أحصل منكم على احسان ما . إنى ببساطة أسألكم أن تعاملوننا بقوانين العدالة المدققة المستنيرة ، وليس بمجرد الحدس ، أو تحت تأثير خرافة تصدقونها بقصد ادخال السرور على الناس .. فإن هذا يدينكم ...] .** وإذ كان مقتنعاً اقتناعاً صادقاً بعدالة قضيته ، قدمها بسلطان باسم قانون العدالة الأزلى ، الذى باسمها يستخدم العنف ضد المسيحيين !!

وكتابه « حوار مع تريفو Trypho » اليهودى (١٤٢ فصلاً) ، عبارة عن مناظرة مع يهودى معتدل طالب للمعرفة، التقى به فى مدينة أفسس. وقد استغرقت هذه المناظرة يومين ... ويلاحظ أن يوستينوس فى دفاعه الذى قدمه، يبدو كفيلسوف يحدث فلاسفة. أما فى حواره مع تريفو، فكمؤمن بالعهد القديم إلى ابن من أبناء إبراهيم !!

أخيراً استشهد يوستينوس فى روما سنة ١٦٦ على عهد مرقس اوريليوس. وقد يكون السبب فى استشهاده الهزيمة التى أوقعها بفيلسوف كاذب يدعى كريسنس Crescens علانية أمام الجمهور. وما لبث هذا الفيلسوف أن سعى به لدى السلطات، فقُدم يوستينوس إلى المحاكمة بتهمة المسيحية. وقطعت رأسه مع ستة أشخاص آخرين.

٧ ـ اكليمنضس الاسكندرى :

ولد نحو منتصف القرن الثانى الميلادى من ابوين وثنيين . **ولد فى أثينا لكنه عاش فى الاسكندرية أكثر أيام حياته،** ولذا دعى بالاسكندرى تمييزاً له عن اكليمنضس الرومانى أسقف روما اواخر القرن الأول ومن الآباء الرسوليين... **واكليمنضس اتخذ من الاسكندرية وطناً ثانياً وتتلمذ على أيدى علمائها،** خاصة بنتينوس مدير مدرسة الاسكندرية اللاهوتية الذى حمل له تقديراً كبيراً، ووصفه بأنه أعظم الأساتذة وإكملهم... وتدل كتبه على سعة اطلاعه العجيب... **اعتنق اكليمنضس المسيحية، لكننا نجهل الظروف التى ساقته إلى ذلك... لازم استاذه بنتينوس فى مدرسة الاسكندرية اللاهوتية وخلفه فى رياستها.** وظل فيها حتى ثار اضطهاد الامبراطور سبتميوس ساريرس نحو سنة ٢٠٢ فغادر الاسكندرية مختفياً فى مكان لا نعرفه. **وعندما ترك المدرسة خلفه تلميذه الأشهر أوريجنيوس.** ولا نعرف على وجه التحديد أين ومتى توفى، ولكن يرجح أنه تنيح حوالى سنة ٢١٥ أى انه عمّر نحو ٦٥ عاماً...

و يعتبر اكليمنضس الاسكندرى من آباء الكنيسة وقديسيها ، وضع كُتُباً ومقالات كثيرة لكن ما يهمنا هنا هو كتابه **«الهادى للأمم» أو «النصح للوثنيين»، وفيه يثبت اكليمنضس تفاهة الوثنية وسمو المسيحية عليها فى معتقداتها وآدابها.**

وبعض الأمم على ترك الوثنية والإيمان بيسوع المسيح.

عاش اكليمنضس وسط الاضطهادات التى أثارتها الدولة الرومانية ضد المسيحية، لذا لا نعجب إن وجدناه يخصص فصولاً كاملة فى كتابه «المتفرقات Stromata» عن الاستشهاد. **ويقول إن الاستشهاد أمر أساسى فى حياة المؤمن الغنوسى (العارف بالله)، فإن الاستشهاد ليس مجرد سفك دم، ولا هو مجرد اعتراف شفهى بالسيد** المسيح **لكنه ممارسة كمال الحب. لذا فإن الجميع نساء ورجالاً وسادة وعبيداً مدعوون لنوال إكليل الاستشهاد.**

٨ـ العلامة أوريجينوس:

هو المعلم والباحث الممتاز فى الكنيسة الأولى. وهو بشخصه يعتبر دائرة معارف ويعتبر أحد المفكرين الأصليين الذين شهدهم العالم، **ويرى بعض العلماء أن اوريجينوس هو أعظم فكر يحمل عمقاً ظهر فى تاريخ الكنيسة... وصفه القديس جيروم ـ نقلاً عن القديس ديديموس الضريرـ بأنه أعظم معلم للكنيسة بعد الرسل...**

واوريجينوس مصرى أصيل فاسمه يعني (ابن حورس)... ولد نحو سنة ١٨٥ بالاسكندرية من أسرة مسيحية، واهتم والده ليونيدس Leonides بتهذيبه دينياً منذ طفولته خاصة بمادة الأسفار المقدسة التى **كان يكلفه بأن يحفظ جزءاً معيناً منها كل يوم يتلوه عليه...** أظهر أوريجينوس نبوغاً غير عادى منذ صباه، ويقال ان أباه كان يكشف صدره وهو نائم ويقبله بوقار كمن يقبل روح الله المستقر فى هيكله... استشهد والده فى الاضطهاد الذى اثاره الامبراطور سبتميوس ساويرس وكان أوريجينوس الذى لم يبلغ السابعة عشر من عمره كان يتوق إلى الاستشهاد وكان يشجع والده، وأرسل إليه فى سجنه يقول له: **[احذر أن تغيّر قلبك بسببنا]** (يقصد أمه واخوته الستة)...

خلف استاذه اكليمنضس الاسكندرى فى رئاسة مدرسة الاسكندرية اللاهوتية وهو فى سن الثامنة عشر... وقد اظهر نبوغاً عجيباً، وقد تتلمذ على يديه كثيرون من آباء الكنيسة العظام... وبشهادة **كواستين Quasten** عالم البترولوجى (علم الآباء) **فإن مدرسة الاسكندرية بلغت أوج عظمتها فى عهد أوريجينوس...** وتنيح أوريجينوس

فى سنة ٢٥٤ فى مدينة صور بفلسطين وكان له من العمر ٦٩ عاماً ... وقد اظهر مسيحيو صور اهتماماً كبيراً بجسده فدفنوه بجوار المذبح وغطوا قبره بباب من الرخام نقشوا عليه [هنا يرقد العظيم أوريجينوس] .

أما عن **مؤلفات ومصنفات أوريجينوس** فلا تحصى لكثرتها ولكن للأسف ضاع الكثير منها . ولكن ما يهمنا فى موضوعنا هذا هو **أعماله الدفاعية ، وما يتعلق بالاستشهاد** ... ولعل أهم أعماله الدفاعية هو كتابه « **ضد كلسوس Contra Celsum** » ، **بل لعله يأتى فى مقدمة كل ما كتب من كتب الدفاع عن المسيحية فى القرنين الثانى والثالث ... كتب أوريجينوس مؤلفه هذا فى ثمانية كتب رداً على فيلسوف ابيقورى يدعى كلسوس كتب كتاباً ضد المسيحية أسماه « التعليم الصادق »** . ولم يكن كلسوس معاصراً لأوريجينوس بل قبله بكثير ولم يره لكن وقع كتابه الذى يرجح انه كتبه حوالى سنة ١٨٠ فى يد أوريجينوس ومن ثم كتب مؤلفه مفنداً جميع الترهات التى حشاها به كلسوس ...

بدأ كلسوس حملته على المسيحية بالقول إن الكنيسة هيئة غير شرعية يجب أن لا تعيش لأنها جماعة سرية . وان الجماعات المسيحية يعتدون على القانون العام . وإلاّ فما هى مميزات هذه الجماعة السرية القوية بتماسكها القوى فى وجه الأخطار العامة ... وبعد أن تهكم على المسيحية قال : **[فليرجع المسيحيون إلى طرقهم القديمة ، ويكفوا عن اتباع هذه السخافة التى اخترعت حديثاً ، وهى عبادة يهودى صلب حدثياً فى ظروف مشينة . ليرجعوا إلى العبادة القديمة ، عبادة الآلهة الكثيرة ، إلى عادات آبائهم . فالمسيحية بدعة خطرة حديثة . وإن لم توقف صارت نكبة على الامبراطورية الرومانية] .**

وقد استفتح اوريجينوس مؤلفه ضد كلسوس بقوله : **[عندما شهد شاهدا زور على ربنا ومخلصنا يسوع المسيح لزم الصمت . وعندما اتهم باطلاً لم يجب بشىء . لقد كان مقتنعاً بأن كل حياته وأعماله بين اليهود ، أفضل من أى كلام لدحض شهادة الزور ، واسمى من أى كلام يقوله للرد على الاتهامات ... وعلى أى حال فإن يسوع يهاجمه شهود الزور فى كل الأوقات . وطالما ظل الشر باقياً فى العالم ، فهو معرض للاتهامات بصفة دائمة . ومع ذلك فإنه لايزال صامتاً أمام هذه ، دون أن يقدم إجابة مسموعة ، بل يضع دفاعه فى حياة تلاميذه**

الحقيقيين. وهذه الحياة تعتبر شهادة سامية جداً، وتسمو على كل شهادة زور، وتفنّد وتهدم كل الهجمات وكل التهم التى لا أساس لها].

كتب أوريجينوس كتاباً أسماه « **الحث على الاستشهاد** » حوالى سنة ٢٣٥ وسط الاضطهادات المستعرة فى ذلك الوقت وقد افرغ فيه خلاصة حماسه واشواقه وخبرته ـ شاباً وشيخاً وأرسله إلى أثنين من اصدقائه الحميمين... ومما كتبه فى هذا الكتاب قوله لهما :

[أود خلال التجربة الحاضرة أن تذكرا المجازاة العظيمة المعدة فى السماء للمضطهدين والمعيّرين لأجل البرّ... افرحا وتهللا، كما فعل الرسل حينما حسبوا أهلاً أن يهانوا لأجل اسمه. وإذا حدث أن شعرت نفساكما ببعض الحزن، فدعا روح المسيح الذى فينا يقول لتلك النفس: « لماذا أنتِ حزينة يا نفسى ولماذا تزعجيننى. ترجّى الله لأنى أحمده » (مز ٤٣ : ٥)... جمهرة كبيرة مجتمعة لمشاهدتكما حينما تجاهدان، وتدعيان للاستشهاد... إن آلافاً آلافاً يحتشدون لمشاهدة نزال يشترك فيه بعض من ذوى الشهرة البارزة. حينما تدخلان المعركة يمكن أن تقولا مع بولس « صرنا منظراً للعالم للملائكة والناس ». إذن فالعالم كله. الملائكة جميعاً عن اليمين واليسار. الناس طُرّاً الذين هم إلى جوار الله، والآخرين، الجميع سيسمعوننا ونحن نقاتل من أجل المسيحية. فإما ان الملائكة تبتهج والأنهار تصفّق بالأيدى، والجبال ترنم معاً، وكل أشجار الحقل تصفّق بأغصانها، وإما لا سمح الله تحدق قوات العالم السفلى فى جريمتنا وتشمت (مز ٩٨ : ٨ مع إش ٥٥ : ١٢) **].**

٩ ـ العلامة ترتليانوس :

يعتبر ترتليانوس أب علم اللاهوت فى الكنيسة اللاتينية ، من حيث فضله على تقدم المصطلحات اللاهوتية. ومن اعلام المسيحية القدماء. نعرف القليل عن حياته مما تضمنته كتبه، وما ذكره عنه القديس جيروم فى كتابه « مشاهير الرجال ». ولد نحو منتصف القرن الثانى المسيحى فى قرطاجنة بشمال أفريقية حيث كان والده يشغل منصب قائد فرقة رومانية تحت امرة حاكم أفريقيا... تثقف ثقافة يونانية ولاتينية عالية. وتظهر كتاباته معرفة كبيرة بالتاريخ والفلسفة والشعر والأدب القديم

والمصطلحات القضائية وكل فنون المحاماة . ويبدو أنه اشتغل بالسياسة والمحاماة إما فى قرطاجنة أو فى روما .

عاش وثنياً حتى سن الثلاثين أو الأربعين ثم أعتنق المسيحية . وإن كنا نجهل الظروف التى قادته إلى هذا التحول، لكن الأمر الذى لا شك فيه أن هذا تم عن اقتناع عميق ... **ومنذ ذلك الوقت دافع عن المسيحية بلا أدنى خوف ضد هجمات الوثنيين واليهود والهراطقة ... لكن للأسف الشديد فقد أعتنق هرطقة المونتانيين Montanism بين سنتى ١٩٩ ، ٢٠٣ .** ونحن نجهل تاريخ وفاته على وجه الدقة ، لكنها على أى حال كانت بعد سنة ٢٢٠م . **ويتضح جلياً من مؤلفاته احتقاره للديانة الوثنية وللثقافة الوثنية ، وحماسه الشديد للمسيحية .** وله مصنفات كثيرة ، لكن ما يهمنا فى موضوعنا هو مصنفاته الدفاعية عن المسيحية وكتاباته فى الحث على الاستشهاد والرد على اليهود .

فيما يختص بكتاباته الدفاعية فقد كتب « **رسالة إلى الأمميين الوثنيين** » ، « **رسالة الدفاع أو الاحتجاج** » ، « **والرد على اليهود** » . وله فى الدفاع عن الاستشهاد رسالة دعاها « **ترياق العقرب** » . وحض على الاستشهاد والصبر على الاضطهاد فى رسالة دعاها « **إلى الشهداء Ad Martyras** » ... وعند وفاة الامبراطور سبتميوس ساويرس وزع ابناؤه مالاً على الجنود . وتقدم الجنود فى المعسكرات لتناول نصيبهم من المال واضعين الأكاليل على رؤوسهم . ولكن أحدهم تقدم ممسكاً باكليله بيده ممتنعاً عن وضعه على رأسه ، فلفت نظر السلطات . ولما استجوبوه قال انه امتنع عن وضع الاكليل على راسه لأنه مسيحى . فحكم عليه بالاعدام ونال اكليل الشهادة فكتب ترتليانوس رسالة « **فى الأكاليل** » . وتَفَرَّعَ عن رسالة الأكاليل رسالة أخرى فى الفرار من الاضطهاد أجاب ترتليانوس فيها عن السؤال : ايجوز للمسيحى أن يفرّ ويختبىء فى أثناء الأضطهاد ؟

ومما جاء فى رسالته « إلى الشهداء » قوله : [**لا تجعلوا انفصالكم عن العالم يخيفكم . فلو امعنا النظر فى أن العالم هو فى الواقع السجن الحقيقى فسنعرف أنكم لم تدخلوا سجناً ، بل بالأحرى خرجتم من سجن ... وإن كنتم تنتظرون المحاكمة كل يوم ، لكنكم ستدينون القضاة أنفسهم ... لا يهم أين تكونون فى العالم ، أنتم الذين لستم من العالم**] .

١٠ ـ الشهيد كبريانوس :

ولد وثنياً حوالى سنة ٢٠٠ م أو قبل ذلك ، من أسرة شريفة ثرية . تثقف ثقافة عالية حسب مقتضيات عصره ووضعه الاجتماعى . **ويبدو انه عاش منغماً فى الرذيلة شأن معظم شباب عصره . لكنه اهتدى إلى المسيحية وآمن على يد أحد الكهنة ، وانضم إلى صفوف الموعوظين . ثم باع أملاكه ووزعها على الفقراء ، مستبقياً القليل منها لسد احتياجاته . نذر العفة ونال نعمة العماد سنة ٢٤٥ . ثم رسم أسقفاً على قرطاجنة بناء على رغبة شعبها سنة ٢٤٩ . وأخيراً بعد جهاد حافل فى تلك الفترة الصعبة بسبب الاضطهاد ، نال إكليل الشهادة سنة ٢٥٨ .**

بدأ كبريانوس أسقفيته مع الاضطهاد المروع الذى اثاره الامبراطور داكيوس (٢٤٩ ـ ٢٥١) على الكنيسة المسيحية ، وهو أول اضطهاد شامل عمّ أنحاء الامبراطورية الرومانية كلها ... **اختبأ بعض الوقت حتى زال الاضطهاد . ويبدو أنه فعل ذلك باعلان إلهى . لكنه كان يرعى شعبه من مخبأه . وكتب رسائل كثيرة أرسلها من مخبأه تشديداً للمعترفين فى السجون والمناجم ، واظهاراً لمجد الاستشهاد وتوصية للخدام والاكليروس بالعناية بالمعترفين والشهداء مادياً ونفسياً وروحياً ...**

كتب رسالة عنوانها « **الرد على ديمتريانوس** » يؤكد فيها أن المسيحيين ليسوا مسئولين عما حلّ بالعالم من و يلات الحروب والأ وبئة . فالعالم أسن وشاخ وفسد وانحط فقل خصبه ونتاجه . والذنب فى ذلك ليس ذنب المسيحيين ، بل هو ذنب الوثنيين الذين أخطأوا وارتكبوا الموبقات واضطهدوا المسيحيين ، فأثاروا بذلك غضب الله واستحقوا القصاص .

وكتب مقالة معنونة « **حث على الاستشهاد** » موجهة إلى فورتوناتوس Fortunatus من ثلاثة عشر فصلاً يقول فيها : [**نحن الذين ـ بسلطان من الرب ـ منحنا المؤمنين العماد الأول ، علينا أن نعد كلاً منهم للعماد الثانى ، بحثهم وتعليمهم إن هذا العماد أعظم فى النعمة وأسمى فى القوة وارفع فى الشرف ... بمعمودية الماء ننال مغفرة الخطايا ، وبمعمودية الدم نظفر باكليل الفضائل ... فى سفر الخروج قال موسى للشعب (لما خاف واشتهى الرجوع) «لا تخافوا . قفوا ونظروا خلاص**

الرب. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون». والرب فى إنجيله يحذرنا من أن نعود ثانية للشيطان وللعالم الذى رفضناه. وحيثما ننجو يقول: «ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله». وأيضاً: «والذى فى الحقل لا يرجع إلى الوراء. اذكروا امرأة لوط»... إننا على أبواب حرب اقسى وأشد. وعلى جنود المسيح أن يُعدوا ذواتهم لها بإيمان حىّ وشجاعة قوية، واضعين فى أعتبارهم أنهم يشربون يومياً كأس دم المسيح، حتى بذلك يمكنهم أن يسفكوا دماءهم لأجله].

دفاعات المدافعين

عرضنا لبعض شخصيات من مشاهير المدافعين عن المسيحية ... والآن نتقدم لنلقى نظرة عامة على الاتهامات التى كان هؤلاء المدافعون يدفعونها عن المسيحية ... نستطيع أن نحمل الاتهامات التى وجهها الوثنيين ضد المسيحيين فى ثلاثة اتهامات رئيسية ومن حيث النوع:

- اتهام اخلاقى، ادعوا فيه ان المسيحيين يحيون حياة فاسدة فاجرة.

- اتهام دينى، فقد قالوا ان المسيحيين كفرة بلا دين، أو يدينون بدين فاسد. وبسببهم تحل الكوارث نتيجة غضب الآلهة، لأنهم أعداؤها.

- اتهام سياسى، ادعوا فيه أنهم غير أوفياء للامبراطور، وأعداء للصالح العام، وانهم يؤلفون جماعة سرية.

والاتهامان الأول والثانى، اثارا كراهية عامة الناس، وكانا سبباً فى قيام اضطرابات وهياج شعبى. أما الاتهام الثالث فكان اخطرها وهو أساس الاتهام الرسمى حينما كانوا يقدمون للمحاكمات.

والآن نعرض لهذه الاتهامات الثلاثة، وملخص بردود المدافعين المسيحيين بشأنها...

أولاً - الاتهام الأخلاقى :

كان هو الاتهام البارز ، وأساسه الغيرة التى تولدت عن الشك الذى كان يُنظر به إلى اجتماعات المسيحيين السرية التى كانت تعقد ليلاً بسبب عدم الحرية الدينية ... كان يحدث مثلاً انه بينما الظلام باقٍ - كان الوثنى يبحث عن زوجته التى آمنت بالمسيح فلا يجدها إلى جواره. فكان يساوره الشك الغامض ... وقياساً على ما كان يحدث فى الطقوس الوثنية ، اعتبرت الاجتماعات السرية المسيحية اجتماعات غير مقدسة .

كما سرت **شائعات بخصوص مائدة العشاء الربانى** ... قالوا إن المتنصر حديثاً كان يطعن طفلاً بسكين حتى الموت ، وبعد ذلك ينقض عليه الجميع بسرعة وشراهة ، ويمزقونه إرباً إرباً ويلتهمونه . وتستمر اللذة فى التزايد . وعند اعطاء إشارة معينة تطفأ الأنوار ، وينغمس الجميع فى شهوة بلا تمييز ... ويذكر لنا أوريجينوس أن اليهود هم أصحاب هذه الشائعات ومروجوها ... كانت هذه الشائعات تشويها لمائدة الافخارستيا .

وسمعوا أيضاً عن ولائم الأغابى (المحبة) ولم يكن لها سوى معنى بالنسبة لتخيلهم الدنس ... فالحب والشهوة الجسدية بالنسبة للوثنى فى ذلك الوقت ، كانا المفهومين المسيطرين على فكره ... كانت الاحتفالات الدينية الوثنية ، والفساد الشنيع هى المسيطرة على فكر الوثنيين . **وكانت الطهارة أمراً نادراً لدرجة الشك فى امكان وجودها !! ومن هنا فقد شوّه الوثنيون ولائم المحبة المسيحية واعتبروها تهتكاً متطرفاً . وحسبوا الاغتذاء بجسد المسيح ودمه قتل طفل والتهامه .**

ويرد على ذلك ترتليانوس فيقول : [يضيّق علينا الأعداء كل يوم ، ويخوّنوننا كل يوم . وكثيراً ما نفاجأ فى اجتماعاتنا . ومع ذلك هل رأى أحد طفلاً يولول ، أو اكتشف أحد أى أثر للدنس فى زوجته ؟! أين الإنسان الذى بعد أن اكتشف مثل هذه الفظاعة تستر عليها ؟ أم انه بينما كان يُساق المتهم أمام القاضى ارتشى ليلوذ بالصمت ...] .

وكحقيقة نقول ان السلطات - من وقت للآخر - بذلت قصارى جهدها لتجمع أدلة على هذه الشائعات ، لكنها فشلت ... ويقول يوستينوس الشهيد ان

بعض الإماء ارغمن تحت التعذيب ان يعترفن كذباً بهذه الاتهامات كأمور واقعية تحدث... استجوبت السلطات المرتدين، وكانوا بطبيعة الحال على استعداد تام من أجل نجاتهم أن يجدفوا على اسم المسيح، ومع ذلك لم يجرأوا أن يلطخوا سمعة المسيحيين الطيبة. وتلخصت شهادتهم فى ان المسيحيين يجتمعون معاً قبل طلوع الفجر للصلاة للمسيح، وليرتبطوا جميعاً معاً بواسطة سرّ مقدس ليمتنعوا عن كل الشرور، وليأكلوا معاً أكلة غير ضارة...

وفى النصف الثانى من القرن الثانى حدث اضطهاد شديد فى بلاد الغال (فرنسا)، وانتشرت تقارير عن رذائل المسيحيين بين عامة الناس، فثاروا عليهم كالمجانين... وللأسف دفع التعذيب الشديد بعض الإماء الوثنيات ان يتهمن سادتهن كذباً وزوراً بأكل لحوم البشر والفسق بالمحارم!! وكانت احداهن **تدعى بيلياس Biblias، قد انكرت الإيمان أولاً، ثم استعادت قوتها تحت الآلام بصلوات الشهداء المجاهدين... هذه وقفت فى وجه المجدفين وقالت بشجاعة: [كيف يستطيع هؤلاء أن يأكلوا الأطفال، وهم يحرمون أن يذوقوا حتى دماء الحيوانات غير القاتلة].**

وشخص يدعى اتاللوس Atallos من برغامس، فيما كانوا يعذبونه وضعوه على كرسى حديدى وأشعلوا النار تحته، وتصاعد الدخان من جسده المشوى، فقال للشعب: **[إن هذا الذى تفعلونه انتم هو التهام لأجسام البشر، أما نحن فإننا لا نأكل البشر ولا نرتكب أى شيء آخر].**

ويقول ترتليانوس فى دفاعه متسائلاً عما إذا كان من الممكن أن [أناساً يموتون كما ترونهم يفعلون، يعيشون على نحو ما تقولون انهم يفعلون ؟!]...

والحق ان ميتات المسيحيين كانت شهادة تثبت طهارة الحياة المسيحية. فحياة التساهل مع النفس ليست اعداداً لموت شهيد، لكن أولئك الذين كانوا دائماً يصلبون الجسد مع الأهواء والشهوات، بناء على طريقة روحية، هم الذين يحتمل - فى ساعة التجربة - أن يحتملوا فى شجاعة أكثر الآلام رعباً.

لقد رأى يوستينوس - وهو مازال وثنياً - فى شجاعة المسيحيين واستعدادهم لتحمل العذاب والموت دليلاً قوياً على خلو حياتهم من الشر والخلاعة والدنس...

وقال اثيناغوراس : [إن اخلاق المسيحيين العالية تدرأ عنهم مثل هذه الأتهام الظالم. لأن المسيحيين يعتقدون فى الله انه رقيب على أفكارهم وحركات قلوبهم، وانهم سيدانون عن كل فكر شرير. وهم يصونون ذواتهم عن النظرة الشريرة، فكم بالأولى يعفون عن الأفعال الدنسة. كما أن شريعتهم تفيدهم باعتبار الاقرباء كنفوسهم. فمن ثم يطالبون بأن يصونوا أجسام اخوتهم فى المسيح. ثم هم يزدرون بشهوات الحياة الحاضرة. والبعض منهم يحيون حياة طهر كامل، إذ نذروا أنفسهم لله واختاروا البتولية، واتجهوا إلى الله بالكلية. وبعضهم الآخر - وان تزوج فبقصد انجاب البنين فقط، ويبغضون الزيجات الثانية، ويعتبرونها نوعاً من الزنى المتستر، أى أنهم يقتنعون بالزيجة الواحدة. فليس عند المسيحيين اختلاط اوديبى. وهو فى الحقيقة يصدق على الوثنيين، وآلهة الوثنيين لا على المسيحيين. وكأنهم فى اتهامهم المسيحيين أيدّوا صدق المثل القائل: [العاهرة تعيّر العفيفة].

والمدافعون المسيحيون - وهم بصدد دفع مثل هذه الاتهامات - استشهدوا بحياة المسيحيين الخالية من الشر. كما اشاروا إلى التغيير الذى احدثته المسيحية فى حياة الكثيرين. يقول يوستينوس: [الوثنيون يحسبوننا مجانين لأننا نعبد هذا المسيح الذى صلب فى عهد بيلاطس البنطى كإله مع الآب. لكنهم لو عرفوا سرّ الصليب، لما قالوا ذلك. لكنهم يمكنهم ان يعرفوه عن طريق ثماره. فنحن الذين عشنا قبلاً فى الفجور نتعلم الآن العفة. نحن الذين استخدمنا السر، كرّسنا ذواتنا للخير - الإله المتأنس. نحن الذين احببنا المال والمقتنيات أكثر من أى شىء آخر، نقدّم مانملك عن رضى للخير العالم، ونعطى كل محتاج. نحن الذين حاربنا وقتلنا بعضنا بعضاً نصلى الآن لأجل أعدائنا. أولئك الذين يضطهدوننا عن كراهية، نحاول برفق أن نهدئهم، على رجاء أن يشتركوا فى نفس البركات التى نتمتع بها] ... وعن نفس هذا المعنى يقول ترتليانوس: [إن الاسم المكروه (مسيحى) يُطلق على الشخصية التى أصلحت ... لقد أبغض الوثنيون المسيحية أكثر مما أحبوا الصلاح ... انك لن تجد مسيحياً فى السجون إلاّ بسبب اسمه. وإذا وجد لأى سبب آخر فهو لم يعد مسيحياً] ...

يمضى ترتليانوس وهو يشرح كيف أن المسيحيين ابرياء من أية جريمة فيقول:

[فضيلتهم مؤسسة على ديانتهم. مفهومهم للفضيلة تعلموه من معلمهم الإلهى. شريعتهم الاخلاقية تعلموها من شفاه الإلهية. ويتوقعون أن يحاكموا أمام قاضٍ إلهى. وعقيدتهم فى العذاب الأبدى انه جزاء الخطية، وإن الحياة الأبدية مجازاة عن الصلاح. وفضلاً عن ذلك، فالوصايا التى وضعت عليهم متسعة جداً، حتى انها تشمل كلمات الشفاة وأفكار القلب ...].

ويقول المدافع المسيحى ارنوبيوس : [لماذا تستحق كتبنا أن تلقى فى النار، وان تمنع اجتماعاتنا بالقوة؟ فى هذه الاجتماعات ترفع صلوات للإله الواحد، ونسأل السلام والغفران لكل من له سلطان: للجنود والملوك للأصدقاء والأعداء، لأجل الأحياء والذين اعتقوا من رباطات الجسد. كل ما يقال فى هذه الاجتماعات يتجه إلى جعل الناس خيرين، لطفاء، متواضعين، فضلاء، أطهاراً، أسخياء فى معاملاتهم المادية].

ومن الانصاف القول إن هذا الاتهام لم يصدقه الوثنيون النابهون فى أى وقت من الأوقات، لكن عامة الشعب اعتقدوا فى صحتها بناء على الشائعات الكثيرة. وان كانت السلطات اعتمدتها من أجل خدمة اغراضهم. ومن أمثلة ذلك انه فى اضطهاد دقلديانوس كانوا يحكمون على العذارى بأن يودعن بيوت الدعارة، وذلك لعلم المضطهدين أن وصمة العار للطهارة والعفة المسيحية هى أكثر رعباً لهن من أية عقوبة أو ميتة !!

ثانياً ـ الاتهام الدينى :

اتهم المسيحيون أنهم إما كفرة وبلا إله على الاطلاق، وإما انهم يعبدون أشياء شاذة ... ومن ذلك قولهم **ان المسيحيين يعبدون الشمس**. ولعل مما شجع على ذلك أن يوم الأحد Sunday هو يوم عبادة المسيحيين وكذلك اتجاههم نحو الشرق فى صلواتهم ... والبعض ظنوا **أنهم يعبدون الصليب**، لأن المسيحيين كانوا يعتزون بالصليب ويرسمونه على ذواتهم.

ويقول يوستينوس الشهيد فى دفاعه عن هذا الاتهام : [حقاً اننا ملاحدة (فى نظر الوثنيين) !... نحن كذلك بالنسبة لآلهتكم. لكننا لسنا كذلك بالنسبة لإله الحق، أب البرّ والحكمة والفضائل جميعاً، الكلى القداسة] ... وقال **اثيناغوراس** فى دفع هذا

الاتهام: [إن المسيحيين يعبدون إلهاً يختلف في صفاته عن آلهة الوثنيين فهو روح سرمدى (أزلى أبدى)، بسيط، متميز عن المادة. وهو الخالق الواجب الوجود المسيطر على الكون. فهو إذن واحد وليس غيره إله. والمسيحيون مؤمنون بالله وليسوا ملحدين، وانما هم يعفوّن عن ضحاياكم الدموية، لأن إلههم لا يطلب غير ضحية القلب والطهر وحسن السلوك].

كان هذا الاتهام - الكفر - أكثر رواجاً بين عامة الناس . وربما تهمة الكفر كان لها ما يؤيدها فى نظر الوثنيين. فقد كانت اماكن عبادة المسيحيين خالية من متطلبات العبادة التى اعتادوا رؤيتها فى معابد كافة الديانات. وعلى هذا الأساس قال الفيلسوف الوثنى كلسوس: [فطالما أن المسيحيين ليس لهم معبد، فبالتالى ليس لهم آلهة].

ومما زاد الأمر صعوبة بالنسبة للمسيحيين أن **الخرافات كانت تسيطر على عامة الناس فى زمن الكوارث كالزلازل والفيضانات والقحط والمجاعات والأوبئة ...** فكانت الصيحات تتعالى بأن هذه الكوارث بسبب غضب الآلهة لأن معابدها اهملت بسبب المسيحيين ...

كان هذا الاعتقاد سائداً ومسيطراً على العقلية الرومانية، لذا اهتم كثير من المدافعين بدحض هذا الاتهام واظهار أن لا أساس له ...

يقول المدافع المسيحى ارنوبيوس أن هذه الكوارث كانت تحدث قبل ظهور المسيحيين بزمان طويل [انها ثلثمائة سنة منذ أن بدأنا نحن المسيحيين فى الظهور. كم من حروب توالت، وكم من محاصيل خابت؟ ثم ألم يحدث فى أيامنا سلام غامر على الأرض؟ على عكس ذلك، لقد كانت هناك دائماً أوفر محاصيل القمح ومواسم الرخاء. واحرزت الدولة انتصارات لا حصر لها. واتسعت رقعةُ الامبراطورية وامتدت حدودها. انه من الانصاف ان تنسبوا نجاحكم لنا، كما تحاولوا ذلك فى كوارثكم. وفضلاً عن ذلك، فهل من المناسب أن تنسبوا الغضب والحقد للآلهة الخالدة. **اتوجد هذه الانفعالات فى عقول الآلهة ؟!. ثم إذا كنا نحن الذين نكدرها، فهل تحتاج الآلهة إلى محاماتكم العنيفة عنها لتنتقموا بالاهانات الموجهة إليها؟ كان فى امكانها أن تبيدنا وتمحونا عن وجه الأرض بالحرارة والبرد، بالعواصف**

والأمراض. لماذا لا تظهر قوتها إن كانت غاضبة حقاً؟ وإلى جانب ذلك، إذا كنا نحن وحدنا نكدرها، فلِمَ لا يحل الانتقام بنا وحدنا؟]

ونفس المعنى ردده ترتليانوس وقال: [كل ذلك حدث قبل أن يذكر اسم مسيحى بزمان طويل... وكحقيقة فإن المسيحيين يخففون من الكوارث التى تأتى على الأرض. فبينما يتوسل الوثنيون فى زمان الكوارث والفزع طالبين من الآلهة النجاة بتقريب القرابين والمواكب الدينية، **فان المسيحيين بالصوم والصلاة والامتناع عن الشر والمتع المادية يفتحون السماء بلجاجتهم. انهم يمسّون قلب الله، وهو يترأف، لكن جوبتر هو الذى يحظى بالكرامة**].

ثالثاً- الاتهام السياسى:

وهو أهم الاتهامات وأخطرها جميعاً. ويتلخص فى أن المسيحيين **يؤلفون جماعة سرية، ويتبعون ديانة جديدة محرمة، وهم غير أوفياء للامبراطور، وغير منتجين للدولة !!**

+ **من جهة الجماعات السرية**، كان حماس الرومان ضدها شديداً جداً... ولعل هذا الاحساس تولد نتيجة أن ثمة سرية كانت تحوط المسيحيين وديانتهم، وكانت هناك أمور كثيرة تثير الشك... كان المسيحيون جماعة من الناس من كل الشعوب تنمو وتنتشر كل يوم، ويرتبطون برباط معين لغرض غير معروف... عدم محبتهم للعالم والازدراء بكراماته ومباهجه كانت تظهرهم بمظهر يضاد بقية الناس... وكانت تشيع شائعات عن مملكة يؤسسونها، وهى ليست شىء غير ملكوت المسيح على الأرض وهو ملك روحى.

+ **من جهة ان المسيحية ديانة جديدة محرمة:**

قد يبدو لأول وهلة أن اضافة ديانة جديدة إلى الديانات القائمة أمر ليس خطيراً. وماذا يضر الدولة فى ذلك... لكن المسألة أن المسيحية من حيث طبيعتها ورسالتها، كان التقاؤها بالوثنية على صعيد واحد أمراً مستحيلاً لأن كلاهما خصم للآخر: ولعل ذلك يتضح من استعراض بعض النقاط:

[المسيحية جاءت كديانة مسكونية على عكس المعبودات المحلية وعلى عكس اليهودية أيضاً].

[المسيحية نادت بانها الديانة الوحيدة الحقة] .

[المسيحية علمت بفصل الدين عن الدولة] .

[الحماس الشديد للروحانية بالمقارنة مع النشاط الاجتماعي] .

فالمسيحية أتت بمفاهيم جديدة تماماً من جهة العبادة - لم تعد الديانة مجموعة من العبادات تتكرر أو صيغ غير مفهومة لم تعد مادة بل روحاً - غيرت المسيحية طبيعة العبادة وشكلها لم يعد الإنسان يعطى الإله المأكل والمشرب . ولم تعد الصلاة صيغة لعزيمة سحرية بل أصبحت عملاً من أعمال الإيمان ، وحلت المحبة محل الخوف من الإله المعبود - لم يعد أجانب أو غرباء بالنسبة لإله المسيحيين ، ولم يعد الاجنبي يدنس المعبد أو ينجس القربان لمجرد حضوره ، بل صار إلى المسيحيين أباً لكل من يؤمن . ولم تعد الديانة تأمر ببغضاء الأجنبي بل علمته محبة الأعداء . هكذا خفضت المسيحية الحواجز بين الشعوب والاجناس ، وعلمت أن جميع الشعوب انحدروا عن أب واحد .

فالمسيحية فى صميمها ديانة تبشيرية تسعى نحو الآخرين ، وكان هذا موضع سخرية أن تدعو جميع الشعوب فى آسيا واوربا وافريقيا ، من اليونان والبرابرة والساكنين فى أقصى الأرض ، وضمّهم إليها تحت شريعة واحدة . وأكثر من ذلك أنها أنكرت عبادة الامبراطور التى قصد بها الرومان توحيد العالم برباط ديني واحد . وهكذا بدت المسيحية كديانة مسكونية تشكل منافساً خطراً .

وقد رد المدافعون المسيحيون على حداثة المسيحية كديانة أن ظهورها كان يحتاج لإعداد تاريخى به يتدرب الجنس البشرى تقوياً لاقتبال المسيح ... وقيل ان المسيحية كانت فى علم الله وحكمته منذ الأزل وهذا يظهر فى نبوات الأنبياء . وقد اثبت المدافعون قِدم كتابات موسى وما حوته عن كل الكتابات الوثنية . وبذا استطاع المدافعون أن يرجعوا المسيحية إلى ما قبل الطوفان بل إلى جنة عدن !! وأثبتوا حداثة الآلهة الوثنية بالمقارنة مع المسيحية بأصولها وجذورها .

وارنوبيوس المدافع المسيحى يشير إلى التحسينات فى العلم والفن والحضارة . و يتساءل هل فى هذا شيء ردىء لأنها جديدة ؟ و يقول ان المسألة نسبية [ان معتقدنا الذى نتمسك به جديد ، وسيصبح يوماً ما قديماً . ومعتقدكم الآن قديم ، لكنه حين ظهوره كان جديداً ولم يسمع به . وصحة الديانة لا تقرر بناء عن عمرها بل عن

طبيعتها . اننا نعترف أن ديانتنا لم يكن لها وجود منذ اربعمائة سنة ، ولكن منذ الفى سنة أيضاً لم يكون لآهتكم وجود] .

+ من جهة عدم الولاء للامبراطور :

اعتبر المسيحيون غير موالين للامبراطور لأنهم رفضوا أن يقدموا له احترام العبادة ورفضوا أن يجعلوا منه إلهاً، فاعتبروا خونة !!

و يدافع **يوستينوس الشهيد** عن هذا الاتهام فيقول : **[إننا نعبد الله وحده، لكن ليس ما يمنع أن نطيعكم بسرور، ونعترف بكم كملوكنا وحكامنا ، ونطلب لأجلكم أن تضاف الحكمة إلى السلطة الجليلة التى تتقلدونها حتى ما تحسنوا استخدامها]** . ويخبرنا المدافعون بأن المسيحيين كانوا على أتم استعداد لتقديم كل الاكرام اللائق بالبشر للامبراطور كرعايا أتقياء أوفياء . واوضحوا انه لا وجود للمسيحيين بين المتآمرين ، لأن ديانتهم تمنعهم من أن يريدوا الشر لأى أحد سواء بالعمل أو الكلام أو الفكر.

+ أما القول بعدم نفع المسيحيين للدولة ...

ولعل ذلك نشأ نتيجة اهتمام المسيحيين بالروحيات بالمقارنة بالنشاط الاجتماعى ، واحساسهم بأنهم ليسوا من العالم ويجب عليهم ألاّ يحبوا العالم وكل ما فيه... ولذا كان المسيحيون يعزفون عن العالم ومباهجه ولا يرتاحون إليها ، ولا يشاركون مواطنيهم الرومان فى حفلاتهم العامة التى فيها من الأمور ما يتنافى مع مبادئهم وسلوكهم .

نماذج من المدافعين عن العقيدة

ما ذكرناه سالفاً كان عن الفترة التى كانت فيها المسيحية ديانة مضطهدة من الدولة الرومانية التى كانت معقل الوثنية فى العالم ... **لكن ما كاد الاضطهاد الوثنى الدموى ينتهى فى مطالع القرن الرابع الميلادى بتملك قسطنطين الكبير أول الملوك الرومان الذين اعتنقوا المسيحية واصدر منشوراً للتسامح الدينى - ليس للمسيحية وحدها ، بل لجميع الديانات - ما كاد هذا يحدث حتى بدأت الكنيسة المسيحية تواجه متاعب شديدة وتمر بها ظروف عصيبة نتيجة ظهور بعض الهرطقات الخطرة التى هددت المسيحية كديانة فى صميم عقيدتها.** حقيقة أن الهرقطات ظهرت منذ وقت مبكر - منذ عصر الرسل. لكنها لا تقارن بالهرطقات التى ظهرت منذ أوائل القرن الرابع الميلادى ، من جهة خطورتها على العقيدة المسيحية ذاتها ... وكما حدث دائماً منذ فجر المسيحية ، فقط ظهر بعض الآباء العظام الذين دافعوا عن العقيدة المسيحية من أمثال البابا الاسكندرى أثناسيوس ، وايلاوى أسقف بواتييه بفرنسا الذى يسمونه أثناسيوس الغرب ، والبابا ديسقوروس .

البابا أثناسيوس الرسولى :

ولد أثناسيوس ومعناه الخالد سنة ٢٩٦ بمدينة الاسكندرية من أبوين وثنيين كريمى الأصل . تُوفى والده وهو مازال صغيراً . قضى حداثته فى أواخر الاضطهاد الكبير الذى اثاره دقلديانوس . وكان المؤمنون وقتئذ فى مصر يذهبون إلى الاستشهاد بالآلاف ، غير مبالين بالعذاب ، فخورين بإيمانهم المسيحى ... نال سرّ العماد وهو صبّى وأخذ يدرس العلوم اللاهوتية بمدرسة الاسكندرية الشهيرة وتتلمذ على ايدى اساتذتها من أمثال كليمنضس الاسكندرى واريجينوس ... الحت امه عليه بالزواج فرفض إذ كان مستغرقاً فى الدراسة وقراءة سير الآباء القديسين الذى أخذ يتمثل بسيرهم ... قضى بعض الوقت فى البرية متتلمذاً على يدى القديس أنطونيوس الكبير، واكتسب فضائل زادت من شخصيته جمالاً ومن عوده صلابة ... **واستطاع أثناسيوس فى تلك الفترة ، وفى سنه المبكر أن يكتب كتابين أحدهما عن « بطلان الأوثان أو رسالة إلى الوثنيين » والثانى عن « وحدانية الله » وتجلت فيهما مواهبه .**

عاد أثناسيوس للبابا الكسندروس ورسمه شماساً خاصاً له ... وسوف لا نسهب فى الكلام عن حياة أثناسيوس الشخصية **لكن ما يعنينا فى موضوعنا هو دفاعه المجيد ضد المبتدعين عامة والاريوسيين بصفة خاصة**. وكان آريوس ـ الذى إليه تنسب البدعة الأريوسية ـ قساً ليبياً حضر للاسكندرية بقصد تلقى العلوم الدينية وانحرف آريوس فى تعليمه عن المسيح ابن الله، وامتلأت عظاته ومقالاته تجديفاً على الأقنوم الثانى ... وعقد البابا الاسكندرى مجمعاً سنة ٣١٩ قدموا فيه النصح لآريوس أن يكف عن ضلاله ... ولما لم يرتدع آريوس عقد البابا مجمعاً سنة ٣٢١م دعا إليه جميع أساقفة مصر وليبيا حضره نحو مائة أسقف، وقرر المجمع حزم آريوس واسقاطه من رتبته الكهنوتية .. بعد أن زاد خطره حتى امتد إلى عامة الشعب فى تعليمهم ترانيم (الثاليا) حشاها بتجاديفه ...

بدأ آريوس ينشر آراءه الفاسدة وهرطقته خارج اقليم مصر، وأخذ يتصل ببعض أساقفة الكراسى الأخرى. وكانت النتيجة أن اضطربت الكنيسة اضطراباً شديداً. ونما الخبر إلى الملك قسطنطين، واستقر الأمر على عقد أول مجمع مسكونى سنة ٣٢٥ بمدينة نيقية اجتمع فيه ٣١٨ أسقفاً عن كنائس العالم المسيحى شرقاً وغرباً. وحضر البابا الاسكندرى الكسندروس ومعه شماسه النابه أثناسيوس ... وافتتح المجمع ودارت المناقشات. وأخذ أثناسيوس الشماس يناقش ويجادل آريوس وقد جاوز الستين عاماً من عمره. وانتهى المجمع إلى وضع قانون الإيمان وحرم آريوس ومن يقول بقوله ونفى آريوس ... وفى هذا المجمع أظهر أثناسيوس نبوغاً فريداً وقوة حجة حتى أن المؤرخ الكنسى سقراط قال: [إن فصاحة أثناسيوس فى المجمع النيقاوى جرت عليه كل البلايا التى صادفها فى حياته] ...

تنيح البابا الكسندروس فى العام التالى لانعقاد المجمع سنة ٣٢٦ بعد أن أوصى الأساقفة باقامة أثناسيوس خلفاً له لكن أثناسيوس هرب واختبأ عند القديس أنطونيوس. وكانت الجماهير المتحمسة تصيح: [انه رجل أمين. انه الفضيلة عينها. انه مسيحي حقيقى وناسك وأسقف بكل معنى الكلمة] ... **وذهب بعض الأساقفة واحضروه وتمت رسامته سنة ٣٢٦ وله من العمر نحو ثلاثين عاماً!! وقد حاول الاريوسيون منع اتمام هذه الرسامة فلم يفلحوا وبأساليبهم الملتوية وعن طريق شقيقة الملك قسطنطين عفا عن آريوس واعاده من المنفى بعد أن قدم له صورة**

إيمان ملتوٍ، وأرسل خطابات إلى أساقفة أورشليم أن يقبلوه فى شركتهم. ثم عفا عن جميع الأساقفة الاريوسيين واعادهم إلى كراسيهم...

لكن البابا الاسكندرى أثناسيوس أبى قبول آريوس فى شركة الكنيسة وطرده من الاسكندرية فعاد إلى الملك بخيبة أمل وارسل أثناسيوس رسالة إلى قسطنطين يقول له فيها: [إنه لا يمكن أن يقبل فى كنيسته رؤوس الهراطقة المحرومين... والكنيسة لا تقبل فى شركتها أناساً ينكرون ألوهة يسوع المسيح... ومن حرمه مجمع مسكونى، لا يحله من الحرم إلاَّ مجمع مسكونى آخر]..

ثارت ثائرة الملك، وانتهز الاريوسيون هذه الفرصة واخذوا يدسون الدسائس الخبيثة، واخذوا ينسبون للبابا أثناسيوس أخطاءً... استدعى الملكَ أثناسيوس، فلما التقى بالملك اقنعه ببهتان إيمان آريوس، فاقتنع الملك بكلام أثناسيوس، الذى عاد إلى الاسكندرية شاكراً الله الذى أظهر براءته لكن المؤامرات الاريوسية لم تنته عند هذا الحد... فبموافقة الملك عقد مجمع فى صور سنة ٣٣٤م لمحاكمة أثناسيوس وهناك نسب الاريوسيون لأثناسيوس أنه اغتصب امرأة وأخطأ معها، وانه قتل أسقفاً. وفى المجمع أظهر الله براءة أثناسيوس لأن المرأة التى ادعت عليه لم تتعرف عليه. أما الأسقف الذى قيل انه قتل انبه ضميره وذهب واعترف لأثناسيوس، وبتدبيره حضر المجمع متنكراً، ولما أثاروا موضوعه نهض معلناً انه حى وابرز ذراعيه سليمتين... استاء الأساقفة الأرثوذكسيون وتركوا المجمع. وهنا خلا الجو للأريوسيين فأصدروا حكمهم بادانة أثناسيوس ورفعوا الأمر للملك، وانتهى الأمر بنفى أثناسيوس إلى مدينة تريف بفرنسا وكان ذلك سنة ٣٣٦ وهو النفى الأول...

تكرر انعقاد المجامع ونفى أثناسيوس وعودته، حتى بلغت المرات التى نفى فيها خمس مرات، كان آخرها أواخر سنة ٣٦٥ لكنه اعيد إلى كرسيه بالاسكندرية أوائل سنة ٣٦٦... وظل يباشر مسئولياته الرعوية حتى رقد فى الرب فى أوائل سنة ٣٧٣م وكان له من العمر ٧٨ عاماً فى السنة السادسة والأربعين لأسقفيته ودفن بالاسكندرية.

كان دفاع أثناسيوس عن لاهوت المسيح، هو دفاع عن قيمة المسيح فى

الكنيسة لمدة نصف قرن منها ٤٦ عاماً فى اسقفيته وأربعة سنوات وهو شماس قبل الاسقفية... كان دفاع أثناسيوس ونضاله وما احتمله فى سبيل ذلك دفاعاً عن كيان المسيحية وبقائها. لذلك يعتبر أثناسيوس فى تثبيت عقيدة ألوهة المسيح، انه انما أقام المسيحية من جديد... قال القديس جيروم: [جاء على العالم وقت اعتقد فيه أنه سيصبح يوماً يجد نفسه فيه اريوسياً]... لذا قال المؤرخون عن أثناسيوس: [إنه بحق يعتبر مؤسس المسيحية الثانى، لأنه لولا أن انعم الله على الكنيسة بأثناسيوس ما بقيت الكنيسة إلى اليوم]... قيل له يوماً: [لقد صار العالم كله ضدك يا أثناسيوس] فأجابهم: [وأنا بنعمة إلهى ضد العالم].

كانت البدعة الاريوسيسة بدعة دقيقة، ليس من السهل على الناس أن يفطنوا إلى ما تنطوى عليه من انحراف ومن ضلال. خاصة وانها ظهرت فى مطالع القرن الرابع حينما كانت لاتزال للوثنية بعض قوتها. كما كان لليهود فى مصر -خاصة الاسكندرية- جالية كبيرة ونفوذهم الأدبى.. انضم هؤلاء وأولئك إلى آريوس فى مقاومة أثناسيوس.

كانت الوثنية أيضاً بأفكارها ومدارسها تؤيد الفكر الاريوسى. لأن ما قاله آريوس عن المسيح سبق أن قاله أفلوطين الوثنى الذى قال: [إن الله مستشرف على المادة، ولا يمكن أن الله المستشرف والعالى على المادة أن يتنازل فيخلق المادة. فلا بد أن يخلق كائناً متوسطاً يخلق به العالم]... هذه الفكرة الأفلاطونية هى التى أخذها آريوس والبسها لباساً دينياً، وأيدها بآيات من الكتاب المقدس اساء تأويلها وتحريفها... **وهكذا لم يكن الفكر الاريوسى إلاَّ فكراً وثنياً ذا لباس مسيحى. وهذا عين ما قاله أثناسيوس: [إن أفكار آريوس أفكار وثنية]...**

إذا اضفنا إلى الوثنية بفلسفتها واليهودية بكراهيتها ومكرها، انضمام الدولة بقوتها وسلطانها لتأييد آريوس الذى استطاع أن يخدع كثيرين ومنهم عامة الشعب، ادركنا مدى البطولة والجهاد والاحتمال التى أظهرها أثناسيوس حتى وصلنا الإيمان الذى نؤمن به سليماً وانجيلياً.

يعتبر أثناسيوس اللاهوتى الأول فى القرن الرابع المسيحى، **فهو** الذى دافع عن لاهوت المسيح دفاع الأبطال. **وهو أول من استخدم الكلمة اليونانية**

« هوموأوسيوس » التى تعنى مساوٍ فى الجوهر للتعبير عن مساواة الابن للآب وانه من ذات جوهره ، بدلاً من كلمة مشابه فى الجوهر التى حاول آريوس استخدامها . والفرق بينهما فى اليونانية حرف يوتا ... وهو الذى وضع قانون الإيمان الذى تردده جميع كنائس العالم شرقاً وغرباً . وترك لنا تراثاً خصباً وغنياً مع رسائل ، بلغت جميعها ٨٣ نذكر اهمها :

- رسالته إلى الوثنيين كتبها سنة ٣١٨ وله من العمر نحو ٢١ سنة . والغرض منها أظهار سمو المسيحية بالمقارنة بعبادة الأصنام .

- تجسد الكلمة كتبه فى نفس السنة ويعتبر بحثه هذا أعظم ما كتبه فى تجسد الكلمة .

- مقالات فى الرد على الاريوسيين كتبها بعد مجمع نيقية فى الفترة من سنة ٣٥٦ إلى سنة ٣٥٨ ، وتعتبر موسوعة لاهوتية فى أثبات لاهوت المسيح وبنوته لله .

- رسالة عن الروح القدس وقد ارسلها من منفاه الثالث (٣٥٦ - ٣٦١) إلى صديقه سرابيون الأسقف .

- رسائل فصحية وعددها ٤٥ رسالة كتبها فى المدة من ٣٢٩ إلى ٣٧٣ أى مدة أقامته بطريركاً .

- سيرة القديس الأنبا أنطونيوس و يقال انه كتبها فى روما بين سنتى ٣٥٦ ، ٣٦٢ .

القديس ايلارى أسقف بواتييه :

القديس ايلارى أسقف بوايتيه بفرنسا هو أحد آباء الكنيسة . وأغسطينوس الذى استعان به ضد البلاجيين الهراطقة وصفه بأنه من المع واشهر آباء الكنيسة . و يقول عنه جيروم إنه كان بليغاً وانه صوت اللاتين العالى ضد الأريوسيين . وقال عنه مع القديس كبريانوس : [لقد غرس الرب شجرتى صنوبر جميلتين خارج العالم داخل الكنيسة] .

كان ينتمى لأسرة معروفة فى فرنسا . ونشأ وثنياً كما قال عن نفسه ، ولكن النعمة

الإلهية قادته للإيمان المسيحى وذلك فيما كان يقوم بدراسته بحماسة عن الله، اكتشف خلالها حماقة الاعتقاد بتعدد الآلهة، واقتنع بأنه لا يوجد سوى إله واحد. ولا بد أن يكون هذا الإله أبدياً وغير متغير وكلى القوة، وهو العلة الأولى والخالق لكل الأشياء. ووجد ايلارى أن كل هذه الأفكار تتمشى مع ما جاء بالأسفار المقدسة المسيحية. ووجد فى قراءة العهد الجديد اجابة على استفساراته التى كانت تجول بخاطره. وآمن بما جاء فى صدر إنجيل يوحنا أن الكلمة الإلهى -الله الابن- مشارك للآب فى الأزلية والجوهر. وهكذا بعد أن عرف ايلارى الإيمان اعتمد وهو متقدم فى السن.

كان ايلارى متزوجاً قبل عماده، وكانت ابنته وتدعى Apra ابرا على قيد الحياة عندما اختير أسقفاً على بواتييه نحو سنة ٣٥٠ م... **عمل كل ما بوسعه للهروب من درجة الأسقفية لكن صفاته جعلت الناس يتمسكون به أكثر... وكانت توقعات الناس بالنسبة لشخصية ايلارى فى محلها، لأن صفاته البارزة أضاءت متألقة، لا لتجذب انتباه فرنسا فحسب بل الكنيسة كلها.**

كانت معظم كتابات ايلارى عن الجدل الاريوسى الذى كان محتدماً فى ذلك الوقت. ولقد كان ايلارى خطيباً بارعاً وشاعراً. امتاز أسلوبه بالسمو النبيل والبلاغة... وكان يُجلّ الصدق ولا يبالى بالآلام فى سبيل الحق والدفاع عنه.

وبسبب دفاعه عن الإيمان القويم ومقاومته للاريوسية والاريوسيين ورفضه ادانة القديس اثناسيوس، نفى القديس ايلارى فى منتصف سنة ٣٥٦. وكان يغمره فرح شديد كما لو كان فى رحلة طيبة. وظل فى المنفى نحو ثلاث سنوات قضاها فى تأليف العديد من الكتب. ولعل أهمها وأكثرها قيمة كان كتابه «عن الثالوث».

حاول الاريوسيون وانصاف الاريوسيين عقد مجمع لإلغاء قانون الإيمان النيقاوى، وحاولوا استمالته إلى صفهم معتبرين كسبه نصراً كبيراً لهم. لكن همته لم تثبط، ودافع بشجاعة نادرة عن هذا الإيمان. أخيراً بعد أن سئم الجدل ذهب إلى القسطنطينية وقدم التماساً للامبراطور قسطنطيوس طالباً السماح بعقد مناقشة علنية مع ساتورنينوس الذى كان سبباً فى نفيه. لكن الاريوسيين خشوا هذا اللقاء، واتصلوا بالامبراطور الذى اعاده ثانية إلى فرنسا... وظل يناضل ضد الاريوسية والاريوسيين حتى نياحته فى سنة ٣٦٨.

البابا ديسقوروس :

هو البطريرك الخامس والعشرون من بطاركة كرسى الاسكندرية ، وتلقبه الكنيسة « بطل الأرثوذكسية العظيم » . كان شيخاً وقوراً ، جمع بين الروحانية ، والعمق الدراسى اللاهوتى ، والشجاعة المسيحية ، والصلابة فى الحق ، والرغبة فى التضحية حتى بالنفس من أجل الإيمان .

حدث بعد وفاة الملك ثيئودوسيوس الصغير (٤٠٨ - ٤٥٠) الذى تلقبه الكنيسة بالملك الأرثوذكسى ، أن أعتلى عرش المملكة الملك مركيان وزوجته الملكة بولشريا . وفى هذا الوقت الذى احتدم فيه الجدل اللاهوتى حول طبيعة السيد المسيح ، كانت المؤامرات تحاك ضد كنيسة الاسكندرية واساقفتها العظام ، بسعى لاون أسقف روما لدى الملك مركيان وزوجته .

عقد الملك مركيان مجمعاً فى قصره بالقسطنطينية من أجل موضوع الساعة ـ وهو طبيعة السيد المسيح ـ دعا إليه كثيراً من الأساقفة معظمهم من النساطرة . وكان البابا ديسقوروس ضمن المدعوين ، واندهش لكثرة عدد الأساقفة المجتمعين بلا سبب ... كان لا يدرى أن هناك مؤامرة مبنية ضده ، لكنه لم يرهب الموقف ... ولما تساءل عن السبب فى عقد المجمع ، اجابه أحد الأساقفة بأن الملك يهدف إلى توضيح الإيمان . **فقال البابا ديسقوروس فى جرأة : [إن الإيمان هو فى غاية الكمال ، ولا يعوزه شيء من الايضاح . وهو مقرر ومثبت من الآباء أمثال أثناسيوس وكيرلس وغيرهما] .**

حاول البعض أن يستميلوه لكى يوافق على طومس لاون أسقف روما ، الذى يثبت الطبيعتين فى شخص المسيح بعد الاتحاد قال : [ان اعتقاد البيعة ينبغى ألاّ يزاد عليه أو ينقص منه . فالمسيح واحد بالطبع والجوهر والعقل ، والمشيئة كما علّم الآباء] ... ثم أخذ يشرح لهم المعتقد السليم ... وحدث أن أحد الأساقفة المجتمعين فى قصر الملك ، أخذ يوجه الكلام إلى البابا ديسقوروس ، طالباً إليه أن يذعن لرغبة الملك ولا يخالفه كى يبقى فى منصبه ... **فما كان من ديسقوروس إلاّ أن قال له : [إن الملك لا يلزمه البحث فى هذه الأمور الدقيقة . بل ينبغى عليه أن ينشغل بأمور مملكته وتدبيرها ، ويدع الكهنة يبحثون موضوع الإيمان المستقيم ، فإنهم**

يعرفون الكتب. وخير له أن لا يميل مع الهوى، ولا يتبع غير الحق !!].

دهش الجميع من جرأته... وهنا قالت الملكة بلشاريا: [يا ديسقوروس، لقد **كان** فى زمان والدتى أفدوكسيا، إنسان عنيد مثلك (تقصد القديس يوحنا ذهبى الفم)، وأنت تعلم انه لم يرَ من جراء مخالفتها خيراً. وأنا أرى أن حالك سيكون مثله]... فأجابها بكل جرأة: **[وأنت تعرفين ما جرى لوالدتك نتيجة اضطهادها لهذا القديس. وكيف ابتلاها الله بالمرض الشديد، الذى لم تجد له دواء ولا علاجاً حتى مضت إلى قبره وبكت عليه واستغفرت الرب فعوفيت وهأنذا بين يديك فافعلى ما تريدين، وستربحين ما ربحته امك...].**

كانت نتيجة هذه الاجابة الصريحة الشجاعة أن تهجمت هذه الملكة الشريرة، ومدت يدها وصفعته صفعة شديدة اقتلعت ضرسين من أضراسه نظراً لشيخوخته. وما لبث أن انهال عليه بعض رجال القصر واوسعوه ضرباً. وامعاناً فى الاستهزاء به نتفوا شعر لحيته !!... أما هو فبقى صامتاً محتملاً ويقول: **«من أجلك نمات كل النهار»** ثم جمع الأب الضرسين مع شعر لحيته، وارسلهما إلى شعبه بالاسكندرية مع رسالة يقول فيها: **[هذه ثمرة جهادى لأجل الإيمان. اعلموا أنه قد نالتنى آلام كثير فى سبيل المحافظة على إيمان آبائى القديسين]...**

وما لبث أن عُقد مجمع بأمر الملك فى مدينة خلقيدونية سنة ٤٥١، استخدم الضغط والارهاب ضد الاساقفة، واتبعت سبل المؤامرات الدنيئة، فكانت النتيجة أن صدر حكم المجمع على البابا ديسقوروس غيابياً ـ بعد أن حيل بينه وبين حضور المجمع ـ بالقطع من الكهنوت واسقاط درجة الاسقفية عنه، وذلك بعد أن كتب هو ـ على قرار المجمع بخصوص الإيمان ـ حرماً لكل من يتعدى حدود الإيمان المستقيم.

صادق الملك على قرار المجمع، واصدر أمره بنفى البابا ديسقوروس إلى جزيرة غاغرا بآسيا الصغرى. وبقى فى منفاه مدة خمس سنوات صرفها فى هداية الضالين وشفاء المرضى. وانتقل إلى عالم المجد سنة ٤٥٧ م.

باقة من الشهداء والمعترفين

- قصة الاستشهاد هى قصة المسيحية المبكّرة ... لماذا ؟
  - الاستشهاد وكرازة حية بالمسيحية .
  - الشهداء برهنوا على صدق تعاليم المسيحية وفضائلها .
  - دوافع الشهداء لاحتمال أهوال العذبات .
- نماذج من الشهداء :
  - الشهداء الحميريون (اليمنيون) .
  - اريانوس والى انصنا
  - بوليكاربوس أسقف أزمير
  - الفتاة أجْنِسْ
  - برتبوا وفيليسيتاس
  - المعلم غبريال بن نجاح
  - بفام بن بقورة الصّواف
- نماذج من المعترفين :
  - يوحنا المصرى
  - بفتوتيوس أسقف طيبة
  - أنبا صموئيل المعترف .

الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة المسيحية ، التى واجهت فيها كلاً من الاضطهاد اليهودى والاضطهاد الوثنى ، وقدمت فيها العديد من أبنائها على مذبح البذل والتضحية والاستشهاد دفاعاً عن الإيمان المسيحى ـ هذه الفترة امتدت إلى نحو ثلاثة قرون من الزمان ... **وبقدر ما تكشف آلام الاستشهاد عن وحشية المضطهدين ، بقدر ما تظهر أمجاد الشهادة والشهداء وبطولتهم ... وبقدر ما كانت الآلام التى احتملها الشهداء والمعترفون مروّعة ، بقدر ما يكشف** احتمال هذه الآلام عن يد **الله القوية التى عملت فى هؤلاء ، وبقدر ما بكشف** كل ذلك عن اصالة **المسيحية وانها من الله ، وكيف كان المسيحيون الأوائل أوفياء لإلهم ، امناء لمبادىء الدين الذين آمنوا به واحبوه وماتوا ذوداً** عنه ... فضلاً عن أن امتداد تلك الفترة إلى نحو ثلاثة قرون من الزمان ، يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن استشهاد البعض لم يكن نزوة طارئة ، بل كان عقيدة ثابتة فى أنه ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس ...

● **من أجل كل ذلك فإن قصة الاستشهاد فى تاريخ الكنيسة المبكّر هى قصة المسيحية المبكرة وانتشارها ...** والسؤال الآن ، **لماذا هذا المفهوم ؟**

١ ـ لأن الاستشهاد كان كرازة حيّة بالمسيحية ...

قال العلامة ترتليانوس المدافع والفيلسوف المسيحى الذى عاش وسط الاضطهادات عبارة مشهورة : **[دماء الشهداء بذار الكنيسة]** ... لقد أثبتت الأيام والسنون والأحداث صحة هذا القول . قال موجهاً كلامه إلى الحكام الوثنيين : **[استمروا فى تعذيبنا . اصحنوننا إلى مسحوق ، فإن أعدادنا تتزايد بقدر ما تحصدوننا . إن دماء المسيحيين هى بذار محصولهم . إن عنادكم هو فى حد ذاته معلم . لأنه من ذا الذى بعد انضمامه إلينا لا يشتاق إلى التألم ؟!]** ...

إن الاستشهاد المسيحى بنتائجه هو برهان عملى على صحة قول المسيح له المجد : «إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت ، فهى تبقى وحدها . ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير» (يو ١٢ : ٢٤) ... وفى هذا المعنى **يقول يوستينوس الشهيد** المدافع المسيحى فى دفاعه . ها أنت تستطيع أن ترى بوضوح أنه حينما تقطع

رؤوسنا ونصلب، ونلقى للوحوش المفترسة، ونقيّد بالسلاسل، ونلقى فى النار، وكل أنواع التعذيب، اننا لا نترك إيماننا. بل **بقدر ما نعاقب بهذه الضيقات، بقدر ما ينضم مسيحيون أكثر إلى إيماننا وديانتنا باسم يسوع المسيح. إن الكرّام يقطع أغصان الكرمة التى تحمل ثماراً، حتى تنمو أغصان أخرى. وهذا يصيّرها أكثر حيوية وأكثر اثماراً. وهذا ما يحدث معنا. فالكرمة التى غرست بواسطة الله مخلصنا يسوع المسيح هو شعبه].**

إن الأمر ليس مفاجأة ... لقد أرسل المسيح تلاميذه للكرازة «كحملان بين ذئاب» (يو ١٠ : ٣) ... والعجيب أن الذئاب حينما افترست الحملان تحولت هى إلى حملان !!... وفى ذلك يقول القديس أغسطينوس: [تأملوا يا اخوتى ماذا يفعل يسوع. إن ذئباً واحداً لو القى بين غنم كثيرة ـ ولو بلغوا عدة ألوف ـ لارتعب القطيع كله، على الرغم من عدم قدرة الذئب على إفتراس الكل، لكن الكل يخافونه .. فأى مشورة، وأى تدبير، وأية قوة هذه، حتى لا يبعث الله ذئباً وسط الغنم، بل يرسل غنماً وسط الذئاب !! انه لا يقترب بهم نحو الذئاب، بل فى وسط الذئاب. لقد كان هناك قطيع من الذئاب وقلة من الغنم. وعندما افترست الذئاب الكثيرة الغنمات القليلة، تحولت الذئاب إلى غنم] !!

لقد آمن كثيرون بسبب آلام الشهداء وموتهم، بما صاحب استشهادهم من معجزات، وما أظهروه من ثبات واحتمال وصبر... وليس من المبالغة فى شىء ان قلنا ان الإيمان المسيحى انتشر فى العالم كله باستشهاد القديسين، أكثر مما انتشر بوعظ المبشرين وتعليمهم... فدماء الشهداء روت بذار الإيمان فصارت دوحات عظيمة، استظل بها كثيرون وكثيرون... لقد كسب المؤمنون المسيحيون الأوائل للمسيح نفوساً كثيرة. ونالوا هذا الكسب بموتهم أكثر مما نالوه بحياتهم أو معجزاتهم... وكما ينمو الحشيش أكثر كلما يُجز، هكذا المسيحيون كانو ينهضون بقوة جديدة كلما كانوا يحصدون بمنجل الاستشهاد !!

٢ ـ لأن الاستشهاد والشهداء قدموا برهاناً عملياً على صدق تعاليم المسيحية وفضائلها ...

يقول المؤرخ الكبير فيليب شاف Schaff : [نحن لا نعرف ديانة أخرى

استطاعت أن تصمد لفترة طويلة ـ امتدت إلى نحو ثلاثة قرون ـ فى مقاومة متصلة من التعصّب اليهودى ، والفلسفة الاغريقية ، والسياسة الرومانية وقوتها . ما من ديانة أخرى كان يمكنها أن تنتصر فى النهاية على أعداء كثيرين ، بالقوة الأدبية الروحية وحدها ، ودون الاستعانة بأية وسائل مادية لمساندتها] .

كما تختبر المعادن بالنار ، كذلك تختبر الفضائل بالآلام والضيقات ... كانت الاضطهادات العنيفة التى قاستها المسيحية ، برهاناً على اصالة فضائلها . فقد يتكلم الإنسان كثيراً عن الفضائل . لكن هذا لا يعنى أنه انسان فاضل ، إلاَّ إذا برهن على الفضيلة عملياً بحياته ، وبخاصة فى محنة آلامه ... **وقد اثبت الاستشهاد اصالة الفضائل التى علمت بها المسيحية ، متجسّدة فى أشخاص المعترفين والشهداء ، الذى لم تقوَ آلامهم المبرحة على تحويلهم عن الفضيلة وسموّها فى شتى صورها ...**

يقول العلامة ترتليانوس فى خاتمة دفاعه ، موجهاً كلامه إلى حكام الامبراطورية الرومانية وقضاتها ... [كثيرون من كتابكم يحثون على التشجيع فى احتمال الألم والموت . ومن أمثالهم شيشيرون وسينكا وديوجنيس ... **ومع ذلك لا تجد كلماتهم اتباعاً كثيرين ، على نحو ما تجد المسيحية . فالمعلمون ليسوا بكلماتهم بل بأعمالهم .** وهذه الصلابة التى تعيّرونها هى تعلمكم . لأنه من ذا الذى يتأملها ولا يتحرك ليستفسر ما هى نهايتها ؟ ومن ذا الذى بعد أن يستفسر ، لا يعتنق مبادئنا ؟ وبعد أن يعتنقها ، لا يشتاق إلى التألم حتى ما يصير شريكاً لكمال نعمة الله ؟!] .

وكمثال نذكر الكتيبة الطيبية التى كانت تضم أكثر من ستة آلاف جندياً من صعيد مصر ، واستشهد افرادها عن آخرهم على أرض سويسرا ومازالت ذخائرهم فى أحد الأديرة بمدينة سانت موريتزا بسويسرا . قال هؤلاء الجنود المسيحيون فى رسالة وقعّوها ورفعوها إلى الامبراطور مكسيميانوس : **[أيها القيصر العظيم نحن جنودك ، لكن فى الوقت نفسه نحن عبيد الله ... لسنا ثواراً ، فلدينا الأسلحة ، وبها نستطيع أن ندافع عن أنفسنا ونعصاك . لكننا نفضل أن نموت أبرياء ، على أن نعيش ملوثين . ونحن على اتم استعداد أن نتحمل كل ما تصبه علينا من أنواع التعذيب لأننا مسيحيون ، ونعلن مسيحيتنا جهاراً ...] .**

وكمثال أيضاً قصة أوردها يوسابيوس القيصرى المؤرخ عن شهيد فى مدينة قيصرية يدعى بولس ... هذا الشهيد بينما كان الجلاد على وشك أن يقطع رأسه طلب مهلة وجيزة . ثم رفع صوته مصلياً من أجل زملائه المسيحيين ، واهتداء اليهود والأمم الذين يعيشون فى الضلال ، ومن أجل الجماهير المحتشدين حوله . وتوسل من أجل القاضى الذى حكم عليه بالموت ، ومن أجل الحكام . وكذا من أجل الشخص الذى كان مزمعاً أن يقطع رأسه ، طالباً أن لا تحسب عليهم خطيتهم من نحوه ... والأمثلة على هذا المسلك كثيرة جداً فى سير الشهداء .

يقول **يوسابيوس المؤرخ الكنسى** الذى عاش وسط الاضطهادات بخصوص عفة وطهارة العذارى والنساء : **[لم يكن النساء أقل من الرجال بسالة فى الدفاع عن تعاليم الكلمة الإلهية ، إذ اشتركن فى النضال مع الرجال . ونلن معهم نصيباً متساوياً من الأكاليل من أجل الفضيلة . وعندما كانوا يجروهن لأغراض دنسة ، كن يُفضلن تسليم حياتهن للموت عن تسليم أجسادهن للنجاسة] !!**

وكمثال نقدم فبرونيا العذراء الشهيدة التى استشهدت سنة ٧٤٩ ... فلقد عمت الاضطرابات البلاد المصرية فى ذلك الوقت بسبب فرار مروان بن محمد آخر خلفاء الامويين إلى الوجه القبلى أمام أبى العباس . **دخل جنود مروان ديراً للعذارى قرب اخميم . وبعد أن نهبوه أرادوا اغتصاب فبرونيا وكانت عذراء صغيرة فتنوا بجمالها .** وإذ وجدت فبرونيا نفسها فى أيدى هؤلاء الجند ، استمهلتهم قليلاً ، ودخلت قلايتها ، وألقت بذاتها بين يدى الله باكية ، طالبة الخلاص من الدنس . وما لبثت أن خرجت إليهم بحيلة ... **توسلت إليهم أن يتركوها لعبادتها مقابل جميلاً تسديه إليهم ، قالت أنها تعلمته من أسلافها . وكان هذا الجميل زيتاً تقتنيه إذا دهن به أى جزء من الجسم لا تعمل فيه السيوف . ولكى تبرهن لهم على صدق كلامها ، دهنت عنقها بهذا الزيت ، وطلبت أن يهوى أقواهم بسيفه على عنقها ... وما أن فعل ذلك حتى انفصل رأس العذراء العفيفة عن جسدها ...** أما الجند فاعتراهم خوف شديد ، وأسرعوا بمغادرة الدير ، بعد أن تركوا كل ما كانوا قد نهبوه .

● لكن ما الذى دفع المسيحيين لاحتمال أهوال العذابات التى يهلع الإنسان لمجرد سماعها ؟!

أ ـ **قدمت المسيحية مفهوماً جديداً للألم** ... لم يعد الألم أمراً يتعلق بالجسد، لكن غدا له مفهوم روحى يرتبط بالحب ـ محبة المسيح !! ونحن نرى الحب فى شخص المسيح يسعى نحو الألم ليستخلص من براثنه من اقتنصهم، ويحرر من سلطانه من أذلهم... **لقد تغيرت مذاقة الألم، وأصبح صليب الألم شعار المجد والغلبة والنصرة، بل الواسطة إليها** ... فى المسيحية ننظر إلى الصليب على انه علامة الحب الذى غلب الموت وقهر الهاوية، واستهان بالخزى والعار والألم !!

لقد أصبح احتمال الألم من أجل المسيح هبة روحية ... « **وُهب** لكم لأجل المسيح، **لا أن تؤمنوا به فقط، بل أن تتألموا أيضاً** » (فى ١ : ٢٩)... وهكذا تبدلت صورة الألم ومذاقته فارتفع إلى مستوى الهبة الروحية !! وأصبح شركة مع الرب فى آلامه « **إن كنا نتألم معه، لكى نتمجد أيضاً معه** » (رو ٨ : ١٧)... «لأعرفه وقوة قيامته **وشركة آلامه متشبهاً بموته** » (فى ٣ : ١٠)... « **اكمل نقائص شدائد المسيح فى جسمى** لأجل جسده الذى هو الكنيسة » (كو ١ : ٢٤)... ألم يقل المسيح : « إن أراد أحد أن يأتى ورائى، فلينكر نفسه، **ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى** » ؟... كل المؤمنين ساروا خلف معلمهم فى الطريق إلى الجلجثة، حاملين صلبانهم... وكانوا رهن إشارته... لكنه سمح بأن يكلل البعض منهم بكل المجد أن يتشبهوا به، وماتوا حباً فيه، فاستحقوا أن تعلو صلبانهم مقولته الخالدة : « **ليس حب أعظم من هذا** »...

وإذا كانت المسيحية هى الحب، فالموت فى سبيلها هو قمة الحب والبذل أو **بحسب تعبير القديس اكلمنضس الاسكندرى : [الاستشهاد ليس مجرد سفك دم، ولا هو مجرد اعتراف شفهى بالسيد المسيح، لكنه ممارسة كمال الحب].**

ب ـ وكما قدمت المسيحية مفهوماً جديداً للألم، فقد قدمت أيضاً مفاهيم جديدة للإنسان ذاته وللعالم الذى يحيا فيه ...

● لقد علمت المسيحية أن **الإنسان مخلوق سماوى حتى لو كان فى تكوينه جوهراً ترابياً. فالسماء بالنسبة للإنسان هى الأول والآخر، البداية والنهاية، هى وطنه الأصلى ومستقره النهائى.** فبداية الإنسان يوم خُلق كانت فى السماء، وسوف تكون فيها نهايته حينما يعود إليها ... **ومن هنا أحسّ الإنسان بغربته فى العالم،**

وجعل كل أشواقه أن يعود إلى وطنه الأول السماء ... واكدت أسفار العهد الجديد هذه الحقيقة ... فبولس الرسول بعد أن عدد أسماء بعض أبرار العهد القديم يقول: « فى الإيمان مات هؤلاء اجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيّوها، وأقروا بأنهم **غرباء ونزلاء على الأرض** » (عب ١١ : ١٣). ويكتب إلى أهل كورنثوس ... « فإذاً نحن واثقون كل حين وعالمون أننا **ونحن مستوطنون فى الجسد فنحن متغربون عن الرب ... فنثق ونسرّ بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب** » (٢ كو ٥ : ٦، ٨). وبطرس الرسول **يكتب إلى المتغربين** من شتات بنتس وغلاطية وكبدوكيا وآسيا وبيثينية ينصحهم: « أيها الأحباء، **أطلب إليكم كغرباء ونزلاء** أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس » (١ بط ٢ : ١١) ...

• **وعلمت المسيحية الإنسان المؤمن أنه طالما هو مخلوق سماوى فيجب أن تكون أشواقه إلى السماء**، لذا يكتب بولس إلى أهل كولوسى مشجعاً إياهم بقوله: « **من أجل الرجاء الموضوع لكم فى السموات** » (كو ١ : ٥) ... وفى هذا المعنى يكتب بولس قائلاً: « فإن **سيرتنا نحن فى السموات** التى منها أيضاً ننتظر مخلصا هو الرب يسوع المسيح » (فى ٣ : ٢٠). ويقول لأهل كولوسى: « **اطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله**. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض » (كو ٣ : ١، ٢) ... وكان لسان حال كل مسيحى هو عين ما قاله داود: « عطشت نفسى إلى الله، إلى الإله الحي. **متى أجيء واتراءى قدام الله** » (مز ٤٢ : ١، ٢) ...

• **وانطلاقاً من هذا المفهوم ـ ان الانسان مخلوق سمائى، وان أباه فى السماء « أبانا الذى فى السموات »، فإنه فى صلواته يناجى الله فى السماء، ويقدّم صدقاته عالماً أنه يكنز فى السماء** (مت ٦ : ١٩، ٢٠) أى أن صندوق التوفير الذى يدخرّ فيه هو فى السماء. **ويتشفع بالملائكة والقديسين الذين انطلقوا إلى السماء... بل وأكثر من هذا ان نفسه مخطوبة لعريس فى السماء (٢ كو ١١ : ٢)، يشتاق أن يلتقى به فى حفل العرس الأبدى (مثل العشر عذارى ـ مت ٢٥).**

وبسبب كل هذه الاحاسيس والمفاهيم المقدسة كانت معنويات المعترفين والشهداء عالية جداً فى السجون ...

كان غرض الأباطرة والملوك والحكام الوثنيين من سجن المعترفين المسيحيين، هو تحطيم شجاعتهم واضعاف روحهم المعنوية. لكن على العكس، كان حبس المعترفين وتعذيبهم سبباً فى اعلاء شجاعتهم.

إنه أمر خارج عن حدود المنطق، وفائق لطبيعة البشر المألوفة، أن الاحزان تنشىء أفراحاً، والضيقات تولد تعزيات... لكنها المسيحية بمفاعيل النعمة الإلهية - بعمل الروح القدس فى المؤمنين هى التى تفعل ذلك... **فبعض شهداء قرطاجنة - بعد أن وصفوا أهوال السجن** - قالوا: **[إننا لم نخشّ ظلام المكان. فلقد أضاء السجن الموحش ضياء روحانى. ولقد كان الإيمان والمحبة كالنهار يفيضان علينا ضوءاً أبيضاً]... أما أسباب ذلك فكانت:**

- **المعونة الإلهية التى وعد الله بها جميع المضطهدين من أجل اسمه** (لو ٢١: ١٢ - ١٩).
- احساس المعترفين **بشرف تألمهم من أجل انبل الغايات.**
- **التطلع بإيمان إلى المجد العظيم الذى ينتظرهم، وان المسيح سيمسح كل دمعة من عيونهم** (رؤ ٢١: ٤).
- **تعاطف الكنيسة - بكل أعضائها كجسد واحد - معهم، سواء بالصلوات التى ترفع لأجلهم أو العناية بالاهتمامات المادية واحتياجات أسرهم.**
- **الرؤى المجيدة التى كانت تعلن لهم، وان لها أعظم الأثر فى تشجيعهم. واصبح السجن فى نظرهم باباً للسماء !!**

+ هكذا كان المعترفون فى السجون تفيض نفوسهم سلاماً... كانوا يتعجلون موعد محاكمتهم - لا احتمالاً للأفراج عنهم، بل لأنهم كانوا بوقفتهم أمام الحكام، يحسّون انهم يشاركون الرب يسوع فى وقفة محاكمته أمام بيلاطس البنطى..

وتتجلى هذه الروح المعنوية العالية، والشجاعة المسيحية، فى الحوار الذى جرى بينهم وبين قضاتهم...

لم يكن للمتهمين الذين يتمسكون بالإيمان المسيحى سوى رد واحد يجيبون به، ظل يسمع قرابة ثلاثة قرون فى ساحات القضاء بانحاء الامبراطورية... **أما هذا الرد**

فهو [أنا مسيحى Christianus Sum] أما صيحة الشعب الهائج التى كانت تعقب هذا الاعتراف فهى [الموت للمسيحى]... كان المتهم لا يجيب عن وضعه الاجتماعى فى العالم، لأن الأمور الأرضية كانت تافهة القيمة فى نظره. وحتى لو أراد القاضى أن يعرف ما إذا كان عبداً أو حراً، وهو موضوع كان على جانب كبير من الأهمية فى تلك الأزمنة، فإنه ما كان يهتم بالإجابة...

ويذكر لنا المؤرخ الكنسى اوسابيوس قصة شماس يدعى سانكتوس من فينا، ظل ثابتاً أمام جميع من وقف أمامهم للمحاكمة. وكان لا يجيب على أى سؤال وجه إليه من أى نوع، إلاّ بهذه الكلمات يقولها باللاتينية [أنا مسيحى] ولا يزيد عليها شيئاً.

فى اقليم كيليكية سأل الوالى أحد المعترفين و يدعى تراكوس Tarachus عن اسمه، فأجاب أنا مسيحى... قال له الوالى: [كف عن هذه اللغة النجسة واذكر أسمك]، أجابه: [أنا مسيحى] قال الوالى للجندى: [اضربه على فمه وقل له لا تقدم اجابات ملتوية]... أجابه: [أنا أذكر لك الاسم الذى احمله فى نفسى. لكن إن سألت عن اسمى المتداول بين الناس، فإن والدىّ اسميانى تراكوس].

وسأل القاضى شهيداً آخر يدعى مكسيموس، [ما هى حالتك] أجاب: [أنا إنسان حرّ ولكن عبد المسيح]. وسأل القاضى عذراء الاسكندرية الشهيرة ثيئودورة: [ما هى مكانتك]. أجابته: [أنا مسيحية]. عاد وسألها [سيدة حرة أم أمة]. أجابته لقد قلت لك أنا مسيحية، والمسيح جاء وحررنى. وبحسب مقاييس العالم ولدت حرة].

نماذج من الشهداء

الشهداء الحميريون (اليمنيون) :

بلاد حمير هى بلاد اليمن . وقد وصلتها المسيحية منذ القرن الأول المسيحى على يد برثلماوس الرسول الذى حمل إليها وبلاد الحجاز الإيمان المسيحى وترك لهم نسخة من إنجيل متى وجدها عندهم العلامة بنتينوس مدير مدرسة الاسكندرية اللاهوتية حينما زار تلك البلاد فى القرن الثانى . وانتشرت المسيحية فى تلك البلاد لا سيما فى مدن نجران وظفار ومأرب وحضرموت . واصبحت مركز ايبارشية أرثوذكسية أوائل القرن السادس ...

أثار هذا الاضطهاد الملك ذونواس اليهودى سنة ٥٢٣ م ، وفتك بعدة آلاف من المسيحيين الآمنين . وذكر هذه المذابح باختصار شديد المؤرخ المسلم الطبرى فى تاريخه ...

كان باكورة هذه المذبحة أن قتل الملك اليهودى عن طريق الخيانة والغدر ثلثمائة رجلاً من ظفار فى ليلة واحدة بعد أن امنّهم على حياتهم ... وفى الصباح كان بالكنيسة مائتا رجل من الاكليروس والعلمانيين معتصمين فيها ، فأحرق الكنيسة بمن فيها ... وأوفد رسلاً مع كهنة من اليهود إلى جميع البلاد الخاضعة لسلطانه لقتل المسيحيين اينما وجدوا ، إلاّ إذا انكروا المسيح وتهوّدوا . كما أمر أن يحرق مع بيته كل من يخفى مسيحياً فضلاً عن مصادرة أمواله .

وكرر المأساة **فى مدينة نجران** إذ أرسل إلى أهلها كهنة من اليهود حاملين توراة موسى وكتاباً مختوماً بخاتم الملك وحلفوا لهم بالتوراة ولوحى شريعة موسى وتابوت عهد الرب وإله إبراهيم وإسحق وإسرائيل انه لن ينالهم أذى إذا سلّموا مدينتهم للملك . فوثق النجرانيون بهذه الوعود وخرج إلى الملك ثلثمائة من أشراف نجران وأكدّ لهم بما وعده ، وطلب إليهم أن يخرجوا إليه فى اليوم التالى ألف رجل ... وزع هؤلاء وأولئك على قواده خمسين خمسين ، وبعد أن اطعموهم أوثقوهم وجردوهم من سلاحهم . **ثم أرسل جنوده وقبض على جميع المسيحيين فى المدينة ثم ادخل هؤلاء جميعاً مع**

القسوس والشمامسة والعذارى والشبان والشابات إلى الكنيسة واضرموا النار بالكنيسة فأفناهم ...

أما نساء نجران مع الإماء فلما علمن بالخبر وشاهدن الكنيسة تحترق بمن فيها، فقد سارعن إلى الكنيسة وكن يلقين بأنفسهن وسط النيران. ومن بينهن شماسة تدعى اليشبّع وكانت شقيقة مار بولس أول أسقف لنجران الذى أستشهد على أيدى اليهود أيضاً قبل هذه الأحداث، هذه مثّلوا بها شر تمثيل وبعد أن قيدوها سكبوا زيتاً مغلياً على رأسها، وعذبوها بعذابات كثيرة حتى استشهدت.

وممن استشهدوا فى هذه المذابح الحارث بن كعب رئيس قبائل نجران بعد محاولات عديدة لكى ينكر إيمانه بالمسيح ... ولم يستشهد هو بمفرده بل اعداد غفيرة أخرى معه ... وممن استشهدوا أيضاً فى نجران طفل فى الثالثة من عمره مع امه بعد حوار مثير بين الطفل والملك اليهودى نفسه حتى اندهش اليهود الحاضرون وقالوا [تأملوا هذا الأصل الردىء (يقصدون الطفل)، منذ كيف يتكلم طفولته، تبصّر كيف استطاع ذلك الساحر المضلّ (يقصدون المسيح) أن يُضل حتى الأطفال].

أما عن عدد من استشهدوا من المسيحيين على يدى ذى نواس الملك اليهودى فيقدرهم الطبرى المؤرخ المسلم بعشرين ألفاً، ولكن الوثائق السريانية التى سجلت هذا الاضطهاد تقدرهم بأربعة آلاف من الاكليروس والعلمانيين فضلاً عن النساء والأطفال ...

اريانوس والى انصنا :

قد لا نكون مبالغين إذا قلنا إنه فى كل الامبراطورية الرومانية، لم يوجد حاكم أو والٍ عذّب المسيحيين بوحشية وبشاعة، وباختراع آلات ووسائل تعذيب مبتكرة، وبكثرة عدد من استشهدوا على يديه مثل اريانوس ... هذا الرجل الذى لفرط عداوته وقسوته وجبروته، كان يرسل إليه الحكام الآخرون سواء من اقليم مصر أو اقاليم الدولة الأخرى، المعترفين المسيحيين ممن فشلوا فى اخضاعهم وردهم عن إيمانهم المسيحى، حتى ما يذيقهم الألم كوؤساً والواناً ... لكن نعمة الله

التى عملت فى شاول الطرسوسى فجعلت منه الرسول العظيم بولس ، عملت أيضاً فى اريانوس ، فحوّلت الذئب المتعطش لسفك الدماء إلى حمل وديع يساق إلى الذبح ...

أمر اريانوس والى مدينة انصتا ـ بناء على الأوامر الامبراطورية الصادرة ـ بالقبض على جميع المسيحيين فى المدينة ... كان ذلك فى زمان الاضطهاد الذى اثاره دقلديانوس واعوانه ...

كثيرون تمكنوا من الهرب ، لكن اعضاء الاكليروس لم يبرحوا المدينة واخذوا يشجعون المخلصين ويسندون إيمانهم ... قبض على سبعة وثلاثين مسيحياً وقدموا للمحاكمة ... وكان يوجد فى انصتا فى ذلك الوقت عازف مزمار (زمّار) بارع يدعى فليمون. وفى نفس الوقت كان شاباً طيباً يحبه الجميع .

كان هناك شماس يدعى ابوللونيوس . وإذ كان لا يريد أن ينكر إيمانه هداه تفكيره إلى طريقة يتخلّص بها من محاكمة اريانوس له والمثول أمامه ... ذهب ابولونيوس إلى فليمون ، وقدم له أربعة دنانير ذهب ، وسأله أن يذهب إلى معبد الأوثان ليضحى للآلهة نيابة عنه ، ويمثل الدور كأنه ابولونيوس . وافق فليمون على أن يعيره ابولونيوس بعض ملابسه ليتنكر فيها ... وهكذا ذهب فليمون إلى المحكمة بعد أن ترك مزماره لابولونيوس ، ولم يكتشف أحد حقيقة شخصيته .

مثل فليمون أمام اريانوس ، وهنا عملت النعمة الإلهيّة فيه بطريقة عجيبة ... وإذا به يعلن إيمانه ويرفض أن يقرب للآلهة ... وخطر لأريانوس أن يستدعى فليمون ليعزف على مزماره ، لعل انغامه الشجية ترد المتهوسين (يقصد المسيحيين) إلى صوابهم . بحثوا عن فليمون فى كل مكان فلم يجدوه . وأخيراً استدعى اريانوس شقيقه ثاؤونا وسأله عنه . أرشد عنه أخوه وأشار إليه ، ولم يتعرف عليه اريانوس بسبب تنكره ...

هنا تكشفت خطة الشماس ابولونيوس . فاحضر هو الآخر أمام الوالى واعترف بايمانه ... وعذب الاثنان طويلاً ، واجتازا ميتات كثيرة ...

أخيراً أمر اريانوس أن يُعلّق فليمون من قدميه ورأسه إلى أسفل ، وأن يضرب بالنشاب . وما أكثر دهشة اريانوس حينما وجد أن النشاب لا يؤثر فيه ، بل ترتد عن

جسده، الأمر الذى دفع اريانوس أن يترك مكانه ويتقدم ليرى بنفسه هذا الأمر العجيب. اصابته نشابة قلعت احدى عينيه. **فطلب من فليمون أن يشفيها له... لكن فليمون قال له لو فعلت ذلك، لنسبت أنت هذا للسحر!! لذا أوصاه أن يتوجه بعد موته إلى قبره ويأخذ من التراب ويدعك عينه به ويشفى. فأمر بقطع رأس فليمون وابولونيوس ودفنهما.**

وباكراً جداً فى صبيحة اليوم التالى، ذهب اريانوس سراً إلى حيث دفن الشهيدان، بعد أن أمضى ليلته يصرخ من شدة الألم. وهناك فعل كما أوصاه فليمون وهو يقول: **[باسم يسوع المسيح الذى احتمل هذان الشهيدان الموت لأجله، ادهن عينى لاسترد البصر. وفى نفس الوقت أؤمن انه ليس إله آخر غيره]. وفى الحال انفتحت عين اريانوس وابصر...** ومن شدة فرحه بدأ اريانوس يجول المدينة ماشياً على قدميه وهو يصيح: [إنى أبصر. إنى أبصر. وأنا أيضاً مسيحى. ومن الآن لا أخدم إلهاً آخر غير المسيح]... ثم اخذ أطياباً، وطيّب جسدى الشهيدين فليمون وابولونيوس، وافرج عن جميع المعترفين المسجونين.

كان دقلديانوس موجوداً آنذاك بالاسكندرية، ونما إلى سمعه قصة اريانوس، فأرسل إلى أنصنا اربعة مندوبين للقبض عليه واحضاره إليه... وفى الطريق مرّ على قبر الشهيدين فليمون وابولونيوس وخاطبهما قائلاً: [اشكركما أيها المختاران المغبوطان، يا من تنعمان فى النور الأبدى. اسألا عنى سيدى يسوع المسيح أن يهبنى القوة لأكمل شهادتى]... فسمع صوتاً من القبر واضحاً كل الوضوح يقول: [لا تخف يا اريانوس، إن يسوع الذى تؤمن به سيعطيك الشجاعة اللازمة وستزداد قوتك أمام الملك. وستنال اكليلك مثلنا فى الفردوس. امضِ بغير خوف مع المندوبين الذين أتوا للقبض عليك. صلِّ عنهم لكى يفتح الرب عيونهم للحق]... ولم يكن اريانوس وحده هو الذى سمع هذا الصوت، بل سمعه أيضاً المندوبون... **وأمام دقلديانوس اعترف اريانوس بإيمانه الجديد، ورفض التقريب لآلهة الدولة، على الرغم من اللين الذى أظهره نحوه دقلديانوس...**

أمر دقلديانوس بأن يدفن اريانوس حياً فى حفرة، بعد تقييد يديه ورجليه بالقيود الحديدية، وربط رحى كبير فى عنقه... نفّذ الجند المكلفون هذا الحكم،

ودفنوه فى حفرة كبيرة، وردموا التراب عليه. وبعدها أخذ الجند يرقصون فوق الحفرة، و يقولون: [سنرى إن كان مسيحه سيأتى ليخلّصه] !

وفى صباح اليوم التالى، ابصره دقلديانوس قائماً أمامه بلا قيود فى قصره، فتعجب جداً وأمر أن يوضع فى كيس به رمل و يطرح فى البحر...

بعدها تقدم الأربعة مندوبين، الذين رأوا هذه الأعجوبة وسمعوا الصوت من قبر فليمون وابولونيوس، واعترفوا بإيمانهم بالمسيح أمام دقلديانوس، فأمر بأن يلقى جميعهم فى البحر اسوة بأريانوس... كان ذلك فى بداية سنة ٣٠٥.

بوليكاربوس أسقف ازمير:

كان فى حداثته ممن يستمعون للقديس يوحنا الرسول، وتتلمذ على يديه. وقد رسمه يوحنا أسقفاً لأزمير. و يغلب عليَّ الظن انه هو ملاك كنيسة سميرنا (ازمير) الذى وجهت إليه رسالة فى (رؤ ٢ : ٨)...

كتب اغناطيوس الشهيد الانطاكى إليه فى احدى رسائله، وهو فى طريقه إلى الاستشهاد يقول: [إن الزمن فى حاجة إليك احتياج البحارة إلى الريح، واحتياج من تتقاذفه أمواج البحر إلى مرفأ. فتأهب كما يليق برجل الله. اثبت كما يثبت السندان تحت ضربات المطرقة. فواجب جندى الله أن يتلقى تلك الضربات ثم ينتصر]. وكأنما كانت تلك الكلمات نبوءة. فقد ظل نحو ثمان واربعين سنة بعد ذلك ثابتاً فى مكانه لا يتزعزع، يعلّم الأجيال ما تلقاه من الرسل، مقاوماً كل انحراف. وقد جاء الزمن الذى يسير فيه بوليكاربوس على الدرب الذى سار فيه اغناطيوس، و ينال إكليل الشهادة مثله...

ففى سنة ١٥٥ م وعلى عهد الامبراطور انطونيوس بيوس اندلعت نار الاستشهاد مستعره فى ازمير، فعذب عدد من المسيحيين، أو القى بهم للوحوش الضارية. وطالب الوثنيون بالبحث عن بوليكاربوس. وحين علم بذلك، رغب فى البقاء حيث هو فى ازمير. غير ان الاخوة حثّوه على مغادرتها. فانسحب إلى بيت ريفى مع بعض الاخوة، حيث كان يصلى ليل نهار من أجل الجميع، ومن أجل الكنائس فى كل مكان. وقبل القبض عليه بثلاثة أيام، فيما كان يصلى، أخذ فى غيبوبة، ورأى الوسادة التى تحت رأسه تحترق. فالتفت لمن حوله، وقال لهم: [لا بد وان أحرق

حياً] ... كان فى استطاعته الهرب ، لكنه أبى قائلاً : [لتكن إرادة الله] ... وقد اثار جلال شيخوخته (٨٦ عاماً) ، وحضور ذهنه ، اعجاب من حوله ، وهو يحادث من جاءوا للقبض عليه ... طلب إليهم أن يتأنوا عليه ساعة ليصلى بمفرده . فوقف وصلى ، وكان ممتلئاً نعمة وسلاماً ...

طلب منه الجند أن يخرج معهم واركبوه حماراً ... وفى الطريق التقى بهم ضابط الشرطة المكلّف باحضاره . اركبه فى مركبته ، وشرع يقول له : [ماذا يضيرك لو قلت الرب قيصر ، وقدمت البخور وما إلى ذلك ، وبذا تنقذ حياتك ؟!] ... لم يُجب القديس على هذا الكلام ، لكن ازاء الالحاح عليه قال : [إننى لا أستطيع أن أصنع ما تشير به علىَّ] . وإذ فشل فى اقناعه ، هدده واهانه ، ودفعه إلى أسفل المركبة بشدة فجرحت ساقه . ودون أن ينظر إلى خلف ، أكمل سيره إلى الملعب حيث كان الوالى وجمهور كثير من الوثنيين هناك .

وبينما هو داخل إلى الملعب ، وافاه صوت من السماء يقول : [تقوَّ يا بوليكاربوس وكن رجلاً] . تقدم نحو الحاكم . ولما تأكد من شيخوخته أنه بوليكاربوس ، حاول أن يستميله فقال له :

+ وقرّ شيخوختك ، واقسم بعبقرية قيصر ، وقل : ليهلك الكفار .

رفع القديس نظره إلى السماء متنهداً وقال : ليهلك الكفار .

ثم حثه الوالى أن يحلف و يلعن المسيح حتى يطلقه . **فأجاب بوليكاربوس :**

+ لقد خدمت المسيح ستة وثمانين عاماً ، ولم يصنع بى شراً ، فكيف أجدّف على ملكى الذى خلصنى ؟!

وعاد الوالى إلى الحاحه وقال : اقسم بعبقرية قيصر . فأجاب بوليكاربوس : [لا تظن أنى سوف أقسم بعبقرية قيصر كما تطلب ، **كما لو كنت لا تعرف حقيقتى : إنى مسيحى .** وإذا كنت على استعداد لمعرفة العقيدة المسيحية ، فاسمح لى بيوم لتسمعنى فيه] .

قال الوالى : اقنع الشعب ... وإن لم تعدل عن رأيك فسألقيك للوحوش المفترسة أو احرقك بالنار أجاب بوليكاربوس : **إنك تهدّد بالنار التى تحرق لوقت قصير ، وبعد**

ذلك تخمد. وذلك لأنك تجهل نار العقاب الأبدى المعدّ للأشرار... لكن لماذا تتأخر... افعل ما تريد.

وفيما كان بوليكاربوس يقول هذه الأقوال وغيرها، كان ممتلئاً شجاعة وفرحاً. وكان منظره تطفح عليه النعمة، حتى أن الوالى تملكته الدهشة، وأعلن ثلاث مرات وسط الملعب: [لقد اعترف بوليكاربوس انه مسيحى]... وللوقت صاح المجتمعون - وثنيون و يهود - [هذا هو معلم آسيا كلها، وأب المسيحيين، مبدّد آلهتنا، الذى يعلم كثيرين ألاّ يضحوا لها أو يعبدوها]... واستمروا فى صياحهم إلى أن صدر الحكم باحراقه حياً!!

أسرع الوثنيون - يساعدهم اليهود بحماس عجيب - وجمعوا الحطب والأخشاب ليضرموا ناراً شديدة. ولما أرادوا تسميره على خشبة حتى لا يتحرك من حريق النار، قال لهم: [اتركونى هكذا فإن الذى وهبنى قوة لاحتمال شدة حريق النار، هو نفسه سيمنحنى قوة أن أبقى هادئاً وبلا حركة بدون مسامير].

ولما انتهى من صلاته تقدم إليه الجنود واوقدوا النار... وكما تقول قصة استشهاده التى كتبت بعده مباشرة: **[اشتعلت النار مستعرة، وإذ بنا نرى عجباً، اتخذت النار شكل قوس كبير، أشبه بشراع سفينة ملأه الريح، فأحاط بجسد الشهيد كأنهما هو جدار. ووقف الرجل وسط النار - لا كجسم يحترق - بل كخبز ينضج. أو أشبه بذهب أو فضة ينقى فى فرن. وشممنا عبيراً حلواً كأنما قد انتشر فى الجو حولنا - عبير بخور أو طيب ثمين].**

و يروى أن المكلفين باحراق القديس أصابهم القلق لبطء النار فى التهام جسده، **فأمروا جلاداً أن يُغمد خنجراً فى جسده... ولما فعل ذلك تفجّر الدم غزيراً فأطفأ** النار... وتعجب الجميع وقالوا انه لم يكن رجلاً كسائر البشر. وجمع الاخوة فى ازمير حطام عظامه، ووضعوها فى المكان اللائق... وتناقلت الكنائس وصف استشهاده، الذى كتبه مسيحيو ازمير حتى تشارك جميع الكنائس فى تمجيد الله.

أجنس Agnes :

ولدت بروما فى أواخر القرن الثالث ، شريفة بالمولد ، مسيحية الوالدين ، بارعة الجمال ... وما أن بلغت عامها الثانى عشر، حتى اتجهت بكل أشواقها نحو الرب ... تعلّق بها قلب شاب يدعى بروكبيوس ، وكان أبوه حاكم مدينة روما ، فعزم على الزواج بها ... وافقه أبوه على ذلك ، وطلب الفتاة من أبويها . ولما تأخر ردهما ، نفذ صبر الشاب ، فحاول أن يكلمها مظهراً عواطفه نحوها . التقى بها فى الطريق واقترب منها ليكلمها ، لكنها رجعت إلى خلف كما لو ابصرت حيّة ... وقالت له : [ابعد عنى يا حجر العثرة ... أنا لا يمكننى أن أنكث بعهدى واخون عريس الإلهى الذى لا أحيا إلاّ بحبه !!] ... ثم أفاضت فى اظهار مشاعرها وعواطفها نحو هذا العريس الإلهى . ورفضت أخذ هدايا كان يقدمها لها .

وكشاب وثنى لم يفهم بروكبيوس حقيقة كلامها ، وظن أنها تحب شخصاً آخر غيره ، وانها لفرط حبها اتخذته معبوداً لها ... ومن فرط هيامه وتعلقه بالفتاة مرض ... قلق عليه والده **واستدعى اجنس وفاتحها فى الأمر. لكنها شرحت له فى أدب نذر بتوليتها ... ولأن هذا الأمر لا مثيل له فى الوثنية ، لم يستطع أن يفهم كلامها على حقيقته ... تدخل أحد الحاضرين وافهمه أن الفتاة مسيحية ... وما أن سمع ذلك حتى خيّرها بين أمرين : إما أن تعبد الآلهة الوثنية وتتزوج بابنه ، وإما أن تُعذّب حتى الموت ... وأعطاها مهلة للتفكير حتى اليوم التالى لتعطيه جواباً . لكن الفتاة رفضت هذه المهلة للتفكير. وقالت له إن الأمر لا يحتاج إلى تفكير، لأنها قد انتهت من اختيار الطريق ...** كانت اجابتها هذه بداية آلامها ...

أمر الحاكم ان تقيد بالأغلال الحديدية ، وسحبوها إلى هيكل للأصنام لتسجد لها . أما هى فرسمت ذاتها بعلامة الصليب ، ولم تنظر نحو الأصنام . **ولما فشل فى ارهابها ، هددها بارسالها إلى أحد بيوت الدعارة ... أما هى فقالت له : لا أخاف بيت الفساد ، لأن معى ملاكاً يحفظنى من كل سوء .**

شرع الجند يعرّونها من ثيابها وهم يدخلونها ذلك البيت . **لكن شعرها غطى كل جسدها بطريقة معجزية حتى تعجب الجميع . وما أن دخلت ذلك البيت حتى أضاء نور من السماء ، فتعزت وشكرت الرب .**

أما بعض الأشرار ممن أتوا خصيصاً لارتكاب الفعل الردىء مع هذه العذراء ، لما رأوا المنزل مضيئاً بنور لا مثيل له ، ارتعبوا ولم يجسروا أن يتقدموا !!

غير أن بروكوبيوس ابن حاكم روما الذى كان يود أن يتزوجها ، تجاسر ودخل ذلك البيت ، ليفسد طهارتها ... وحينما أقترب منها ، ضربه ملاك الرب فخرّ ميتاً ... وما أن رأى الحاضرون ذلك حتى هربوا واذاعوا الخبر فى كل المدينة ، فاسرع الحاكم والد بروكوبيوس ... وبعد أن عنفها ، عاد يتذلل إليها طالباً منها أن تقيم ابنه الميت ... **صلّت اجنس إلى الله ، وقام الشاب وهو يصيح : [ليس إله حق إلاّ الذى يعبده المسيحيون]** ... انتشر خبر هذه المعجزة فى كل روما ، لكن كهنة الأوثان هيجّوا الناس وقالوا : **لتمت اجنس الساحرة .**

أما الحاكم والد بروكوبيوس فجبن ازاء صخب الناس ، وترك الأمر لوكيله ... وهذا استحضر اجنس ، وأمر أن تلقى فى النار ... لكن النار لم تؤذها ، بل شوهدت وسطها واقفة تصلى . **فلما رأى ذلك أمر بأن تقطع رأسها بالسيف ... فاقترب منها جندى لينفذ الحكم ، لكنه ارتعد وتراجع ... أما هى فشجعته وقالت له : [هلم ، أقتل هذا الجسد الذى اعثر غير عريسى السماوى] وكان استشهادها فى الاضطهاد الذى أثاره دقلديانوس ، وكان لها من العمر ١٢ أو ١٣ سنة .**

وفى اليوم الثامن لاستشهادها تراءت فى حلم لوالديها ، ومعها زمرة من الفتيات الصغيرات ، ومعها أيضاً حمل أشد بياضاً من الثلج . وقالت لهما : [ألاّ كُفّا عن الحزن لموتى ، وافرحا لأنى ظفرت باكليل] ... وكان لقصة استشهادها أثر كبير فى الأوساط المسيحية فى القرون الأولى ، ومدحها القديسون امبروسيوس واغسطينوس وجيروم وغيرهم ...

بربتوا وفيليستياس :

سِجِلّ آلام القديسة بربتوا والقديسة فيليستياس ورفاقهما ، هو أحد الكنوز المقدسة العظيمة التى وصلت إلينا بعد أن سجلتها بربتوا بيدها ... انتشرت سيرتهما فى القرن الرابع وكانت تقرأ فى كنائس أفريقيا . وكان لها تقدير عظيم جداً حتى أن القديس أغسطينوس وجد نفسه مضطراً إلى الاحتجاج لكون هذه السيرة وضعت فى مرتبة الأسفار المقدسة !!

فى مدينة قرطاجنة بشمال أفريقيا ، وفى سنة ٢٠٣ م أثناء الاضطهاد الذى اثاره الامبراطور الرومانى سبتميوس ساويرس ، قبض على خمسة من الموعوظين من بينهم بربتوا وفيليسيتاس ... كانت بربتوا فى الثانية والعشرين من عمرها ، متزوجة من شخص يشغل مركزاً مرموقاً ، وكانت تنحدر من أسرة شريفة ، وكان لها طفل رضيع ... أما فيليسيتاس فكانت أمَة (عبدة) متزوجة وحامل فى شهرها الثامن . ولقد جمعت محبة المسيح بينهما كأختين سارتا فى نفس الطريق - طريق الشهادة .

كانت أسرة بربتوا تتكون من والدها الوثنى وأمها التى يحتمل انها كانت مسيحية ، وأخاً مسيحياً وآخر موعوظاً ... **وبعد القبض على هؤلاء الخمسة وضعوا تحت الحراسة فى منزل خاص ... وفى تلك الفترة اتصل بها والدها وحاول بكل ما اوتى من قوة - تارة بالتوسل وأخرى بالمناقشة - أن يثنيها عن عزمها دون جدوى** ... وفى أثناء نقاشها نظرت إلى اناء وسألته إن كان يمكن أن يسمى هذا الإناء بغير إسمه . فلما أجابها بالنفى قالت له : [هكذا أنا لا استطيع أن اسمى نفسى بأى اسم آخر غير كونى مسيحية] ... تركها أبوها ، وفى خلال تلك الأيام القليلة نالت مع الباقين سرّ العماد المقدس ... وكانت طلبتها الدائمة للروح القدس الذى اقتبلته بالعماد ، هى الاحتمال فى الجسد ...

وبعد أيام قليلة نقلوهم إلى سجن ... وتقول بربتوا انه اعتراها خوف عظيم من ظلمة المكان وحرارته الشديدة بسبب ازدحام المكان ، ومعاملة الجند القاسية . يضاف إلى ذلك قلقها من جهة طفلها الرضيع . لكن اثنين من شمامسة الكنيسة احضرا لها طفلها وارضعته بعد أن كاد يموت جوعاً . وأوصت امها واخاها بطفلها ... **لكنها بعد عدة أيام استراحت من هذا القلق بعد أن أخذت إذناً أن يكون طفلها معها فى السجن** ... هنا استراحت بربتوا وتغير أحساسها بالسجن وكأنها فى قصر .

تعرضت بربتوا لضغوط شديدة من والدها المسن ، لكن الرب كان يعزّيها بالرؤى والأحلام المقدسة ... وفى أحد هذه الأحلام رأت بربتوا سلماً كبيراً من ذهب يصل الأرض بالسماء . كان ضيقاً بحيث لا يتسع فى الصعود عليه إلاَّ لشخص واحد . وعلى جانبه آلات التعذيب ، ومن أسفل تنين مرعب عند الدرجات الأولى لهذا السلّم ،

يتحفّز لاقتناص من يحاول الصعود على السلم للسماء... وفى الحلم رفعت بربتوا رأسها، فرأت شقيقها ومعلمها ساتوروس Saturus وهو يصعد. وحينما وصل إلى نهاية السلّم من أعلى، قال لها: [بربتوا، إنى فى انتظارِكِ. لكن احذرى لئلا يلتهمكِ التنين]. حينئذ قالت بربتوا: [باسم يسوع المسيح سأصعد، ولن أخاف التنين]. وبجرأة وضعت رجلها على التنين، وكأنه الدرجة الأولى من درجات السلم، ثم بدأت تصعد مسرعة... وأخيراً وصلت. وهناك رأت حديقة فسيحة يقف فى وسطها رجل ممشوق القامة، فى رداء أبيض ناصع، وحوله وقف ألوف يرتدون ثياباً بيضاء. هناك وجدت الراعى الصالح فى انتظارها، ممتلئاً رقة نحو خرافه. ثم رفع ذلك السيد رأسه ونظر إليها وقال لها: [مرحبا بطفلتى]. ثم ناداها وأعطاها كعكة، أخذتها منه وأكلتها، وحينئذ سمعت أصوات الذين وقفوا حولها يرددون كلمة [آمين].. ثم استيقظت بربتوا، وكانت تشعر بحلاوة تملأ حلقها.

أما فيليسيتاس وهى فى السجن لما أحست أن يوم الاستشهاد قد اقترب ولم تلد، حزنت وحزن معها بقية المعترفين، لأن القانون الرومانى كان يحرم قتل الحبلى قبل ان تلد. فطلبوا من الله أن يعجّل ساعة ولادتها، لكى تنال معهم اكليل الشهادة. وفى ذلك اليوم نفسه ولدت بنتاً فى السجن، وأخذتها امرأة مسيحية لتربيها.

ولما كانت فيليسيتاس تصرخ وقت المخاض، قال لها أحد حراس السجن: [إذا كنت لا تستطيعين احتمال هذا الألم، فكيف إذن ستحتملين انياب الوحوش ومخالبها؟]. فقالت له: [إنى أتألم الآن. أما غداً فيتألم عنى آخر هو سيدى يسوع المسيح. اليوم القوة الطبيعية تقاوم الطبيعة، وفى الغد تنتصر فىَّ النعمة الإلهية على أشد ما اعددتم لى من التعاذيب]. وفى مساء اليوم السابق لموعد تنفيذ حكم الاعدام على بربتوا وفيليسيتاس، رأت بربتوا حلماً... رأت الشماس بومبونيوس Pomponius وقد أتى إلى سجنها، وأخذ يطرق بابه بعنف. فذهبت إليه وفتحت له. فرأته مرتدياً ثياباً بيضاء. فقال لها: [بربتوا، اننا فى انتظارِكِ فتعالى]... وخرجت وراءه حتى وصلت إلى مدرج واسع جداً، حيث علمت أنه فى هذا المكان ستكون المعركة الفاصلة. ثم رأت رجلاً مقبلاً من بعيد، ذا وجه مخيف. وكان يصحب معه رجالاً آخرين ليحاربوها. ثم أتى

رجل آخر وصاح بصوت جهورى [إن استطاع هذا المصرى أن يغلبها فليقتلها بسيفه. أما إن استطاعت هى ان تقتله فلتتقدم لتأخذ سعف النخل]... اقترب كل منهما نحو الآخر. وكان المصرى يحاول ان يهجم على قدمى بربتوا. لكنها ضربته بمهماز كان فى يدها... ثم ارتفعت هى فى الهواء، وأخذت تسدّد له الضربات واللكمات. ثم امسكته من رأسه واوقعته على وجهه، وداست عليه بقدميها... وحينئذ توجهت إلى رئيس المحفل حيث أخذت منه سعف النخل، فقبّلها وقال لها: [سلام لكِ يا ابنتى]... ثم خرجت من بوابة كبيرة... وبعد أن استيقظت بربتوا أخذت تتأمل هذا الحلم، وايقنت أن حربها ليست مع وحوش فقط، بل مع الشيطان الذى يرمز إليه ذلك المصرى. وايقنت أن سعف النخل رمز الظفر.

أخيراً حلّ يوم النصرة ... اقتيد هؤلاء الشهداء من السجن إلى المسرح الكبير، وكانوا يسيرون كمن هم فى طريقهم إلى السماء!! كانت بربتوا ترتل مزمور النصرة... اطلقت على بربتوا وفيليسيتاس بقرة وحشية نطحتهما ورفعتهما إلى أعلا وطرحتهما إلى الأرض بشدة... ولما افاقت بربتوا سألت زميلتها فيليسيتاس [متى سيلقوننا للوحوش؟]. لأنها لم تشعر بأى شيء وكأنها كانت مستغرقة فى نوم!! تمزق ثوب بربتوا فى الصراع، لكنها لم تنسَ حتى وهى فى هذه الحالة أن تغطى جسدها بردائها الممزق... إلى هذا الحد كان تمسكها بالطهارة وحرصها ألاّ ينكشف جسدها.

أخيراً قطعت رأس كل من بربتوا وفيليسيتاس بحد السيف، ونالا إكليل الشهادة والمجد الأبدى. وتعيّد لهما الكنائس الغربية فى اليوم السادس من شهر مارس.

المعلم غبريال بن نجاح:

قبض الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى (٩٩٦ - ١٠٢٠ م) -الذى اتسمت تصرفاته بالشذوذ والتطرف واللامعقول- على عشرة من أراخنة الأقباط... وكان أحدهم من مقدمى الأقباط الأرثوذكس ويدعى أبو نجاح الكبير... طلب إليه الحاكم أن يعتنق الإسلام ليجعله وزيراً... فطلب من

الخليفة أن يُمهله يوماً يفكر فيه ... ولم يكن طلبه مهلة اليوم للتفكير، بل للاتصال باخوته وحثهم على الثبات فى الإيمان والموت على اسم المسيح. وحينما اجتمع بهم قال لهم: [الآن يا اخوتى لا تطلبوا هذا المجد الفانى، فتضيّعوا مجد السيد المسيح الدائم الباقى. فقد اشبع نفوسنا من خيرات الأرض. وهوذا برحمته قد دعانا إلى ملكوت السموات. فقوّوا قلوبكم ...] . **وفى الغد مضى إلى الحاكم بأمر الله، وأعلن إيمانه أمامه** ... وقد حاول الحاكم بكل الوسائل أن يحوله عن الإيمان المسيحى، فذهبت كلها ادراج الرياح ... فأمر بأن تنزع ثيابه عنه و يشد فى الهنبازين و يضرب بأعصاب البقر... **ضربوه خمسمائة سوط على جسمه الناعم حتى تقطع لحمه وسال دمه كالماء. ثم أمر أن يضرب إلى كمال الألف جلدة. وبعد أن ضرب ثلثمائة أخرى، قال للجلادين: [أنا عطشان]**. توقفوا عن ضربه وأعلموا الحاكم بذلك، فظن أنه ضعف. فقال: **[اسقوه بعد أن تقولوا له يرجع لديننا] ... فلما جاءوا إليه بالماء واخبروه بما أمرهم به الخليفة، قال لهم: [اعيدوا له ماءه فإنى غير محتاج إليه، لأن سيدى يسوع المسيح قد سقانى]** ... وذكر شهود عيان أنهم أبصروا ماءً يتساقط من لحيته. ولما قال هذا أسلم الروح ... **طيّروا الخبر للحاكم انه توفى، فأمر أن يضرب مائتى جلدة كمالة الألف التى أمر بها ...**

بقام بن بقورة الصّواف :

كان استشهاد هذا الشهيد فى حبرية البابا البطريرك الأنبا خرستوذولس (١٠٤٦ - ١٠٧٧م) وخلافة المستنصر الفاطمى ... كان يبلغ من العمر ٢٢ سنة و يقيم فى مصر القديمة. وكان من أسرة طيبة، **وكان خاله أنبا جرجه أسقفاً. تعرض لتجربة شديدة دفعته للارتداد عن الإيمان المسيحى** ... رفضه أبوه وامه وابعدوه عنهم ... لكن الله لم يتركه، إذ نخس قلبه وندم على فعلته، وقرر العودة للمسيحية ثانية ...

مضى إلى كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بجزيرة الروضة وأقام بها أياماً، وعوّل على التوجه إلى دير أبو مقار صحبة بعض الرهبان والاقامة هناك ... وكان ذلك بناء على مشورتهم ... لكنه عاد وغيّر فكره وقال لهم: **[ما منفعتى إذا مضيت معكم إلى تلك البرية، ولم أعترف بالمسيح فى الموضع الذى انكرته فيه !!]** ... تركهم وشدّ

زنّاره فى وسطه علامة نصرانيته ، وأخذ يتجول فى أسواق مصر... فلما رأى المسلمون زناره فى وسطه بعد اسلامه ، امسكوا به واقتادوه إلى الشرطة . فاعتقله الوالى وضيّق عليه ...

كان أبوه على صلة طيبة بأحد كبار موظفى الدولة و يدعى «عدة الدولة رفق» ، فمضى إليه طالباً مساعدته فى تخليص ابنه ، ووعده بمبلغ كبير من المال ... قال له عدة الدولة انه لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلاّ إذا تظاهر ابنه بالجنون . وانه ينفذ للحبس شهوداً ينظروه و يسمعوا كلامه و يقرّروا جنونه ، و بهذه الطريقة يمكن تخليصه .

كان مع بفام فى الحبس راهب سريانى الجنس ، أخذ يعظه فأنار قلبه ، وأبان له طريق الشهادة حتى حبّب إلى نفسه الشهادة على اسم المسيح . وغدا الاستشهاد أمراً يشتهيه و يؤثره على الحياة... فلما دخل إليه الشهود فى السجن كلمهم بكل عقل واتزان واعترف بالإيمان المسيحى... **قالوا له : [إنما قيل لنا أنك فعلت هذا عن جنون أصابك] . أجابهم : [لو كنت مجنوناً ما حفظت دينى وإيمانى . وأنا بحمد الله عاقل مؤمن بالسيد المسيح له المجد] ... ولما رفع الأمر للوزير أمر بقتله ...**

ابلغوه فى السجن الحكم القاضى بقتله بقصد ارهابه ، لكنه ثبت على إيمانه ... فأخرجوه من سجن الشرطة إلى حيث المكان المعدّ لقتله ... وتبعه جمع غفير من الناس يحملون عصّيهم وآلات تعذيب أخرى . هناك فى ذلك المكان ـ وهو قاب قوسين أو أدنى من القتل ـ أخذ نائب الوالى يغريه باغراءات كثيرة حتى يعدل عن رأيه ... **فكان جواب الشاب على كل تلك الوعود : [لو دفعتَ لى مُلك مصر ما التفتُ إليه] .** فرفع يده ولطمه لطمة قوية تورّمت لها عينه ، واخذوا يرهبونه بأمور أخرى ... أرادوا أن يعصبوا عينيه ، لكنه قطع جزءً من كمّ ثوبه وعصب عينيه بيديه . وركع على الأرض وحوّل وجهه نحو الشرق ورشم جبينه بعلامة الصليب ، ومدّ عنقه . والتمس أن يشرب فما أعطاه أحد ... **وهوى السيّاف بسيفه على عنقه ، فوقع بطنه على الأرض ، أما رأسه ووجهه فكانا منتصبين نحو الشرق وكأنه يصلى .**

أقاموا أربعة جنود لحراسته فى تلك الليلة ، فأبصروا نوراً عظيماً ، حلّ على جسده حتى أنهم فزعوا منه . وأمر الخليفة المستنصر أن يُسلّم جثمانه لذو يه ليدفنوه حيثما شاءوا . فحمله أبوه إلى كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بجزيرة الروضة ، ودفنه

خارج الباب ... وفى اليوم الثالث وصل البابا خرستوذولوس إلى هذه الكنيسة ، ولما علم أنهم دفنوا الشهيد بفام خارج الباب ، استنكر هذا التصرف وقال : [لا يدفن الشهيد خارج البيعة] . وأمر بهدم القبر واخراج جسده ، ودخل به إلى الكنيسة ، وكشف عنه الكفن وقبّله وتبارك منه . ووجد عليه دماً سائلاً كأنه نزف منه لوقته . فأخذ البطريرك من الدم وصلّب على ثيابه . وبنى هناك مذبحاً على اسمه ، وكرّزه ودفنه مقابله على سطح الأرض حتى يتبارك منه الناس .

نماذج من المعترفين

المعترفون هم المؤمنون الذين نالوا عذابات كثيرة من أجل إيمانهم المسيحى، وثبتوا، ولكن الله لحكمته السامية سمح بعد ثباتهم باطلاق سراحهم دون أن يصلوا إلى الاستشهاد ... ونقدم الآن ثلاثة امثلة من المعترفين:

يوحنا المصرى :

يسجل لنا يوسابيوس القيصرى المؤرخ الكنسى خبراً عنه ... هو أحد المعترفين المصريين الذى اثار اعجابه بقوة احتماله للعذابات، وقوة ذاكرته فى حفظ الأسفار المقدسة ... **وكان نتيجة تمسكه بإيمانه انه فقد بصره، وكويت قدماه بالنار حتى تَلَفَتْ !! وطرح فى النار. أما عن قوة ذاكرته فيصفها أوسابيوس بالآتى :**

[لقد فاق يوحنا أبناء عصرنا فى قوة الذاكرة. نقش أسفاراً كاملة من الكتاب المقدس ـلا فى الواح حجرية كما يقول الرسول المبارك، ولا على رق حيوانات، ولا على ورق يبليه السوس والزمن، بل فى الواح قلبه لحمية فى نفس نقية شفافة، وفى بصيرة القلب الطاهرة، حتى بذلك يمكنه أن يستعيد أية فقرة من الكتاب المقدس، سواء من الناموس أو الأنبياء، أو الأسفار التاريخية، أو الأناجيل، أو كتابات الرسل فى أى وقت أراد، كما من كنز ملىء بالكلمات. واعترف بأننى قد ذهلت عندما رأيت الرجل لأول مرة، إذا كان واقفاً وسط جماعة كبيرة يردد بعرض فقرات من الكتاب المقدس. وعندما سمعت صوته فقط خُيلّ إلىَّ أنه كان يقرأ من كتاب حسب العادة المتبعة فى الأجتماعات. ولكن لما أقتربت منه وادركت ما كان يفعل، وشاهدت جميع الباقين وقوفاً حوله بأعين سليمة، بينما كان هو لا يستخدم سوى عينى قلبى. ومع ذلك فكان يتكلم طبيعياً كنبى، ويفوق جداً سليمى الاجساد. كان من المستحيل أن لا امجدّ الله، وادهش كل الدهشة، لأنه بجسمه المشوّه أظهر سمو وعظمة القوة التى كانت بداخله].

أنبا بفنوتيوس أسقف طيبة :

تتلمذ هذا البار والقديس الطاهر فى شبابه للأنبا أنطونيوس أب الرهبان فى الصحراء . وعرف عنه التقوى والنسك والحكمة وطول الروح وسعة الاطلاع فى الأسفار المقدسة ، حتى وصفه اخوته النسّاك بأنه **[الهيكل الحى للحكمة الإلهية]** ... وبسبب فضائله سيم أسقفاً على طيبة (الأقصر الحالية) ، فتفانى فى خدمة كنيسته وتعليم رعيته ... **وفى زمن الاضطهاد الكبير الذى أثاره على الكنيسة كل من جالريوس ومكسيمينوس دازا معاونى دقلديانوس ، قُبض عليه واعترف اعترافاً قوياً بالمسيح ، فسجن وعذب كثيراً ... وأخيراً قلعت عينه اليمنى وكوى تجويفها ، كما كويت أجفانه بالحديد المحمى ، وبُترت ساقه اليسرى ، كما كويت أعصابه وعضلات جسمه . وبعد كل هذه الآلام أرسل على رأس مجموعة كبيرة من المعترفين للعمل فى مناجم النحاس بفلسطين ، حيث ظل هناك مدة أربع سنوات ، حتى افرج عنه بعد زوال الاضطهاد وكان ذلك سنة ٣١١ م .**

عاد إلى شعبه وايبارشيته ، واستأنف نشاطه الرعوى ... **وكان أحد الأساقفة المرموقين الذين حضروا المجمع المسكونى الأول فى نيقية سنة ٣٢٥ م . وكان موضع احترام الجميع لا سيما الامبراطور قسطنطين ، الذى كان يستدعيه مراراً إلى قصره ـ مدة انعقاد المجمع ـ ويحتضنه فى رقةٍ ، ويُقبّل فى احترام زائد عينه التى احتمل فيها التعذيب .**

اتصف بشجاعته وثباته ، ووقف إلى جانب البابا أثناسيوس ، يؤازره فى صراعه الجبّار ضد الاريوسية والاريوسيين . فحضر معه المؤامرة التى حاكها الاريوسيون ضد أثناسيوس فى مجمع صور سنة ٣٣٥ . كما قيل انه كان أحد الآباء الأرثوذكسيين الذين حضروا مجمع سرديكا سنة ٣٤٧ م .

وقد أعطاه الله موهبة أخراج الشياطين وشفاء المرضى . فكان يفتح أعين العميان ويشفى المفلوجين ... أخيراً رقد فى الرب ، ولا يُعرف على وجه الدقة تاريخ انتقاله ...

أنبا صموئيل المعترف :

ولد هذا القديس أوائل القرن السابع الميلادى بوعد إلهى لوالده الذى كان كاهناً مسيحياً، وذلك فى بلدة مليج مركز شبين الكوم. اهتم والده بتربيته تربية مسيحية. ولما بلغ الثانية عشر من عمره كان يمارس أصوام الكنيسة بنسك شديد. **وقيل انه وهو فى هذه السن المبكرة كان يصوم إلى الغروب.** كما كان مواظباً على الصلاة، وملازماً للبيعة فرسم اغنسطساً (قارئاً) ... **ولما كبر أراد والداه أن يزوّجاه لكنه أبى وصارحهما بأنه يريد أن يكون راهباً.** وكانا إذا أكثرا عليه الكلام بخصوص الزواج، يبكى و يقول لهما : [إذا أوجعتما قلبى بهذا الكلام فسأمضى إلى البرية ولا تروننى] ... وإذ كان والده الكاهن وامه يخافان الله لزما الصمت، وقالت أمه : [إننا نفرح إذا يجعلنا الله مستحقين لأن يكون لنا غرس مبارك فى السماء].

وبعد نياحة والديه وكان فى سن العشرين تقريباً قصد برية شيهيت. وتوسل إلى الله أن يرشده إلى أين يذهب. فأرشده إلى دير القديس أبو مقار حيث تتلمذ على أب ناسك قديس يدعى أغاثون الذى رهبنه والبسه الاسكيم الرهبانى ...

كان يقتفى أثر معلمه الروحانى ، فكان يصوم ولا يأكل إلاّ مرتين فى الأسبوع ... وكان لا يأكل خبزاً مدة الصوم الكبير. وكان حاراً فى صلواته، مداوماً على القراءة فى الأسفار الإلهية وسير الآباء القديسين ... **وكل من كان يراه كان يتعزى من منظره** ... وبعد أن أقام عند أبيه الروحى الأنبا أغاثون ثلاث سنوات تنيح الشيخ. فانفرد متوحداً وزاد فى جهاده. **ورسموه قساً على بيعة القديس مقاريوس بالاسقيط** ...

وفى زمان حكم المقوقس الحاكم والبطريرك الملكانى على مصر، وفى حبرية البابا الأنبا بنيامين البطريرك الثامن والثلاثين (٦٢٢- ٦٦١م) ... جدّدوا اضطهاد الأقباط لقبول طومس لاون أسقف روما وقرارات مجمع خلقيدونية، وحاولت الدولة الرومانية بكل وسائلها اخضاع أقباط مصر لمعتقدهم الفاسد ... وصل رسول من عند المقوقس إلى دير أبو مقار ومعه طومس لاون المذكور، وقرأه على مسامع شيوخ الدير ... ثم سألهم : [أتؤمنون بهذا الإيمان المكتوب الذى قرأته عليكم ؟] ... أما الرهبان فلزموا الصمت. اغتاظ رسول المقوقس وصاح فى الرهبان : [أما تتكلمون

بشيء أيها الرهبان العصاة] ... **عندئذ أخذت غيرة الرب الأنبا صموئيل وامسك بالطومس وقال للرهبان : [يا آبائي لا تخافوا ولا تقبلوا هذا الطومس . محروم مجمع خلقيدونية ، ومحروم لاون المخالف ، ومحروم كل من يؤمن بإيمانه] ... ثم مزق الطومس ولعن كل من يغيّر الإيمان المستقيم .**

غضب رسول المقوقس ـ وكان من رجال الحكومة ـ وأمر اتباعه أن يعذبوه ويضربوه ، فضربوه ضرباً مبرحاً بالسياط حتى أصابوا احدى عينيه فقلعت ... وقال له ذلك الرسول : [اعلم أن فقأ عينك هو الذى نجّاك من الموت . وأنا مكتف بذلك ، **ثم طرده من الدير ، فأتاه ملاك شفاه وعزاه وأمره بالذهاب إلى اقليم الفيوم ليقيم فى الجبل المسمى القلمون ،** جنوبى اقليم الفيوم ... وبالفعل مضى وسكن هناك .

وقد تعرض هذا القديس لتجربة مرّة ... سُبى مرتين بواسطة البربر ... وفى المرة الثانية قدموه لرئيس كورتهم ويدعى زكردش ... وسبى فى نفس المكان القديس يُحنس قمص شيهيت ... وكان هؤلاء البربر يعبدون الشمس ... وحذر الأنبا يُحنس الأنبا صموئيل من هؤلاء البربر ، وقال له إنه نالته آلام كثيرة بسبب محاولة اخضاعه لعبادتهم .

ولما طلب ذلك الرئيس البربرى من أنبا صموئيل أن يسجد للشمس حال شروقها ، رفض فغضب عليه وضربه ضرباً مبرحاً ، ثم أوثقوه فى اسطبل للجمال وتركوه مقيداً لمدة خمسة أيام بدون طعام أو شراب . بعدها اطلقه سيده ليرعى جماله فى الحقل ... وكان يتعزى برفقة الأنبا يحنس ... **حسده الشيطان ودبّر له تجربة جديدة ،** فتكلم فى قلب سيده أن يطلب إلى أنبا صموئيل الزواج باحدى جواريه لينجب منها عبيداً ... ولما عرض سيّده عليه أمر الزواج قال له : **[إنى مستعد أن أقبل كل شيء تصنعه بى إن كان ناراً أو سيفاً . فأفضل لى أن أموت ولا أدنس اسكيمى واصير غريباً عن ملكوت الله] .** فقال له سيده : [لقد جلبت لذاتك عذاب الموت . ولست أعذبك فى بيتى لكى تموت سريعاً بل اربطك فى شجرة السنط واتركك بلا طعام أو شراب حتى تقبل الزواج من الجارية] .

نفذ ذلك السيد وعيده وربط صموئيل فى شجرة سنط وتركه مدة بدون طعام أو

شراب محتملا حرّ النهار وبرد الليل، ومع ذلك لم يَلِنْ عزمه ... **فدبر الشيطان للأنبا صموئيل تجربة أخرى فتكلم فى قلب ذلك السيد الشرير أن يقيده بقيد حديدى مع الجارية التى أختارها ... وبالفعل وضعوا قيداً حديدياً فى رجل القديس اليمنى ورجل الجارية اليسرى، وارسلهما على الحال ليرعيا الجمال فى الحقل ... وهكذا كانا يسيران معاً ويرقدان معاً، لا يبرح القيد رجليهما ... وفى كل ذلك كان الأنبا صموئيل يزداد جهاداً وشجاعةً !!**

كان القديس يتوسل إلى الله بدموع لكى ينقذه من هذه التجربة المرّة ... **والرب دبرّ انقاذه بأن أعطاه موهبة شفاء الأمراض، فقد أقام مقعداً، وشفى طفلاً كانت أصابعه ملتصقة وابكم وشفى الجارية التى كانت مقيدة معه من مرض الجزام الذى جعلها تزحف على الأرض كمقعدة ... كما شفى امرأة رئيس هؤلاء البربر وكان جسدها مضروباً كله بالقروح بكلمة واحدة: [ربى يسوع المسيح يشفيكِ من مرضكِ] ...**

وبعد أن عاين سيده كل هذه المعجزات طلب إليه أن يسامحه فى كل شر صنعه معه، وفك أسره وارسل معه من أوصلوه إلى ديره، وكان مسيرة سبعة عشر يوماً ... وفى الدير دخل الكنيسة وقدّم الشكر لله. **وتراءت له السيدة العذراء فى الكنيسة وشجعته ...** وكان معها أشخاص نورانيون، الذين سألوها إن كان البربر يفدون إلى هذا الموضع ثانية فقالت لهم: [لا يكون هذا بعد الآن من أجل الشدائد التى تحملها صموئيل الناسك بالحقيقة، فإن ابنى الحبيب يحفظه و يثبته].

فرح الأنبا صموئيل كثيراً بهذه الرؤيا واستأنف نشاطه واجتمع حوله تلاميذ كثيرون ... وأخيراً بعد جهاد حسن **تنيح بسلام فى اليوم الثامن من شهر كيهك.**

باقة من النُسَّاك والنَاسكَات

- نظرة المسيحية للجسد .
- النسك فى المسيحية .
- الآباء النساك :
  - مار افرام السريانى
  - مكسيموس وديماديوس
  - الراهب بيسوس .

الناسكات :

- انستاسية المتوحدة
- القديسة ابولنير المتوحدة .

ماذا يُقصد بكلمة نُسْك ؟

فى اللغة العربية الفعل نَسَكَ نُسْكاً يعنى تزهّد وتعبّد وتقشّف . ومنها تَنَسَّك أى تزهّد وتعبّد . والنُسْك أى العبادة . ومنها الناسك أى الزاهد المتعبّد وجمعها نُسَّاك . والمَنْسَك هو المكان (المنجد ص ٨٧٥) ... والكلمة القبطية CWK تعنى مِسْحْ ، والجمع Niewk أى مسوح وهى الثياب الخشنة بشعر . فربما رجعت كلمة نُسكْ إلى هذه الكلمة القبطية Nicwk ـ والكلمة القبطية Cek تعنى صام أو زهد ... **وفى المصطلح الكنسى فإن كلمة نُسك تشمل كل ألوان اماتة الجسد والزهد فى العالم والعالميات ... وتطلق على وجه الخصوص على عبادات الآباء الرهبان الذين هجروا العالم وتركوه ، وعاشوا فى بتولية وتجرّد ومارسوا اصواماً مستطيلة بقصد حياة التأمل والصلاة ...**

ولم تكن الديانة المسيحية هى البادئة بحياة النسك والداعية إليه ، لكن التنسّك نزعة فلسفية ظهرت بين عدد من الطوائف والجماعات المختلفة بين شعوب الشرق الوثنية قبل ظهور السيد المسيح بعدة قرون ، كما عرف أيضاً بين اليهود ... فكثيرون لأسباب متباينة وفى عصور مختلفة زهدوا العالم ومباهجه ، وعكفوا على الممارسات النسكية ... ونرى من المناسب قبل أن نعرض للنسك المسيحى أن نعرض للتنسك فى بعض الشعوب القديمة ...

التنسّك عند غير المسيحيين

البوذيون :

عرف الهنود البوذيون ، الذين يدينون بعبادة بوذا الواناً من النسك. ولهم تاريخ طويل فى التنسك والحياة الانفرادية والتقشف الصارم وإذلال الجسد وكبح نزواته بطرق غاية فى الخشونة والقسوة ... وكانوا يؤلفون من أفرادهم جماعات عديدة . عاش بعضها فى الكهوف أو بين الأدغال والغابات . ولجأ البعض إلى الهياكل ومناسك المعابد ، أو قرب شواطىء الأنهار المقدسة بحسب اعتقادهم ، حيث يمارسون ضروباً من الرياضة البدنية القاسية مع الصوم والحرمان بقصد تعذيب أجسادهم .

كان الدافع لهؤلاء على ضروب التقشف هو اعتقادهم بأن السعادة والخلاص فى الحياة الآخرة يقومان على الطهارة. وان جسد الإنسان هو سبب كل الشرور، والمعرقل للوصول إلى الغاية المنشودة والفضيلة ... ومن ثم فقد اعتبروا الجسد خصماً لدوداً، وعملوا على تكبيله بقيود واغلال غاية فى القسوة والصرامة ... فمنهم من كانوا يعذبون أجسادهم بالكىّ والمناخس الحديدية ويقتحمون النيران المتقدّة فى صمت وجلد بالغ، ويمشون وينامون فوق لوحات خشبية رشقت اسطحها بالمسامير المدببة!! ومنهم من يكف عن الكلام أياماً عديدة، أو من يصعد إلى قمم الجبال العالية، ويقطع القفار والصحارى النائية، ولا يستر جسده إلاّ بخرق بالية لا تقيه حرّ الصيف ولا برد الشتاء!!

وتمكن هؤلاء الهنود من نشر مبادئهم فى أنحاء الهند والصين واليابان والجزر والبحار التى حولها، لأنهم اعتقدوا أن العالم لن يسوده الاستقرار إلاّ بالعيش وفق مبادئهم... لذلك كونوا جماعات للتبشير بمبادئهم خارج بلادهم... وقد حاولوا هذه المحاولة فى مصر فى منتصف القرن الثالث ق.م، أيام حكم امبراطور الهند اسوكا Asoka والحاكم البطلمى فيلادلفوس. لكنهم لم ينجحوا فى اقامة اية منظمة بوذية فى مصر.

الاغريق :

بالنسبة للاغريق **فإن الفكر والاتجاه النسكى كانا نتاج الفلسفة الاغريقية بمدارسها المختلفة ... ولقد قدمت هذه الفلسفات ـ كل بطريقتها ـ الفكر والممارسة النسكيين فى زمانها ...** كان التنسك ظاهرة مميزة فى الأنظمة الاورفية Orphie والفيثاغورية عند الاغريق فى انحاء العالم الاغريقى الرومانى Roman - Graeco ... كان هناك ميل عام ان يرتبط الفرد بالدين ويتمسّك بالأخلاقيات، وان الاتحاد بالله يتطلب نقاوة وطهارة النفس من خلال أعمال النسك. **وانتشرت فكرة الثنائية فى الإنسان. وان الجسد هو السجن الذى تُحبس فيه الروح ...**

ولقد أحيت **الفيثاغورية الجديدة** عقائد فيثاغورس . **وكان اتباعها نباتيين، امتنعوا عن شرب الخمر وقللّوا من شأن الزواج، واعطوا اهتماماً كبيراً للصمت.** والمثل الأعلى للفيثاغوريين شخص يدعى ابوللونيوس عاش فى القرن الأول الميلادى،

أمضى خمس سنوات من الحادية والعشرين إلى السادسة والعشرين من عمره ممارساً الصمت . وكان يسير حافى القدمين ، لا يقص شعره ، عاش نباتياً وامتنع عن شرب الخمر...

والافلاطونية المحدثة التى ظهرت فى الاسكندرية ، واسسها امونيوس سقّاص (+٢٤٥م) ، ومن بعده تلميذه افلوطين (٢٠٥- ٢٧٠م) الأسيوطى المولد ، **إنما تمثل تطوراً هاماً فى التنسك الاغريقى فى الاسكندرية فى القرنين الثالث والرابع الميلاديين... كان افلوطين يرى المادة على أنها شر. وجعل تعليمه الأدبى فى التطهّر من أدناس الحواس واعتزال العالم وتحرير الروح من سجن الجسد بإذلاله واعتزال العالم ومباهجه.** عاش نباتياً مقلّلاً من النوم ، كما تميزت حياته بالنسك الصارم... وما لبث أن حدث تطور للأفلاطونية المحدثة على يد **بروفيرى (٢٣٣- ٣٠٠م) الذى وضع تأكيداً أكبر لأهمية الممارسات النسكية.** هذا فضلاً عن تأكيد جانب الحياة التأملى بدلاً من جانبها العملى... وظلت الأفلاطونية المحدثة كفلسفة مزدهرة فى الاسكندرية حتى القرن الخامس الميلادى. وكان لها تأثيرها العميق والقوى على الفكر المعاصر سواء الوثنى أو المسيحى...

المصـــريون :

الدارس للديانة المصرية القديمة يلاحظ وجود آثار نسكية بها . ونستطيع أن نلمس هذه الآثار مما جاء **بكتاب الموتى**... ففى الفصلين ٦٤ ، ١٣٧ (أ) يقول : **[هذا الفصل يقرأه رجل طاهر ونقى ، لا يكون قد أكل لحم الحيوانات أو الأسماك ، ولم يتزوج بامرأة] !!** وفى طقوس اوزوريس وايزيس الدينية ، كان الكهنة يخصصون لآلهتهم فترات مختلفة للصوم والعبادة مع الامتناع عن أكل اللحوم والسمك وشرب الخمر...

ويذكر **بلوتارك** الذى عاش فى القرن الأول واوائل الثانى الميلادى ـ وكان له دراية كبيرة بالديانة المصرية القديمة ـ **عن عبادة ايزيس واوزوريس كما كانت فى القرن الأول الميلادى ، أن رفض الملاذ الحسية كان ضرورياً للوصول إلى المعرفة الروحية العالية. وامتدح الكهنة المصريين الذين كانوا يشربون الماء ، وامتنعوا عن أكل لحوم الخراف والخنازير والأسماك**... ويقول أيضاً : [أما بالنسبة للخمر

فإن أولئك الذين يخدمون الإله فى عين شمس لا يُدخِلُونها إلى المعبد . لأنه لا يليق أن يشرب (الخمر) حينما يكون رب وملك النهار ناظراً . والبعض الآخر يتعاطونها قليلاً ، ويمتنعون عنها فى الأصوام الكثيرة] ... **ويتضح من كل ذلك أن النسك عرف طريقه إلى حياة المصريين . وكان معروفاً وممارساً بواسطة الإنسان العادى .**

اليهــود :

هناك طائفتان نسكيتان يهوديتان تستحقان الإشارة إليهما فيما يختص بموضوع النسك ، **وهما طائفة الاسنيين** Essenes **وطائفة الترابوت** Therapeutae **(الشفاء) .**

ألف الاسيينون جماعة يهودية عاصرت السيد المسيح بالجسد ، وكانت مزدهرة فى القرن السابق للميلاد ، واستمرت حتى خراب أورشليم سنة ٧٠ م ... وتسمية الاسينيين تعنى فى الغالب **(الأتقياء)** ... كانت لهم مبادىء كثيرة ، لكن ما يهمنا هنا ونحن بصدد موضوع التنسك ، أن هؤلاء الاسينيين كانوا يؤمنون بأن تلك الأيام التى عاشوا فيها هى الأيام الأخيرة ، ولذا ينبغى الاسراع بالتوبة . **أما وسيلتهم إلى ذلك فكانت اماتة شهوات الجسد ، والجهاد الروحى فى عزلة عن صخب الحياة . ومارسوا إلى جانب ذلك وسائل الزهد . وامتنع بعضهم عن الزواج .** وإن كان البعض الآخر نظر إلى الزواج على أنه ضرورى لحفظ الجنس . لكنهم بصفة عامة كانوا يقللون من شأن المرأة .

أما جماعة الترابوت (طائفة الشفاء) ، فهى جماعة يهودية متنسكة ظهرت فى مصر فى القرن الأول الميلادى فى زمن الفيلسوف اليهودى السكندرى فيلو Philo . وكانوا يعيشون عند شواطىء بحيرة مريوط بالقرب من الاسكندرية ... **والاتجاه النسكى واضح وقوى فى كتابات فيلو . انه يمتدح ترك العالم والزهد والفقر الاختيارى ... انه يؤكد ان الجسد شرٌّ بطبيعته ويتآمر ضد الروح .** ويقول : [إن الفيلسوف من حيث كونه محباً للفضيلة ، يهتم بما هو حيٌّ فى داخله أى روحه ، ويحتقر جسده المائت . ولا همّ له سوى الحيلولة دون أن تُجرح روحه ـ وهى الجزء الأسمى فيه ـ بالشر والأمور المائتة ، وما يتعلق بها] ... **وكان طعام طائفة الترابوت يتألف من الخبز والملح وبعض الحشائش ، وكان شرابهم الماء ...** وكانوا يعيشون فى أكواخ

بسيطة منفصلة لتقيهم الحرارة والبرودة . وكانوا يعيشون على مقربة من بعضهم البعض بقصد التعاون والحماية ... وكانت هذه الطائفة تضم الرجال والنساء . أما النساء فكنّ يتألفن من عذارى مسنّات .. وكانوا قبل بدئهم هذه الحياة يوزعون جزءاً من ممتلكاتهم وليس جميعها !!

النُسْك المسيحى

بادىء ذى بدء قبل أن نتكلم عن النسك فى المسيحية ، **نود أن نؤكد على فارق جوهرى بين النسك بالمفهوم المسيحى ، والتنسك بالمفهوم غير المسيحى ... الأول يرتبط بالروح ، والثانى ترتبط ممارساته بفكرة خاطئة عن الجسد ... هدف التنسك غير المسيحى هو تعذيب الجسد بحكم النظرة إلى الجسد على انه شرّ أما فى المسيحية فلا ينظر للجسد على انه شر ، بل على انه هيكل الله وروح الله ساكن فيه ... وهدف الممارسات النسكية فى المسيحية هو اذلال الجسد واخضاعه لسلطان الروح .** فالجسد ترابى ومن طبيعة أخرى غير طبيعة الروح ، ولذلك فإن « الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد ، وهذان يقاوم أحدهما الآخر » (غل ٥ : ١٧) ... **إن جهاد المسيحى هو فى تغليب وتقوية الروح على الجسد ، ولا نقول اضعاف الجسد بل اذلاله ...** فالجسد هو المطية التى بها نصل إلى الأبدية . وإذا ضعف الجسد ومرض لا يستطيع الإنسان أن يؤدى على الوجه الأكمل حتى واجباته الروحية ...

والمسيحية فيما تعلّم هذا التعليم ، تبدأ من البداية ... بداية الإنسان فى العالم هى بولادته ، لذا فإن المسيحية تمسك أيضاً بهذه البداية ... انها تلد **الإنسان المؤمن ولادة روحية بطريقة فائقة .** انها تلده من بطن المعمودية فى الكنيسة من الماء والروح ، حتى ما يصبح خليقة روحية جديدة ، لأن « المولود من الجسد جسد هو ، والمولود من الروح هو روح » (يو ٣ : ٦) ... **ثم هى تمنح هذا الإنسان الجديد مسحة الروح القدس ليصير كياناً روحياً ومسكناً لروح الله وذلك بدهنه الميرون المقدسة ... ثم هى تغذيه مدى حياته بطعام روحانى ،** فتقدم له الافخارستيا ـ جسد الرب ودمه الأقدسين **« خبز الحياة ... لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت »** (يو ٦ : ٣٥ ، ٤٨ ، ٥٧) ... وبه ينال نعمة الثبات فى الكرمة الحقيقية ربنا يسوع

المسيح «من يأكل جسدى ويشرب دمى **يثبت فيَّ وأنا فيه**» (يو ٦ : ٥٦)... إن التناول باستحقاق وباستمرار هو بمثابة عملية نقل دم نقى جديد للإنسان من أجل روحه واستنارتها وانتعاشها...

فى المسيحية ، نحن لا ننظر للجسد على أنه عدو . وبحسب تعبير الرسول بولس : «فإنه لم يُبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه» (أف ٥ : ٢٩)... **لكننا** نريد **أن نجعل الجسد مقدساً**... هكذا يتكلم بولس عن العذراء غير المتزوجة ويقول : «**لتكون مقدّسة جسداً وروحاً**» (١ كو ٧ : ٣٤). والنظرة غير العدائية للجسد نجدها واضحة كل الوضوح فى رسائل بولس الرسول... **يقول عن الجسد انه : «ليس للزنا بل للرب والرب للجسد»**... ويقول بعد ذلك مباشرة : «ألستم تعلمون أن **أجسادكم هى أعضاء المسيح**»... «أم لستم تعلمون **أن جسدكم هو هيكل للروح القدس**» (١ كو ٦ : ١٣ ، ١٥ ، ١٩) ولئلا يظن أحد أن بولس حينما يتكلم عن الجسد يتكلم عنه باعتباره شاملاً الروح أيضاً ، يتكلم عن كل منهما ويقول : «مجدوا الله **فى أجسادكم وفى أرواحكم** التى هى لله» (١ كو ٦ : ٢٠)... وبعد أن يكتب بولس لأهل كولوسى عن خطأ الذين يعتبرون أطعمة معينة انها نجسة يقول : «**أما الجسد فللمسيح**» (كو ٢ : ١٧)... ويطلب إلى أهل رومية **أن يقدموا أجسادهم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله** (رو ١٢ : ١)...

والغنوسيون الهراطقة الذين أنكروا تجسّد الكلمة لاعتقادهم أن الجسد شرٌّ إذ كيف يتحد الأقنوم الثانى بالجسد... هؤلاء حرمتهم الكنيسة من شركتها وشجبت تعاليمهم. فالمسيحية تعلّم أن الله ظهر فى الجسد ، وهذا هو سرّ التقوى (١ تى ٣ : ١٦)... ويقول يوحنا اللاهوتى : «كل روح **لا يعترف بيسوع المسيح انه قد جاء فى الجسد فليس من الله**» (١ يو ٤ : ٣) ، لأن فيه «**يحلّ كل ملء اللاهوت جسدياً**» (كو ٢ : ٩)...

وما تدعونا المسيحية إلى مقته ومقاومته ـ ليس هو الجسد ، بل أعمال الجسد ويُقصد بها الخطايا والشهوات الدنسة... وهذا واضح من كلام الرسول بولس : «**أعمال الجسد ظاهرة** التى هى زنى عهارة نجاسة دعارة عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد قتل سكر بطر وأمثال هذه» (غل ٥ : ١٩ - ٢١).

بعد هذا التوضيح الذى أوضحناه عن نظرة المسيحية للجسد ، نعود إلى ما سبق أن قلناه وهو أن النسك فى المصطلح الكنسى يشمل كل ألوان اماتة الجسد واذلاله والزهد فى العالم والعالميات. وتطلق بوجه خاص على عبادة الآباء الرهبان الذين هجروا العالم وتركوه، وعاشوا فى بتولية وتجرّد ومارسوا الأصوام الطويلة بقصد حياة التأمل والصلاة ... ونبين أن هذه المبادىء التى التزم بها النسّاك المسيحيون هى انجيلية أولاً وأخيراً ...

أولاً ـ أعتزال العالم وحياة الوحدة :

الميل لحياة الوحدة فى الصحارى والجبال والأماكن النائية، بدأ يظهر منذ وقت مبكّر فى تاريخ الكنيسة المسيحية ... ويقول **المؤرخ مكين Makean** فى كتابه «الرهبنة المسيحية فى مصر Christion Monasticism in Egypt» **[منذ أيام المسيح، كان المسيحيون على علم بشعور الاعتزال عن العالم] ويستدل على ذلك من كلام المسيح** نفسه: «لستم من العالم» (**يو ١٥ : ١٩**) ... «**ليسوا من العالم، كما انى أنا لست من العالم**» (يو١٧ : ١٤) ... ولا شك ان هذا الاتجاه تقوّى منذ وقت مبكر نتيجة الاضطهادات التى شنتها الدولة الرومانية ضد المسيحية الناشئة، وأيضاً نتيجة تزايد الفساد وانتشاره فى العالم.

وحياة السيد المسيح كمثل أعلى للمؤمنين أوجدت هذه الرغبة، بل ايقظتها واشعلتها. فكثيراً ما كان المسيح ينفرد فى الجبل ويصلى (مر ٦ : ٤٦ ؛ لو ٦ : ١٢) ... وهذا الأمر لم يكن يحدث مرة واحدة بل بصورة متكررة. ويتضح ذلك من **قول لوقا الإنجيلى**: «كان فى النهار يعلّم فى الهيكل، وفى الليل يخرج ويبيت فى الجبل الذى يدعى جبل الزيتون» (لو ٢١ : ٣٧).

وجدير بالملاحظة أن **السيد المسيح قبل البدء فى خدمته الكرازية اقتاده الروح إلى البرية حيث امضى اربعين يوماً هناك** (لو ٤ : ١، ٢) ... كما انه اظهر مجده فى حادثة التجلى على جبل عالٍ (لو ٩ : ٢٨ - ٣٦). ومن ذلك نلمس أن الرب يسوع لم يكن يلجأ إلى الجبل أو مواضع الخلاء باعتبارها مواضع فسيحة يعلّم فيها الجموع، بل لأنها أماكن بعيدة عن الضوضاء. حتى يكون هو فى ذلك قدوة للمؤمنين ...

وكان لسيرة إيليا ويوحنا المعمدان وبولس الرسول أثر على الفكر المسيحى فى

هذه الناحية ... ويؤكد ذلك القديس جيروم ويوحنا كسيان ... **فايليا** عاش عند نهر كريت وكانت الغربان تطعمه (١مل ١٧)، **ويوحنا المعمدان** كان فى البرارى إلى يوم ظهوره لإسرائيل (لو ١ : ٨٠)، الأمر الذى لأجله يدعوه القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات [سائحاً]، كما يدعوه القديس يوحنا ذهبى الفم: [قائد الرهبان ومعلمهم]. **وبولس الرسول** اناء العهد الجديد المختار، بعد أن آمن بالمسيح انطلق إلى الصحراء العربيه شرقى دمشق (غل ١ : ١٥ - ١٧) ... فلا عجب إذن ان امتدح بولس فى رسالته إلى العبرانيين مسلك من عاشوا فى البرارى والجبال والمغائر وشقوق الأرض وقال عنهم: **«إن العالم لم يكن مستحقاً لهم» (عب ١١ : ٣٢ - ٣٩) ... ولعل كلمات الرسول هذه هى صدى لكلمات الرب نفسه: «للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه»** (مت ٩ : ٥٨) ...

لا عجب إذن - والحال هذه - إن اتجه المسيحيون منذ وقت مبكر إلى اعتزال العالم والاتجاه إلى الأماكن المقفرة والبرارى والجبال ليحيوا فى وحدة مع الله، أو بحسب تعبير مار اسحق المتوحد ينحلوا من الكل ليرتبظطوا بالواحد الذى هو الله ... يقول يوحنا سابا المعروف باسم الشيخ الروحانى مناجياً الله: [اقطع حديثى مع الناس لاتحدث معك. اغلق بابى لتفتح أنت لى بابك. احرم نفسى من الشمس الطبيعية لتشرق أنت لى يا شمس البرّ والشفاء فى اجنحتها ...].

ثانياً - التجــــرّد :

التجرّد أو الفقر الاختيارى هو ان يتجرد الإنسان باختياره من جميع المقتنيات، وأن يحيا فقيراً كما عاش سيده ومعلمه المسيح ... وتعليم السيد المسيح عن هذا الأمر يوضح ذلك بصورة عجيبة. فقد حذّر من المال وسلطانه ومحبته ... وقد بدأ ذلك بعظته على الجبل وهى بمثابة الخطاب الافتتاحى الذى يعبرّ عن اتجاهاته **«لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض ... بل اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء،** لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً» (مت ٦ : ١٩ - ٢١) ... وفى مثل وكيل الظلم قال: «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ... لا تقدرون أن تخدموا الله والمال» (لو ١٦ : ١٣) ... «انه يعسر أن يدخل غنىّ إلى ملكوت السموات ...

مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله » . فلما بهت تلاميذه من هذا الكلام وقالوا : « إذن من يستطيع أن يخلص » نظر إليهم وقال : « هذا عند الناس غير مستطاع، ولكن عند الله كل شيء مستطاع » (مت ١٩ : ٢٣- ٢٦) ... ثم اضاف إلى ذلك قوله : **« كل من ترك بيوتاً** أو اخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً **من أجل اسمى يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية »** (مت ١٩ : ٢٩) ... ووجه الأهمية فى كلام السيد المسيح انه رسم المبدأ ووضع إلى جانبه الجزاء . فالسيد المسيح يدعونا إلى ترك مقتنيات هذا العالم لنرث اضعافها فى السماء ...

وحينما تقدم شاب غنى إلى المسيح وسأله ماذا يعمل ليرث الحياة الأبدية ؛ أحاله إلى الوصايا وحفظها . ولما أجاب ذلك الشاب أنه حفظ الوصايا العشر وسأل عما يعوزه بعد ، قال له المسيح : **« إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع املاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء** وتعال اتبعنى » (مت ١٩ : ١٦- ٢٢) ... لا عجب ان فهم المسيحيون تعليم الرب ونفّذوه حرفياً ... ولم يحدث هذا فى وقت متأخر ولكن منذ فجر المسيحية . فنحن نقرأ عن المسيحيين الذين كانوا يبيعون بيوتهم وحقولهم و يأتون بأثمانها و يقدمونها للكنيسة . وكمثل يذكر لنا سفر الأعمال برنابا وحنانيا وسفيرة (أع ٤ ، ٥) ... **على أن هناك ملاحظة يجب أن نلتفت إليها وهى ان التجرد الكامل ليس وصية للجميع انها وصية اختيارية لمن يريد أن يكون كاملاً** . ولذلك فإن من نفذ وصية الرب هذه يعتبر انه سار فى طريق الكمال ...

ولا شك أن الرسول بولس بكتاباته قد غذّى الرغبة فى حياة التجرد ... فهو لم يَنْهَ فقط عن محبة المال بل اعتبر انها أصل لكل الشرور ، وطلب إلى المؤمنين أن يهربوا منها (١تى ٦ : ١٠ ، ١١) . وقال : **(لأننا لم ندخل العالم بشيء ، وواضح اننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء . فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما »** (١تى ٦ : ٧) ... ولنلاحظ الكلمات التى استخدمها الرسول « قوت وكسوة » أى ما يقيت الإنسان و يسد رمقه ، و يكسو عريه ...

أما الآباء القديسون النساك فقد عاشوا حياة التجرد من المقتنيات ، وعلموا انها مقدمة للتجرد من الشهوات ... يقول القديس يوحنا التبايسى (الأسيوطى) من القرن الرابع : [والآن أبدأ فى الكلام عن طقس الكمال ، لأن التجرد من المقتنيات

ليس هو هذا الكمال ، لكن مبدأ طريق الإيمان ... فإن لم يبدأ الإنسان بالتجرد عن المقتنيات لا يمكن أن يتجرد عن آلام الأفكار الرديئة . وان لم يتجرد عن حركات الآلام السمجة لا يقتنى نقاوة النفس ، التى هى مبدأ سيرة الإنسان الجديد]!!...
و يقول القديس فيلوكسيتوس من القرن السادس : [الإنسان لا يستطيع ان يسير فى طريق الكمال مادام يملك شيئاً جسدانياً ، **لانه حسب مقدار الاقتناء تكون رباطات النفس التى تربط جناحات العقل ، فتعطل طيرانها إلى السماء**] .

ثالثاً ـ البتـــولية :

إن كانت البتولية قد عرفت فى بعض الأنظمة الدينية الوثنية لدى شعوب الحضارات القديمة كالمصريين والهنود والصينيين ، كما عرفت بين شعب الله فى العهد القديم ، لكنها فى المسيحية تنبع من مفهوم سامٍ وتتألق بين الفضائل جميعها ...

والمسيح كالمثل الأعلى للمسيحيين عاش بتولاً وولد من بتول احتفظت ببتوليتها حتى نياحتها. وقد أورد ذلك فى تعليمه ... فقد تكلم عن الخصيان الذى خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات (مت ١٩ : ١٠- ١٢)... وفى رده على الصدوقيين الذين طرحوا عليه سؤال المرأة التى تزوجت من سبعة أخوة قال : «لأنهم فى القيامة لا يزوّجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء» (مت ٢٢ : ٣٠ ؛ لو ٢٠ : ٣٥)... أى أن حالة عدم الزواج هى تشبه بحياة الملائكة ... و يؤكد هذا المعنى القديس كبريانوس الشهيد فى رسالة له لبعض العذارى : [لقد ابتدأتن الآن وانتن فى هذه الحياة فى التمتع بما سيكون لكن فى السماء بعد القيامة . لأنكن بحفظكن بكارتكن قد تشبهتن بالملائكة !!] .

أما القديس بولس الرسول فيتحدث عن البتولية حديثاً فياضاً ، مبيناً سموها ، وروّج لها متمنياً لو أن الجميع عاشوا بتوليين ... «أقول لغير المتزوجين وللأرامل انه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا ... أريد أن يكونوا بلا همّ. غير المتزوج يهتم فى ما للرب كيف يرضى الرب. وأما المتزوج فيهتم فى ما للعالم كيف يرضى امرأته ... إذاً من زوّج فحسناً يفعل ، ومن لا يُزوّج يفعل أحسن» (١ كو ٧ : ٨ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٨)... هذه الكلمات كانت اجابة عن سؤال وجهه اليه مؤمنو كورنثوس بخصوص موضوع البتولية والزواج ، و يتضح ذلك مما جاء فى صدر هذا

الاصحاح «أما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها فحسن للرجل أن لا يمسّ امرأة» ... ومعنى ذلك أن موضوع البتولية والزواج طرح مبكراً فى الكنيسة الأولى.

والحق ان موجة شديدة من الحماس للبتولية اجتاحت المؤمنين والمؤمنات منذ فجر المسيحية المبكرّ، حتى أن بعض الأزواج والزوجات من فرط حماسهم للبتولية ـتسامياً منهم عن الجسدـ امتنعوا عن المعاشرات الزوجية، وعاشوا مع بعضهم كاخوة واخوات !!...

ونستطيع أن نلمس ذلك فى الحديث الذى دار بين بطرس والسيد المسيح ... قال بطرس: «ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك». أجاب يسوع وقال: «الحق أقول لكم ليس أحد **ترك** بيتاً أو اخوة أو اخوات أو أباً أو أماً أو **امرأة** (زوجة) أو أولاداً أو حقولاً لأجلى ولأجل الإنجيل إلاّ ويأخذ مائة ضعف الآن فى هذا الزمان بيوتاً واخوة واخوات وأمهات وأولاداً وحقولاً مع اضطهادات، وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية» (مر ١٠: ٢٩، ٣٠؛ مت ١٩: ٢٩؛ لو١٨: ٢٩)... **وواضح من هذا الكلام أن بطرس حينما قال انه ترك كل شيء، كان يعنى أيضاً أنه ترك زوجته من ناحية المعاشرات الزوجية كزوجة.** والمسيح العارف بما فى القلوب والنيات، الذى عرف ما كان يعنيه بطرس، أجاب: **«ليس أحد ترك امرأة»... ويؤكد** ذلك ما قاله معلمنا بولس الرسول: «العلّنا ليس لنا سلطان أن نحول بأختٍ زوجةً كباقى الرسل واخوة الرب وصفا» (١ كو ٩: ٥)... كانت زوجة فصارت أختاً !!

أخيراً أبان مركز البتوليين فى العالم العتيد القديس يوحنا فى سفر الرؤيا حينما يقول: «ثم نظرت وإذا خروف واقف على جبل صهيون ومعه مئة واربعة وأربعين ألفاً لهم اسم أبيه مكتوباً على جباههم... وهم يترنمون كترنيمة جديدة أمام العرش،وأمام الأربعة حيوانات والشيوخ. ولم يستطع أحد أن يتعلّم الترنيمة إلاّ المائة والأربعة والأربعون ألفاً الذين اشتروا من الأرض. هؤلاء هم الذين **لم يتنجسّوا مع النساء لأنهم ابكار.** هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب. هؤلاء اشتروا من بين الناس باكورة لله وللخروف. وفى افواههم لم يوجد غِشٌّ لأنهم بلا عيب قدام عرش الله» (رؤ ١٤: ١-٥)... والكلام هنا فى غاية الوضوح ويظهر عظم امتياز البتولية والبتوليين إذ يظهرهم انهم ملازمون للمسيح (الخروف) يتبعونه حيثما ذهب،

وينفردون بترنيمة لم يستطع أحد -لا أن يرددها، بل وحتى أن يتعلمها ... أما السبب «لأنهم لم يتنجسوا مع النساء لأنهم أبكار (كما فى كل الترجمات وليس أطهار كما فى الترجمة البيروتية العربية)» ... ولا يفهم من قوله «لم يتنجسوا مع النساء» ان الأمر يتعلق بخطية الزنا، لكن العبارة كناية عن شدة العفة.

هكذا سرت موجة من الحماس الشديد للبتولية، وتغلغلت فى نفوس الناس، وضربت جذورها بعمق فى تاريخ الكنيسة ... **وقد مدح آباء الكنيسة وكبار معلميها العفة والبتولية** وابانوا جمالها وقدسيتها وسموها. **ونظروا للزواج على انه سرّ مقدس من أسرار الكنيسة، لكنه يأتى فى السمو بعد التبتل لمن يستطيعون.** ومن أمثلتهم **بوليكاربوس** تلميذ يوحنا الرسول **واغناطيوس وهرماس واثيناغوراس وايرنياوس واكليمنضس الاسكندرى وترتليانوس ومثودويوس** أسقف صور الذى استشهد حوالى سنة ٣٤١ وكتب كتاباً رمزياً فى هذا الصدد اسماه وليمة العشر عذارى. والقديس **اغريغوريوس اسقف نيصص** الذى افرد لها كتاباً خاصاً.

ولعل من أكبر دعاتها والمتحمسين لها **العلامة أوريجينوس** الذى وضعها فى مكانة عالية ووصفها بأنها **[التقدمة المقدسة التى تسرّ الله]** ... ومن أقواله: [لقد سمح الله لنا بالزواج لأننا لسنا جميعاً أكفاء للحالة الأسمى ألاً وهى حياة البتولية الكاملة] (ضد كلسوس ٨: ٥٥) ...

ومن أمثلتهم **القديس والشهيد كبريانوس** أسقف قرطاجنة **والقديس جيروم، والقديس امبروسيوس** اسقف ميلان الذى كتب ثلاثة كتب عن البتولية إلى اخته مرسللينا وفيها يقول: **[ليست البتولية مستحقة المديح من حيث أنها توجد فى الشهداء، بل لأنها هى نفسها تصنع الشهداء. ومن يستطيع أن يدرك بفهمه البشرى ذاك الذى لا تحويه الطبيعة فى قوانينها؟ أو من يقدر أن يشرح فى أسلوب مألوف ذاك الذى هو فوق مستوى الطبيعة؟ لقد استحضرت البتولية من السماء ما يمكننا من أن نحاكيه على الأرض]** ... وبعد أن وصف البتوليين بملائكة الله قال: [وما قلته ليس كلامى طالما أن الذين لا يتزوجون ولا يزوجون هم كملائكة السماء. فلا تعجب إذن، إذا ما قورنوا بالملائكة الملتصقين برب الملائكة. من يقدر إذن أن ينكر أن هذا النهج من الحياة له نبعه فى السماء. ولم نجده بسهولة على الأرض إلاّ بعد أن نزل الله آخذاً جسداً بشرياً !!].

المصريون المسيحيون والنسك :

رأينا فيما سبق الدعوة لحياة النسك فى تعاليم السيد المسيح وكتابات العهد الجديد ... **لكن على المستوى العملى نجد ممارسات النسك تظهر فى المصريين المسيحيين قبل غيرهم من مسيحيى العالم، وبصورة واضحة وقوية. ولذا فقد ظهر النساك والرهبان فى مصر قبل غيرها من بقاع العالم، وبذا تكون مصر هى مهد الرهبنة والأنبا أنطونيوس الكبير المصرى هو أب رهبان العالم كله ...**

الاتجاه النسكى نراه واضحاً فى كتابات مسيحيى مصر الأوائل ... فاكليمنضس الاسكندرى مدير المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية يحفظ لنا قولاً منسوباً للمسيح لم يرد فى الأناجيل: [يقول الرب أيضاً، من هو متزوج لا يبعد زوجة، **ومن هو غير متزوج فلا يتزوج**] (المتنوعات ٣ : ١٥)... وهناك تقليد مسيحى يرجع إلى القرن الثانى أورده القديس اكليمنضس الاسكندرى أيضاً يقول ان متى الإنجيلى عاش نباتياً لا يأكل لحماً (المعلم والتلميذ ٢ : ١)... وفى برديات البهنسا Oxyrhynchus المكتشفة سنة ١٨٩٧، سنة ١٩٠٤، والتى ترجع إلى أوائل القرن الثالث نجد الاتجاهات النسكية فيها واضحة.

فإذا اتينا إلى اوريجينوس نجد حياته نسكية وتعليمه نسكياً خالصاً ... فقط نظر إلى البتولية على أنها المثل الأعلى (ضد كلسوس ٧ : ٤٨)... **وحبّذ بتولية الكهنة** (تفسيره للاويين مقالة ٦ : ٦)... **وعن الفقر الاختيارى كتب يقول: [إذا اتبعنا شريعة المسيح، فإنها لا تسمح لنا بامتلاك أراضى أو بيوت فى المدن. ولماذا أقول بيوتاً، ونحن غير مصرح لنا باقتناء ثياب كثيرة أو مال وفير لأنه مكتوب إن كان لنا قوت وكسوة فلنكتفِ بهما]** (تفسيره اللاويين مقالة ١٥ : ٢)**. ويضيف** [ان تركت كل ما املك، وحملت صليبى واتبعت المسيح، فإنى بذلك أقدم محرقة كاملة لمذبح الله] (تفسيره اللاويين مقالة ٩ : ٩)**. ويوسابيوس القيصرى يبدى أعجابه الشديد بشخصية أوريجينوس لأن** [سلوكه كان يتفق مع تعاليمه، وان **تعاليمه تتفق مع حياته**]. واسهب فى الكلام عن نسكه بالتفصيل (يوسابيوس: التاريخ الكنسى ٦ : ٣)... وقد كتب القديس غريغوريوس العجائبى كثيراً عن تأثير أوريجينوس النسكى... **وممن تأثر به تلميذه ياروكلاس الذى ساعده فى مدرسة**

الإسكندرية اللاهوتية، وما لبث ان صار البطريرك الثالث عشر للكنيسة القبطية. وعنه قال يوسابيوس: [بعد أن قدم (ياروكلاس) براهين كثيرة عن الحياة النسكية الفلسفية، اعتبر جديراً بأن يخلف ديمتريوس فى أسقفية الاسكندرية] (التاريخ الكنسى ٦: ٣). هذه العبارة الأخيرة التى أوردها يوسابيوس عن ياروكلاس لهى فى غاية الأهمية، إذ تبيّن بما لا يدع مجالاً للمناقشة المنهج النسكى لكنيسة الاسكندرية... ومما لا شك فيه ان تأثير اوريجينوس كان كبيراً حتى بين الرهبان، الذين كان يحتفظون ببعض كتابات فى قلاليهم كما يحدثنا عن ذلك بلاديوس فى كتابه بستان الرهبان.

هكذا نرى أن المسيحية فى مصر منذ القرن الثانى ظهرت فيها الاتجاهات النسكية... وحينما كان مسيحيو مصر يقرأون كتابات العهد الجديد كانوا يفهمون **فهماً نسكياً...** كانت هذه حالة **القديس أنطونيوس والأب سيرنيوس Serenus والأب ثيوناس** الذى قال: **[إن كلمات الإنجيل ترن كل يوم فى آذاننا].** والدعوة إلى الصرامة يمكن فهمها من قول بولس الرسول عن المسيحيين: **«إنهم صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات»... «اميتوا أعضاءكم التى على الأرض».**

وبعد أن تكلمنا عن النسك المسيحى واساسه الإنجيلى، نتقدم الآن للحديث عن بعض النسّاك والناسكات كعينة لأشخاص من الجنسين اتبعوا هذا المنهج، وساروا فى طريق الكمال المسيحى...

أمثلة من النسّاك والناسكات

مار افرام السريانى :

هو الناسك العابد ، ذو العاطفة الشاعرية ، رجل الإيمان والصلاة والدموع ، أحد كبار قديسى الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة ... خلعت عليه الكنيسة لقب « قيثارة الروح القدس » ... انحدر من أسرة مسيحية ، ورباه والداه تربية دينية ... قال عن نفسه : [وُلدت فى طريق الحق ، ولو أنى فى صبوتى لم أدرك عظم الفائدة ، لكنى عرفتها بالتجربة] .

كان سريانياً أصيلاً من مدينة نصيبين من بلاد ما بين النهرين ، ولد أوائل القرن الرابع المسيحى. ومنذ حداثته التصق بالقديس مار يعقوب أسقف المدينة الذى قيل عنه انه كان كاملاً فى مخافة الله ، وتتلمذ على يديه ... واسند إليه مهمة التعليم فى المدينة نظراً لعلمه الدينى وغيرته على العقيدة الأرثوذكسية وورعه النسكى ...

وفى نصيبين تعرّض لتجربة صعبة ... فقد أخطأت فتاة مع شاب وحملت . فلما كشف أمرها أوعز لها الشيطان أن تتهم مار افرام ... **وُوجه بهذه التهمة لكنه صمت وأبى أن يدافع عن نفسه، وكل ما قاله للأسقف : [أخطأت يا أبى] ... ولما وضعت الفتاة ثمرة خطيتها حمل أبوها الطفل إلى الأسقف ودفعه إلى مار افرام أمامه وقال له: [الآن خذ ابنك وربّه] ... أخذ الوليد ودخل به إلى الكنيسة ... ولما رأى مار افرام ان كثيرين عثروا من هذا الأمر، تقدم إلى الأسقف عقب قداس الأحد والطفل معه تحت ثيابه وطلب إليه أن يصرح له بالصعود إلى الأنبل فصرح له ، ورفع الطفل بيمينه إلى ناحية المذبح وصرخ بصوت عالٍ وقال : [أيها الطفل أناشدك أمام مذبح الله الحى. قل الحق ، من هو أبوك. ففتح الطفل فاه وأعلن عن اسم ابيه الحقيقى** ... انزعج الجميع وبدأوا يبكون و يطلبون إليه أن يغفر لهم . ومات الطفل فى تلك الساعة !!

خروجه من نصيبين :

خرج مار افرام من مدينة نصيبين بعد أن احتلها الفرس وقصد مدينة الرها Edessa ... وفى طريقه إليها طلب إلى الله أن يرشده و يدبرّ حياته المقبلة . وحال

اقترابه من المدينة صلى إلى الله أن يرسل إليه من ينفعه بكلمة **وجاءت كلمة المنفعة على لسان امرأة خاطئة** ... وحالما رآها صدم. ولما رآها تحدق فيه بشدة، قال لها: [يا امرأة أما تستحين أن تحدقي فيَّ بنظركِ هكذا؟]. أجابته: [كل شيء يجب أن يتفرس في أصله ولأن المرأة قد أخذت من الرجل فيحق لها أن تتفرس في أصلها. **أما الرجل فقد أخذ من التراب، فينبغي أن يتفرس في أصله الذي أخذ منه]. فشكر أفرام الله انه تعلّم شيئاً نافعاً حتى من هذه المرأة المنبوذة.**

حياته في الرها :

التحق افرام بعمل متواضع في الرها قيل انه اشتغل خفيراً لإحدى الحمامات، وقيل انه اشتغل عاملاً أجيراً عند أحد الناس لأنه لم يكن يعرف صناعة خاصة. **وفي تلك الفترة كان يمضي بقية وقته في تبشير الوثنيين وتعليمهم الكتب** المقدسة. وكانوا يؤلفون نسبة كبيرة من سكان الرها ... **وتعرض لتجربة أخرى في الرها.** كانت تسكن في مسكن مقابل امرأة حرك الشيطان قلبها بفكر شرير من نحوه. ففي ذات مرة حيّته وسألته إن كان محتاجاً لشيء. أجابها: [اني احتاج إلى طوبتين وبعض الطين لأسد بها الطاقة التي بيني وبينك] !! غضبت المرأة ووعدته بالتشهير به ان لم يطاوعها على ما أرادته وهو فعل الشر معها. فتظاهر بالموافقة على شرط أن يكون ذلك في سوق المدينة. فاندهشت المرأة وقالت له: [كيف نفعل هذا الأمر والناس حولنا؟] أجابها: **[إن كنت تستحين من الناس، أفما تستحين من الله الذي عيناه تخترقان أستار الظلام؟] ... كان نتيجة هذا الكلام أن تابت المرأة على يديه، وقيل أنها اعتزلت العالم لأحد الأديرة ... لم يستمر طويلاً في عمله، لأنه التصق بأحد المتوحدين الذين سكنوا احدى مغاير جبل الرها ... هناك عاش افرام متوحداً في ذلك الجبل الذي كان يسكنه نسّاك كثيرون. وعكف في وحدته على مداومة الصوم والصلاة ودرس الكتب المقدسة.**

الخدمة ودعوته إليها :

في ذلك الوقت من القرن الرابع كانت المسيحية تجاهد ضد الوثنية التي كانت ماتزال باقية، وتجاهد ضد الهرطقات خاصة الاريوسية ... في ذلك الوقت كانت دعوة الله إلى مار افرام أن يترك خلوته إلى حين. كان البدء رؤيا اعلنت

لأبيه الروحى، وكان فى ذلك الوقت منشغلاً باتمام تفسير سفر التكوين وبدأ تفسير الخروج ... **حرك الله قلوب بعض المؤمنين بالمدينة أن يقصدوا صومعته ليحضروه. فلما أحسّ بهم هرب واختفى فى أحد الأودية. فظهر له ملاك الرب وقال له: [يا افرام إلى أين تهرب؟] أجاب [يا سيدى أحب الجلوس فى الهدوء، والهرب من سجن العالم]. فقال له الملاك: [انظر لا يتم عليك القول إن افرام هرب منى، مثل العجلة التى امتنعت بكتفها من النير]. بكى افرام وقال: [أنا ضعيف يا سيدى ولا استحق هذا]. لكن الملاك اسكته عن الاسترسال فى اعتذاراته بكلمات المخلص: «ليس أحد يوقد سراجاً ويضعه تحت المكيال، لكن على منارة لكى يبصر الجميع نوره ...].** وتكلم مع الملاك كلاماً كثيرة ثم اختفى عنه. صلى القديس إلى الله كثيراً طالباً منه العون والقوة لكى يناضل من أجل الإيمان ...

نزل افرام إلى المدينة ونظره بعض المسيحيين الذين صعدوا إليه ليحضروه من مغارته فلم يجدوه، وأخذوا يستهزئون به واتهموه انه مرائى هرب منهم، ولما تركوه اتى من تلقاء ذاته. أما هو فكان باتضاع يقول لهم: [اغفروا لى يا اخوتى أنا المسكين] ... **ورغم كل ذلك كان يعبر فى سوق المدينة ويعلم ويعظ ... واراد الله أن يكشف فضلة فرآه راهب قديس يوماً فقال بالروح مشيراً إليه: [هذا هو الرفش الذى فى يد الرب، وبه سينقى بيدره، وكل زوان الهراطقة هذا هو النار التى قال عنها سيدنا جئت لألقى ناراً على الأرض]** ... وحرك هذا الكلام الهراطقة والوثنيين واليهود فألقوا أيديهم عليه وأوسعوه ضرباً واهانةً ... أما هو فقد بكّر صبيحة اليوم التالى وهرب إلى مغارته.

هناك فى مغارته بالجبل عكف على الكتابة لدحض هرطقات ومعتقدات عصره الخاطئة التى مُنع بالقوة عن معارضتها بالكلام ... **وفى تلك الفترة تجمع حوله تلاميذ عديدون. وهكذا وجدت مدرسة فى الجبل كان هو معلمها !!**

لقاؤه بالقديس باسيليوس:

فى عزلته النائية ترامت إلى سمعه شهرة القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة كبادوكية بآسيا الصغرى. فاشتاق ان يراه ويسمعه. طلب إرشاداً إلهياً فى هذا الأمر.

وجاءت الإجابة فى رؤيا رآها . رأى عموداً من نار يصل إلى السماء وصوت يقول : [كما ترى عمود النار هذا ، هكذا باسيليوس العظيم] . تأججت فيه الرغبة أكثر لرؤية باسيليوس ونوال بركته . فشد رحاله وأخذ معه مترجماً لأنه كان لا يعرف اليونانية التى يتكلمها باسيليوس ورتب أن يكون لقاؤه فى عيد الظهور الإلهى . وبالفعل وصل إلى مدينة قيصرية فى اليوم السابق للعيد .

دخل افرام إلى الكنيسة فى ذلك العيد العظيم . وكان باسيليوس يرتدى ملابس كهنوتية فخمة ويحيط به الكهنة بملابسهم الفاخرة . فما أن رأى ذلك افرام الناسك حتى سقط قلبه وشك فى باسيليوس وقال انه لا يمكن أن يكون هو عمود النار الذى اعلنته الرؤيا ... حان وقت العظمة ووقف باسيليوس يعظ وإذا بافرام يرى كلمات باسيليوس تخرج من فيه كألسنة نارية صغيرة تستقر فى قلوب سامعيه . أو بحسب رواية القديس اغريغوريوس أسقف نيصص ، رأى الروح القدس فى صورة حمامة تتكلم من فمه . وسرعان ما تغيّر فكره . ويقال إن باسيليوس شعر بالروح بوجود مار افرام فى الكنيسة إذ رآه يحيط به ملاكان ، فأرسل باسيليوس واستدعاه عقب العظة لكن افرام التمس أن يكون التقاؤه به على انفراد عقب انتهاء خدمة القداس ... فى ذلك الوقت تقدم افرام بالمرقعة التى كان يلبسها صامتاً مُطْرِقاً بنظره إلى أسفل ووقف أمام باسيليوس . نهض باسيليوس من مقعده واستقبله بقبلة اخوية واحنى رأسه أمام الراهب المتواضع وحيّاه ... فى هذا القداس تناول افرام والمترجم الذى معه من الأسرار المقدسة ... **ثم انفرد به باسيليوس وقال له : [لماذا شككت ؟] ثم كشف عن ملابسه وإذا به يلبس مسحاً من الداخل . ثم استطرد قائلاً : [أما هذه الملابس الخارجية الفاخرة فهى من أجل كرامة الخدمة] .**

استغرقت زيارة مار افرام للقديس باسيليوس اسبوعين حاول خلالهما ـ كنوع من التكريم ـ أن يرسمه قساً لكنه اعتذر فى اتضاع ومسكنة محتجاً بكثرة خطاياه . لكنه قبل أن ينال رتبة دياكون أى شماس . لكن كما يقول المؤرخ سوزدمين : [ان افرام لم ينل رتبة كهنوتية أعلى من شماس ، لكن ما بلغه من سأو عظيم فى الفضيلة أعطاه شهرة مساوية لأولئك الذين وصلوا إلى أعلى المناصب الكهنوتية فى الكنيسة ، بينما جعلته حياته المقدسة ونبوغه فى العلم موضع أعجاب عام] .

عودته إلى الرها من أجل العقيدة :

ما أن عاد إلى مدينة الرها حتى اشتبك فى الجدل مع أصحاب الهرطقات التى كانت تموج بها المدينة ... وكان بعض هؤلاء الهراطقة قد نظموا أشعاراً ضمنوها عقائدهم الفاسدة. **فوضع مار افرام أناشيد عديدة ضمنّها العقائد المسيحية الأرثوذكسية بلغ عددها مائة وخمسون نشيداً، وأعد خورساً من المرنمين كانوا يرنمونها صباحاً ومساءً كل يوم فى الكنيسة. واستطاعت هذه الأناشيد الدينية -بقوة الحق الذى تعبّر عنه، وقوة أسلوبها الأدبى أن توقف تيارات الهراطقة.**

بعد أن هدأت ريح الهرطقة عاد مار افرام إلى خلوته فى الجبل، ولم يتركها إلاّ فى مناسبة واحدة. فقد اجتاحت مدينة الرها مجاعة شديدة فى شتاء سنة ٣٧٢/ ٣٧٣، ووجد مار افرام نفسه مدفوعاً بمحبة اخوته الذين هم اخوة الرب إلى أن يترك خلوته ليخفف عنهم وطأة المجاعة. أخذ يحث الأغنياء أن يصنعوا رحمة، ويوبخهم على قساوة قلوبهم. ولما احتجوا بعدم وجود إنسان كفء وأمين للقيام بمهمة رعاية المحتاجين أثناء المجاعة، قدّم هو نفسه للقيام بهذه المهمة. وافق الأغنياء على ذلك وجعلوه الوكيل المتصرف فى الأمر. **أخذ افرام يخدم المرضى -مرضى المجاعة فى الرها والكور المحيطة بها بنفسه يساعده جماعة من أعوانه. وبعد انقضاء زمن المجاعة عاد إلى خلوته فى الجبل ولم يتركها لأنه تنيحّ بعدها بشهر واحد.**

نيـــاحـته :

هناك فى جبل الرها، وفى الكهف الذى احبه، تنيّح رجل الله وانضم إلى آبائه. وكان ذلك على الأرجح يوم ٩ يونية سنة ٣٧٣ ... وقد ترك وصية أخيرة نظمها بالشعر وهى مؤثرة للغاية. يقول فيها: **[لا تضعونى تحت مذبح الله، لأنه لا يليق أن توضع الجيفة النتنة فى المكان المقدس. لا تضعوا جسدى مع الشهداء لأنى خاطىء ولا استحق. ولعدم استحقاقى اخشى ان اقترب من عظامهم ... عوض أن تضعوا معى العطور، اذكرونى فى الصلوات ... عهداً قطعت مع الرب أن ادفن مع الغرباء لأنى غريب كما كانوا هم. ضعونى يا اخوة معهم لأن كل طير يحب جنسه، والرجل يحب شبيهه. ضعونى فى المقبرة حيث منكسرو القلب، حتى حينما يأتى ابن الله يضمنى إليه ويقيمنى معه ...].**

وبعد أن بارك تلاميذه الخمسة ، ترك حروماً ضد تلميذين آخرين حادا عن الإيمان المستقيم ، كما ترك حروماً ضد الاريوسيين وهراطقة آخرين. ثم أسلم روحه الطاهرة فى يد الرب الذى احبه.

اخرجوا جسده من مغارته ، وسار فى جنازته كل شعب مدينة الرها والكور المحيطة ، والأساقفة والكهنة والشمامسة والرهبان والمتوحدون ، ووضع جسده الطاهر حسب وصيته فى مقبرة الغرباء. لكن أهل الرها نقلوه بعد ذلك بقليل وبنوا له مقبرة بين مدافن الأساقفة وبنى بعد ذلك فوق ضريحه دير وتعيد له كنيستنا فى الخامس عشر من شهر أبيب من كل عام.

كان مار افرام رغم نبوغه متواضعاً منكراً لذاته يهرب من المجد الباطل ومن الرئاسات. حاول القديس باسيليوس أن يرسمه أسقفاً على أحد اقاليم ايبارشيته لكنه هرب متظاهراً بالجنون ... وهو أيضاً رجل دموع. قال عنه القديس اغريغوريوس أسقف نيصص: [كما أن التنفس الذى لا يتوقف يعتبر ظاهرة طبيعية فى كل البشر كذلك كانت الدموع بالنسبة لافرام ... لم يحدث ان شوهدت عيناه فى لحظة من اللحظات غير ممتلئتين بالدموع]. كان وديعاً عاش عيشة التجرد والزهد فى القنية إلى حد بعيد ... لم يترك له الزهد فى القنية مادة يعطيها ، لكنه كان يتمم فضيلة الرحمة بواسطة مواعظه التى طالما فتحت خزائن الأغنياء ... هذا فضلاً عن صلواته واسهاره واصوامه ... وبالجملة فقد كان كاملاً فى الفضيلة. ويقول عنه القديس أغريغوريوس أسقف نيصص انه شابه الملائكة الذين لا جسد مادى لهم ، ولا اضطراب فى حياتهم.

مكسيموس ودوماديوس :

كانا ابنى فالنتنيانوس قيصر الغرب الرومانى ، وكان رجلاً يخاف الله وناصراً للمسيحية. لذا فقد ربىّ ولديه واختهما الصغيرة فى مخافة الله ... ولما كبر مكسيموس ودوماديوس اشتاقا لحياة الرهبنة ... وتشاورا مع بعضهما ، وخرجا من قصر ابيهما بحجة زيارة مدينة نيقية حيث اجتمع الآباء القديسون فى المجمع المسكونى الأول ... وكان فى نيقية كاهن راهب يدعى حنا ، كشفا له عن اشتياقهما لحياة الرهبنة فشجعهما. ولما طلبا أن يبقيا معه اعتذر خوفاً من أبيهما وأوصاهما بالسفر إلى

سوريا ليتتلمذا على يدى القديس المتوحد آغابيوس وكان ذا شهرة كبيرة ...

توجها إلى الأب اغابيوس فقبلهما والبسهما اسكيم الرهبنة ... ولما قرب زمان نياحته سألاه ماذا يفعلان بعده. أما هو فكان قد رأى حلماً فى نفس هذه الليلة قصه عليهما ... وجد نفسه واقفاً على صخرة قرب موضعهما ، ورأى راهباً أمامه وعلى رأسه قلنسوة وفى يده عصا من جريد وصليب. خاف منه ، ولكنه اقترب منه وسلّم عليه. وقال له: [هل تعرفنى]. أجابه: [لا يا أبى القديس]. فقال له: [أنا مقاريوس المصرى أتيت لأدعو ولديك لآخذهما إلى مصر]. فقال له اغابيوس: [ألاّ تأخذنى معهما أيضاً يا أبى]. قال له: [لا. ولكنى اعلمك أنه بعد ثلاثة أيام سوف تتنيح وتذهب إلى الرب. وسيرسل الملك رسلاً وراء ولديه ليأخذهما إلى القسطنطينية. فاحذر ذلك ومرهما أن ينزلا إلى مصر ليسكنا بالقرب منى. لأن السيد قد عينهما لى أولاداً. وها أنا قد قلت لك]. قال هذا واختفى عنه... وهكذا أوصاهما الأب اغابيوس أن يتتلمذا للأب مقاريوس. وتنيح بسلام بعد أن أقام مكسيموس ودوماديوس معه ستة أعوام.

وما لبث أن كشف أمرهما فى القسطنطينية بواسطة تاجر من انطاكية كان يكتب اسميهما على شراع سفنه تبركاً بهما ... وفى احدى المرات كان نائب الملك فى الميناء مع الجند يفتش السفن الداخلة فلاحظ اسمى القديسين على احدى السفن... استفسر من بحارة السفينة وتأكد لديه صحة الخبر... سافرت امهما واختهما لزيارتهما ، ورفض مكسيموس ودوماديوس ترك وحدتهما.

ولما تنيح بطريرك القسطنطينية اتجهت أنظار الناس إلى مكسيموس ليخلفه ورحب الملك ثيودوسيوس بذلك، وأرسل نائبه ومعه بعض الجنود لاستدعائه ، كما كتب إلى والى سوريا بذلك... تسرب الخبر إلى الأخين عن طريق زوجة الوالى التى كانت تقدسهما ، ولما علما بذلك هربا واختفيا عند راعى غنم أياماً كثيرة ... ثم غيّرا ثيابهما ولبسا ثياباً مدنية وتنكرا حتى لا ينكشف أمرهما وصليا طالبين مشورة الله للوصول للأنبا مقاريوس.

سارا على اقدامها أياماً كثيرة ولما اعياهما التعب وهما يسيران على شاطىء البحر، افتقدهما الرب برحمته ووجدا نفسيهما فى شيهيت.

لقاؤهما مع أنبا مقاريوس :

دبر الله لقاءهما بالأب مقاريوس وكان مكسيموس وهو الأكبر له لحية بها شعرات قليلة ، أما دوماديوس فبدأت لحيته تنبت وسألاه : [أين قلاية الأب مقاريوس] . فقال لهما : [وماذا تريدان منه] . قالا : [لقد سمعنا عن حياته وأعماله وأتينا لنراه] . ولما كشف عن شخصيته صنعا له مطانية وقالا له : [نريد أن نسكن ههنا] ... وإذ وجد أنهما تبدو عليهما الرقة والنعومة قال لهما : [لن تطيقا أن تسكنا ههنا] . فقال مكسيموس : [إذا لم نستطع إلى ذلك سبيلاً نمضى إلى موضع آخر] ... فقال القديس مقاريوس فى نفسه : [،لماذا اصير عثرة لهما ، وخشونة الحياة ستدفعهما إلى الفرار] . قال لهما : [هلما فاصنع لكما قلاية إن استطعتما] . قالا له : [يكفى أن ترينا كيف نشرع فى العمل ونحن نكمّل] . فأعطاهما فأساً واداة لحفر الأرض وقفة من الخبز وملحاً ، واراهما صخرة ينحتانها . وقال لهما : [إنحتا الصخر واحضرا خشباً من الغابة واقيما سقفاً واسكنا] ... وكان يتوقع انهما لن يكملا العمل . ثم سألاه عن العمل اليدوى ، فأراهما كيف يصنعا الضفيرة لصنع المقاطف وارشدهما إلى الحارس الذى سيأخذ عمل أيديهما ويحضر لهما خبزاً بدله .

تركهما القديس مقاريوس وعاشا كما قال لهما القديس مقاريوس . وبقيا فى هذا الموضع ثلاث سنوات ولم يقصدا أبداً القديس مقاريوس للسؤال عن شيء ... تعجب أبو مقار . وكانا لا يذهبان إلى أى موضع إلاّ إلى الكنيسة كل يوم أحد لتناول القربان وهما صامتان .

صلى القديس مقاريوس إلى الله وصام أسبوعاً كاملاً حتى يكشف له أمرهما . ثم ذهب إليهما ليفتقدهما . ولما قرع الباب فتحا له وسلّما عليه وظلا صامتين . فصلى معهما وجلس . واومأ مكسيموس لأخيه الأصغر أن يخرج فخرج . وجلس هو يضفر الحبال دون أن يتكلم . وفى وقت الساعة التاسعة حضر دوماديوس واومأ إليه أخوه الأكبر فطهى قليلاً من الطعام وأعد المائدة ووضع عليها ثلاث خبزات ... ولما حان المساء سألاه هل سينصرف فقال : [لا بل اقضى الليل هنا] . ففرشا له على جانب حصيراً من الياف النخيل . صلى القديس مقاريوس إلى الله أن يكشف أمرهما ، فانفتح السقف وصار المكان منيراً ولكنهما لم يريا النور . وإذ ظنا أنه نام

نَخَسَ الأكبر أخاه الأصغر ونهضا ومنطقا حقويهما ورفعا أيديهما إلى السماء. ويقول القديس مقاريوس: [رفعا أيديهما إلى السماء وكنت أراهما وهما لا يعرفان أنه بالإمكان رؤيتهما. وابصرت الشياطين تحوم حول الشاب الأصغر كالذباب. وكان بعضه يريد أن يستقر على عينيه، والبعض على فمه. ولكن ملاك الرب كان يدور حوله ويطرد الشياطين عنه بسيف من نار. أما الشاب الأكبر فلم تجرؤ الشياطين على الاقتراب منه. وقبيل الصباح انطرح الشابان على الأرض فتظاهرت بأنى استيقظت توأ من النوم، وهما بدورهما تظاهرا كذلك. وقال لى الأكبر: أتشاء أن تتلوا اثنى عشر مزموراً فقط؟. قلت: نعم] ... ورأى القديس مقاريوس دوماديوس وهو يصلى يخرج من فمه مصباح من نار يصعد إلى السماء. أما الأكبر فكان حبل من نار يخرج من فمه صاعداً إلى السماء. وقد ألبسهما القديس أبو مقار فى هذه الزيارة الاسكيم وتركهما بعد أن سألهما أن يصليا لأجله..

وقد أعطى الرب هذين القديسين مكسيموس ودوماديوس موهبة صنع المعجزات. وبالفعل صنعا معجزات كثيرة.

نيـــاحـــتهما :

فى يوم عيد الغطاس بدأ مكسيموس يمرض بحمى عنيفة. فلما طال عليه المرض طلب إلى أخيه الأصغر أن يستدعى الأب مقاريوس. وذهب الأب مقاريوس، وفى نهاية اليوم بعد الغروب قال مكسيموس: [بعد قليل أنا ذاهب إلى موضع راحتى]. وفى المساء فاضت روحه الطاهرة وانطلقت إلى السماء، وكان يقول: [ارسل نورك وحقك يا إلهى ليهديانى إلى الطريق. قوّم طريقى وانقذنى من سلطان الظلمة فى الهواء. أعدد خطواتى فى طريقك حتى أذهب إليك دون عائق. لتكن رجاء قوتى يا يسوع إلهى لأنك أنت نورى وخلاصى فممن أخاف...] ورأى القديس مقاريوس صفوف القديسين وقد جاءوا ليأخذوه. وهكذا انطلق بفرح وتنيّح بسلام.

ولما دفنوا جسد مكسيموس تأثر أخوه وشريك حياته جداً وطلب إلى الله أن يأخذ روحه. مرض دوماديوس بحمى شديدة هو الآخر. وفى الليلة الثالثة اشتد

عليه المرض فاستدعوا له الأب مقاريوس وبينما هو فى الطريق وقف فترة طويلة ينظر نحو المغارة ثم التفت ناحية الشرق. وظن من معه انه كان يصلى ولكنه كان يتأمل خورس القديسين الذين كانوا يتقدمون روح دومادويوس. نظر الأب مقاريوس نحو السماء وهو يبكى ويقرع صدره قائلاً: [الويل لى لأنى لم أعد راهباً بالكلية]. وقال لهم لقد تنيح القديس دومادويوس ...

كانت نياحة مكسيموس يوم ١٤ طوبة ولحقه أخوه دومادويوس فى ١٧ طوبة ... وقال الأب مقاريوس ان الطغمات الذين جاءوا ليأخذوا نفس دومادويوس هم الذين جاءوا لأخذ روح أخيه. وبنى القديس مقاريوس كنيسة فى موضع سكنهما وهى أول كنيسة بنيت فى البرية. كما كان مكسيموس ودومادويوس أول من تنيح من الرهبان فى الأسقيط. **وكانت نياحتهما بعد سنة ٣٨٠م.**

الراهب القديس بيسوس Bessus :

يعتبر هذا الراهب بيسوس من الشخصيات العجيبة حقاً ... ويبدو انه وصل إلى درجة السياحة أى كان من السواح القديسين، وكانت له موهبة النبوة ومعرفة المستقبل، كما كان مقتدراً فى صلواته وبركته ... لا نعرف عن حياته الأولى شيئاً، كل ما نعرفه انه كان راهباً بدير أنبا يحنس كاما الذى اندثر، وكان معاصراً للبابا البطريرك الأنبا خرستوذولوس ال٦٦ (١٠٤٦-١٠٧٧م)... **ونروى هنا طرفاً من معجزاته وعجائبه.**

● فى احدى المرات زاره احدى عشر شخصاً من الاسكندرية بقصد التبرك منه، فاستضافهم وقدّم لهم طعاماً واتاهم بجرة صغيرة من الماء وبارك عليها. وشرب الجميع منها حتى امتلأوا، ولم تنقص الجرة إلى مقدار نصفها. وكانت عادة الأراخنة الأقباط ان يخرجوا إلى البرية فى عيد الغطاس ويزوروا أمثال الأب بيسوس للتبرك منهم. ففى الصباح سألهم ألا يدعوا أحداً من أراخنة مصر أن يأتى إليه، وإلاّ ترك الدير وذهب إلى مغارة ...

وكان موجوداً بدير أبو مقار أرخن يدعى الشيخ أبو البدر بن مينا الزراوى ... الحّ هذا الإنسان فى ضرورة الحضور إليه ليعترف بخطاياه ... فلما علم بذلك قال انه سيذهب بنفسه إلى دير أبو مقار حتى لا يحضر الجمع الكبير من الأراخنة

إليه ... وبالفعل ذهب إلى دير أبو مقار وتقابل مع هذا الأرخن. ولما عزم على الانصراف الحوّا عليه بالمبيت حتى ينالوا بركة أكثر... وازاء الحاحهم قبل المبيت. ثم طلب منهم الانفردا للصلاة، **فحبسوه فى خزانة واغلقوا عليه**، وباتوا أمام بابها **ليتباركوا منه، ويسمعوا صلاته ويصلون معه!!... وما أكثر دهشتهم فى صباح اليوم التالى حينما فتحوا الخزانة التى حبسوه فيها فلم يجدوه!!** وبالاستعلام من دير أنبا يحنس كاما ـ وهو دير بيسوس ـ عُلم انه غادره إلى دير أبو مقار بعد غروب الشمس وعاد قبل صلاة نصف الليل!! **كل هذه المفارقات فى وقت خروجه من ديره إلى دير أبو مقار ـ والعودة إليه فى مدة أقل بكثير جداً من الوقت الذى تستغرقه هذه الرحلة، بالاضافة إلى حبسه فى الخزانة وخروجه منها وبابها مغلق... كل ذلك جعل كاتب سيرته يسأله عن** متى ذهب ومتى عاد. **فكان جوابه عليه [ما لك إلى هذا حاجة]!!**

● وحدث فى سنة ١٠٨٢ م أن عرقاً تصبب من أعمدة دير أنبا موسى، وكذا من عدة صور فى كنيسة الشهيد تادرس بمصر، حتى أن عرقها كان ينحدر منها بغزارة كالماء... **وحدث فى تلك السنة أن مرض الجدرى أنتشر بصورة وبائية، ومات بسببه ـ فى أقل من شهر ـ واحد وعشرون ألف صبى!!...** فكتب كاتب سيرة القديس بيسوس إليه أن يصلى من أجل أن يرفع الله هذا الوباء، كما طلب إليه أن يوصى رهبان برية شيهيت بأن يصلوا من أجل هذا الموضوع أيضاً... وحمل الرسالة إليه راهب من دير نهيا كان القديس بيسوس يحبه... وفى صباح يوم عيد الميلاد طلب راهب دير نهيا من القديس بيسوس أن يعطيه رداً على الرسالة حتى يعود إلى ديره... **فقال له بيسوس: [الجواب انهم قد تخلّصوا وانعم عليهم السيد المسيح]...** وكتب رسالة جاء فيها: **[إن السيد المسيح قد خلّصهم فى هذا اليوم]... وحدث أن الوباء رفع فى اليوم الذى حدّده!!**

● **ومن أمثلة بركة القديس بيسوس**، تلك القصة التى رواها الشماس أبو حبيب ميخائيل بن بدير الدمنهورى وهو أحد الذين جمعوا سير البطاركة... قال انه كان مختفياً عند القديس بيسوس بالدير، ومعه جماعة من الأخوة مختفين كذلك. ورآه يضع زيتاً فى المسرجه وبارك عليه واوقدها لهم. **وأقام الشماس أبو حبيب عنده** خمس عشرة ليلة **ينسخ الكتب كل ليلة إلى منتصف الليل، ولم ينقص الزيت**

الذى فى المسرجة !!

• وفى ذات مرة حضر إليه راهبان متخاصمان من أحد الأديرة . فاجتهد أن يصلح بينهما . فقبل واحد منهما الصلح ورفض الثانى ومضى ولم يُطعه ... وبعد ثلاثة أيام عاد إليه هذا الراهب غير المطيع وقد ضرب جسمه بالبرص ... وتوسل إليه أن يُلبسه شيئاً من ثيابه ، فألبسه ثوباً ومضى . وعاد فى اليوم التالى ليعيد الثوب بعد أن شفى !!

• ومن معجزاته أن راهباً شاباً ببرية شيهيت ، اصيب بمرض الفالج وفقد النطق ، فحملوه إلى القديس بيسوس فوضعه فى كنيسة العذراء التى بالحصن لمدة ثلاثة أيام ... وذكر الراهب بعد ذلك انه أبصر ثلاثة أشخاص خارجين من الهيكل . فقال اثنان منهما للثالث وهو يتقدمهم : [اقض حاجة بيسوس فى هذا الشاب] . فدفعه برجله وقال له قم ، فقام صحيحاً تماماً ... وفى هذه اللحظة ناداه بيسوس من أسفل ـ دون أن يراه ـ وقال له : [يا فلان انزل] ... فنزل الشاب وقد برىء ، وسجد على قدميه وتحدث بما رآه وسمعه !!

• ومن معجزاته أيضاً أن واحداً من النصارى فى محلة أبو على اصيب بمرض الفالج والخرس ، فحملوه على دابة إلى القديس بيسوس بديره ، وصلى عليه ثلاثة أيام بلياليها . فخرج من عنده معافى تماماً . وعاد إلى بلدته وهو يمجد الله !!

• روى تلميذه الراهب الشماس يؤنس أن أباه القديس بيسوس صعد إلى الحصن ليصلى . فدخل الدير ثمانية عشر رجلاً سودانياً ، فاستولوا على الدير . وأمسكوا بواحد من الرهبان واخذوا يعذبونه . فنزل بيسوس من الحصن وامسك رقبة مقدمهم بيده واخرجه من باب الدير . وفعل ذلك مع الباقين حتى أخرجهم جميعاً من الدير ، واغلق الرهبان باب الدير . وحلف أولئك السودانيون أن ابصارهم عميت ، وان يد بيسوس كانت على رقابهم مثل حجر ثقيل !!

• وفى مدة المجاعة التى عمت البلاد المصرية فى حكم الخليفة الفاطمى المستنصر وحبرية البابا خرستودولوس ، كان البدو يترددون على دير أنبا يحنس كلما ـ الذى يسكنه بيسوس ـ ليأخذوا طعاماً من الخبز والقمح . وكان القديس بيسوس لا يرد سائلاً ... وظل الأمر على هذا المنوال حتى أنه لم يَتبَقَّ لرهبان الدير إلاَّ قوت

يوم واحد فقط يأكلونه ثم يخرجون من الدير ويهيمون على وجوههم ... فأتاهم قوم يطلبون طعاماً. فقال بيسوس للرهبان ان يعطوهم ما عندهم. فتذمر الرهبان واغتاظوا. لكن القديس بيسوس قال لهم فى هدوء: [فى آخر النهار يصلكم من عند المسيح ما يكفيكم لأيام عديدة، فلا تضيق صدوركم] ... فدفعوا كل ما عندهم من قمح لهؤلاء القوم. ثم عادوا وقالوا إن ما عندهم طاحونة. ولم يكن بالدير سوى طاحونة واحدة، فأعطاها لهم... فتذمر الرهبان عليه وقالوا له: [قلت إن القمح يجينا عشية وأخذت الطاحونة التى ليس عندنا غيرها ودفعتها لهؤلاء القوم. فهل إذا جاء القمح نقرقشه أو نسلقه] فقال لهم بيسوس: [لا تقنطوا فإن الرب يأتينا بما نحتاجه. فإنه جل اسمه لا يعوزه علم شيء. فطيبّوا نفوسكم] ... وفى وقت الغروب وصل جملان محملان قمحاً، وعلى ظهر أحدهما طاحونة جديدة أكبر من التى أعطوها. فسبّح الرهبان الله ومجدوه!!

● وذُكر عنه أيضاً انه صعد ذات مرة إلى الحصن ليصلى صلاة الساعة الثالثة. واصعدوا معه قفة مملوءة خبزاً. فجاء إلى الدير قوم يطلبون طعاماً. فقال بيسوس لتلميذه أعطهم ما فى القفة. فأعطاهم كل ما فيها ... فلما فرغ من الصلاة جاء قوم آخرين يطلبون طعاماً. فقال بيسوس لتلميذه أن يعطى هؤلاء القوم الذين يصيحون من الخبز... فقال تلميذه يؤنس -الذى روى هذه القصة- لمعلمه بيسوس: [أما دفعت الخبز لأولئك الذين أتوا قبلاً؟]. فأجابه بيسوس: [أما رجعت وملأتها؟]. فقال التلميذ له: [منذ صعدت إلى ههنا وأنت قائم تصلى مكانك ما برحته، فمتى ملأتها؟]. فقال بيسوس له: [قد ملأتها. وهوذا هى مملوءة خبزاً فانزل بعضه للجائعين] ... واشهد يؤنس التلميذ الله على نفسه أن بيسوس [لم يمسكها بيده منذ فرغت وكانت فارغة. وكان هو قائم يصلى. وانا صليت معه الثالثة]!!

● وكان أحد الرهبان ويدعى يسطس قد فقد بصره، فصلى عليه مدة شهر كامل إلى أن رد إليه البصر ثانية!!

● وبعد نياحة البابا خرستودولوس اتجهت الانظار إليه ليجعلوه بطريركاً. فلما همّوا ليمسكوه صاح وأخذ حجارة يضرب بها صدره حتى كاد يؤذى نفسه. وارشدهم إلى مَنْ سيصبح بطريركاً!!

انستاسية المتوحدة :

نشأت هذه العذراء فى القسطنطينية فى عائلة شريفة . كان والدها ذا مركز ممتاز فى البلاط الامبراطورى وقضت أيام طفولتها فى القصر... وما أن شبت حتى بدأت تشتاق إلى حياة التقوى والعفة. فجمعت بين الفضيلة والجمال البارع ... اعجب بها الامبراطور البيزنطى جستنيان (٥٢٧ـ ٥٦٥)، وأراد أن يتزوج بها وكانت زوجته العظيمة ثيودورة على قيد الحياة ... لكن انستاسية كانت قد عقدت العزم على التبتل لتكون عروساً للمسيح . ولذا فقد كانت مواظبة على التعبد ليلاً ونهاراً .

كان جستنيان يضيّق عليها الخناق ، وبدأت تحسّ بذلك الجو الخانق ... وفى نفس هذا الوقت كانت تسمع عن مكسيموس ودومادیوس وعن ارسانيوس العظيم معلّم أركاديوس واونوريوس ولدى الملك ثيئودوسيوس كيف ترك هؤلاء وغيرهم أمجاد العالم ليعيشوا لله وحده... **بدأت انستاسية ـ وقد نذرت بتوليتها للرب ـ تفكر فى الهرب من القسطنطينية، ولكنها كانت بحاجة إلى مرشد روحى حكيم... ووجدت هذا فى شخص القديس الأنبا ساويرس الانطاكى الذى أخذت تراسله ويرد عليها. وكان لرسائله أبلغ الأثر فى معاونتها.**

تحينت الوقت المناسب وابحرت سراً من القسطنطينية وجاءت إلى الاسكندرية، ومضت إلى مكان قريب منها (الدخيلة) إلى دير الإناطون (التسعة أميال)، وكانت أديرة العذارى منتشرة غربى الاسكندرية. **استقرت زماناً فى هذا الدير. لكن عَدْوّ الأخير كان يلاحقها.** فقد توفيت الملكة ثيودورت سنة ٥٤٨ وأصبح أمراً مشروعاً أن يتزوج بها جستنيان. لذا ضاعف اهتمامه بها وأخذ يبحث عنها فى كل مكان. واصدر أوامره بذلك. **ولما علمت الفتاة بذلك وخشيت من العواقب قررت الذهاب إلى جبل شيهيت ...**

وفى احدى الليالى تركت الدير وتزّيت بزى الرجال وقطعت المسافات الشاسعة فى الصحراء دون خوف، بل كان قلبها مرفوعاً إلى الله ... وظلت هكذا حتى وصلت إلى دير أبو مقار وهناك قابلت الأنبا دانيال أب البرية. كشفت له عن قصتها وظروفها وطلبت أن تعيش تحت إرشاده. ولما وقف على رغبتها الشديدة وروحانيتها وجهادها ونسكها، لم يسكنها داخل الدير، لكنه قادها إلى مغارة

بعيدة فى البرية الداخلية وتبعد عن الدير ثمانية عشر ميلاً. وكان تلميذه يذهب إليها مرة كل أسبوع حاملاً لها ما تحتاجه دون أن يعرف شيئاً عن حقيقة أمرها، إنما كان يترك الأشياء خارج مغارتها. **وكانت تضع على باب مغارتها قطعة من الخزف تكتب عليها ما تحتاجه ليحملها التلميذ إلى الأنبا دانيال...** وكانت ترى الأنبا **دانيال مرة كل أسبوع فى يوم الأحد لتتناول من الأسرار المقدسة ...**

وفى احد الأيام - بعد ٢٨ سنة - أحضر التلميذ قطعة من الخزف وكان **مكتوباً عليها: [احضر الأدوات** وتعال هنا إلىّ]... وبعد أن قرأ أنبا دانيال ما **هو مكتوب على قطعة الخزف علم** أنها ستفارق العالم. بكى أنبا دانيال كثيراً وقال لتلميذه: [الويل للبرية الداخلية لأن عموداً عظيماً سيسقط فيها. هلم بنا لنلحق بالشيخ لننال بركته لأنه سائر إلى الرب]... ولما وصلا إليها وجداها مريضة بحمى شديدة... وتبارك منها وطلب إليها أن تبارك تلميذه فصلّت له قائلة: [يا إلهى الذى وقفت هذه الساعة لتطلقنى من هذا الجسد. الذى يعرف مقدار المسافات وكم تعب من أجل اسمك، أعطه روح آبائه، روح إيليا مع اليشع]... ثم اوصت أنبا **دانيال من أجل الرب أن يدفنها فى القبر كما هى بملابسها... وطلبت التناول المقدس. فلما تناولت أشرق وجهها ورسمت على ذاتها علامة الصليب وهى تقول: [فى يديك يارب اسلّم روحى]... فانتشر للوقت بخور ورائحة عطرة.** وبكيا وحفرا قدام المغارة قبراً. وكانت تلبس ثوباً من ليف. وأمر أنبا دانيال تلميذه أن يلبسها الأكفان فوق ملابسها. ولكنه ابصر ثدييها - من شدة النسك - كورق الشجر اليابس. وكانت نياحتها سنة ٥٧٦. وتعيد لها الكنيسة فى يوم ٢٦ طوبة من كل عام.

القديسة أبولينر Apollinaire ;

هى ابنة انثميوس Anthémius الوصى على الامبراطور ثيئودوسيوس الصغير، وكانت معاصرة للقديس يوحنا ذهبى الفم. ولما بلغت سن الزواج أراد والداها تزويجها فرفضت بكل شدة وفى اصرار، واعلنت رغبتها فى البتولية ودخول أحد الأديرة... ودخل أبوها معها فى نقاش عنيف، فقالت له: [يا أبى لا تصرّ، لأنى لن أتزوج أبداً. وانى على يقين فى قرارة نفسى ان الله سوف يحفظنى فى البتولية دائماً. فحقق لى رغبة واحدة. ان ترسل إلى القصر عذراء مكرّسة للرب

كل يوم لتعلمني التراتيل وقراءة الكتب المقدسة] .

ونستطيع أن نتصور مدى الصدمة التى صُدم بها الوالدان ، اللذان كان يعشمان فى زوج مرموق لابنتهما ... أخيراً سلّم الأب برغبتها واحضر لها فى القصر عذارى مكرسات ليعلّمنها الألحان والكتب المقدسة ...

بعد مضى بعض الوقت أرادت أن تتحلل من هذا الوسط الملكى ، وارادت أن تتعبد للرب فى البرية ... فطلبت إلى والديها أن تزور الأراضى المقدسة فوافقا ، وكان معها حاشية من سيدات فضليات ومن خدم القصر والحرس . وحضر القديس يوحنا ذهبى الفم لكى يباركها قبل سفرها . **ثم ابحرت فى سفينة متجهة إلى فلسطين وقد** كان مسلكها فى الرحلة متواضعاً **فقد اعتذرت عن كل الدعوات من المسئولين** والأساقفة ، وأقامت فقط مع العذارى **اللائى نذرن أنفسهن للرب ...**

وإذ كانت تنفذ خطتها بحكمة - **وهى الانطلاق إلى برارى مصر ، كانت كل فترة تقلل عدد حاشيتها بعد أن تغدق عليهن الأموال ... ثم طلبت أن تسافر إلى مصر لتزور قبر الشهيد مار مينا ... قصدت الاسكندرية وبعد اقامتها بضعة أيام زارت خلالها الكنائس والأديرة وتوزع الصدقات على الكهنة ، طلبت من سيدة عجوز كانت تثق فيها ، أن تشترى لها سراً ملابس راهب كاملة . ولما احضرتها قبلت كل قطعة منها ولفتها بعناية بالغة حتى لا يراها أحد .**

وصلت إلى مكان مار مينا ودخلت الكنيسة بمفردها بعد أن أوصت من معها بألاّ يكشفوا عن شخصيتها . وكرّمت جسد الشهيد مار مينا وتوسلت إليه أن يطلب إلى الله لها فيضاً من تلك الشجاعة التى جعلته يَسفك دمه من أجل المسيح ، حتى تُقدم على ما فكرت فيه ... عُرف أمرها وجاء الكهنة يرحبون بمقدمها وأن تقيم فى الدير ، لكنها قالت لهم : [ليس لى مستقر سوى الكنيسة] وطلبت بركتهم وصلواتهم عنها ... وهكذا ظلت ثلاثة أيام وثلاث ليال متواصلة تجثو على البلاط أمام رفات مار مينا ، فاستجيبت صلواتها ... وهنا طلبت من أمين الدير أن يجهز عربة لأنها تريد زيارة المتوحدين الأتقياء فى الاسقيط .

صلت إلى الله أن يعينها وفى الليل - حينما اطمأنت لنوم الجميع - خلعت ملابسها ولبست ثياب الراهب وتسللت على أطراف اصابعها واختفت سريعاً

وسط نباتات المستنقع الذى كان هناك ... ثم مكثت سنين طويلة فى مكان به نخله تكفى لامدادها بالزاد اللازم. وعندما خرجت من عزلتها كان جلدها خشناً متورما من لدغات البعوض ، وكان جسدها نحيلاً من فرط الأصوام. **وفى رؤيا سمعت صوتا يقول لها بوضوح : [إذا سُئلت عن اسمك فقولى بثبات دوروتى] ... ووجه الروح القدس القديس مكاريوس إلى مكانها ... ولما عرفته قدمت نفسها باسم دوروتى وطلبت إليه أن يسمح لها بالسكن فى الصحراء لتقتدى بالقديسين ... فخصص لها الأنبا مقاريوس مغارة مهجورة على منحدرات نتريا ...** وهناك جاهدت ضد كل أنواع المحاربات المفزعة ، وكانت لا تكلم أحداً وتغطى رأسها حين تذهب إلى الكنيسة ...

قطعت ابولنير صلتها بالعالم كلية ، وكانت تنمو فى الكمال يوماً فيوماً ... نعود إلى انثميوس والدها ، وكانت له ابنة أكبر من ابولنير بها روح نجس منذ صغرها ... ساءت حالتها وكانت لا تكف عن الصراخ. **وكان الروح الذى بها يقول : [إن لم تحملوها إلى برية الاسقيط فلن أتركها أبداً] ...** وكانت البرية بآبائها ذائعة الصيت ، فاقتنع انثميوس بارسالها إلى مصر... ووصل الركب إلى الاسقيط وتقابلوا مع الأنبا مقاريوس. ولما علم بمطلوبهم خطر له خاطر أن يحمل هذه الفتاة إلى الأب دوروتى. وطلب إليها أن تصلى على هذه الفتاة المسكينة. وعبثاً حاولت الاعتذار... **تعرفت على اختها وأخذت تذرف الدموع الغزيرة. وبصلاة دوروتى شفيت المريضة ...**

لكن ما لبثت الأميرة المريضة أن عاودها المرض ثانية ، فطلب الامبراطور إلى آباء البرية أن يرسلوا إليه الأب الذى شفاها أولاً. والحّ الجميع عليها أن تذهب إلى القسطنطينية طاعة لأمر الامبراطور المؤمن ... وهناك شفت أختها ، ولم تستطيع كتمان أمرها أكثر فكشفت نفسها وحقيقتها لوالديها. وبعدها استأذنت منهما عادت إلى البرية ثانية ... ولما شعرت بقرب نهايتها استدعت الأنبا مقاريوس واعلنت له انها ستنطلق من العالم ، وطلبت إليه أن يدفنوها بملابسها كما هى ... وذات يوم اعلم الله الأنبا مقاريوس بحقيقة هذه القديسة الناسكة ، ووسط كل الآباء المتوحدين والألحان والمزامير أخرجوا جسدها ووضعوها باكرام شرقى الكنيسة فى مغارتها ... وحدثت معجزات شفاء كثيرة من هذا الجسد.

باقة من أبرار علمانيين

- من هم العلمانيون ؟
- العلمانيون فى الكنيسة فى القرون الأولى .
- دور العلمانيين فى الكنيسة القبطية عبر القرون .
- نماذج من أبرار علمانيين :
  - سمعان الدبّاغ
  - فهد بن إبراهيم
  - ابن بقيرة الرشيدى
  - الأنبا رويس
  - المعلم إبراهيم الجوهرى
  - حبيب فرج
  - صادق روفائيل
  - والدة الأنبا مقار الشبراوى البطريرك
  - البارة مونيكا .

من هم العلمانيون ؟

يُطلق هذا التعبير على كل المؤمنين من غير رجال الاكليروس بكل درجاتهم الكهنوتية ... وكلمة « علمانى » مشتقة من كلمة « عَالَمْ » . أى انه إنسان يعيش فى العالم و يعمل فى أعمال العالم الدنيو ية ...

وهذا التمييز موجود منذ القديم ... ففى الكتاب المقدس ـ بعهديه القديم والجديد ، استخدمت الكلمة اليونانية ὁ λαός **للتعبير عن الشعب اليهودى ، وللتمييز بينهم وبين كهنتهم وخدامهم** ... فنقرأ فى (مت ٢٦ : ٥) انهم حينما تشاوروا لكى يمسكوا الرب يسوع « قالوا ليس فى العيد لئلا يكون شغب فى الشعب » ... ونقرأ فى سفر أعمال الرسل انهم حينما ارادوا أن يقبضوا على الرسل « مضى قائد الجند مع الخدام فأحضرهم لا بعنف لأنهم كانوا يخافون الشعب » (أع ٤ : ٥) ... ونستخدم كلمة « الشعبὁ λαός » على وجه الخصوص ـ بين اليهود ـ للتمييز بينهم وبين رئيس الكهنة (عب ٥ : ٣ ؛ ٧ : ٥ ، ٢٧) ... كما وردت هذه الكلمة فى العهد القديم فى (حز ١٩ : ٢٤ ؛ ٢ أى ٢٤ : ١٠) ... **واستخدمت فى الليتورجيات القديمة ، للتعبير عن الشعب المصلى ، والتمييز بينهم وبين الكاهن الخديم .** وكمثل مبكر جداً ليتورجية القديس يعقوب بن زبدى « يقول الشعب آمين . و يقول الأسقف سلام الله مع جميعكم » . يقول الشعب « ومع روحك » (Apostolical Constitions Book 8 : 18) ... ونجد فى الليتورجيات السريانية نفس الكلمة المرادفة ... **ونجد هذا أيضاً فى الكتابات اللاتينية ويسمى الشعب Plebs للتعبير عن العلمانيين . وهذا واضح فى كتابات ترتليانوس وكبريانوس وجيروم واغسطينوس والقانون ٧٧ لمجمع الفيرا Elvira** الملتئم سنة ٣٠٥ م .

ومن كلمة λαός **أشتقت الكلمة** λαϊκός **(laicus)** وتعنى العلمانيين ... لا ترد هذه الكلمة فى الترجمة السبعينية للعهد القديم ، ولا فى أسفار العهد الجديد ... **وأول ما تقابلنا هذه الكلمة** فى رسالة القديس اكليمنضس الرومانى أسقف روما فى رسالته إلى أهل كورنثوس والتى كتبها نحو سنة ٩٥ م ، حينما يصف العلاقة بين العلمانيين والاكليروس ... يقول : [أعطيَت لرئيس الكهنة مهاماً خاصة ، وحددت للكهنة أماكن معينة ، وللاويين خدمات خاصة ، وللرجال العلمانيين الأوامر

المخصصة للعلمانيين] (٤٠ : ٥) ... وفى أواخر القرن الثانى يستخدم اكليمنضس الاسكندرى كلمة «علمانى» بالمقابلة لكلمة «كاهن»، «شماس» وذلك فى كلامه عن موضوع زواج الاكليروس والعلمانيين (المتنوعات ٣ : ١٢)- ويستخدمها أيضاً كصفة فى كلامه عن [عدم إيمان الشعب] (المتنوعات ٥ : ٦) ... وترتليانوس يستخدم أيضاً كلمة laicus للتعبير عن العلمانيين (فى العماد ١٧) ... والقديس كبريانوس الشهيد استخدمها أيضاً (الرسالة ٣٠ : ٥) ... **وفى قداس سرابيون توجد صلاة خاصة «لمباركة العلمانيين» ... وفى قوانين الرسل تستخدم كلمة «العلمانيين» بالمقابلة لكلمة «اكليروس» ... كما توجد بكثرة فى القوانين الرسولية ... وفى اللغة السريانية نجد بدل كلمة «علمانى»** كلمتى almaya ، almanaya **ومعناهما الحرفى «إنسان العالم» ...**

العلمانيون فى الكنيسة فى القرون الأولى :

+ اختيارهم ذوى الرتب الكهنوتية :

+ منذ البدء كان **العلمانيون (الشعب) هم الذين يختارون المرشحين للدرجات الكهنوتية** ... ففى إقامة السبعة شمامسة فى كنيسة الرسل، فإن العلمانيين هم الذين اختاروا السبعة وقدموهم للرسل الذين وضعوا عليهم الأيادى ... هذه كانت الطريقة المتبعة قديماً، وإن اختلفت التفصيلات ... ففى كتاب «تعليم الرسل الاثنى عشر Didache» الذى كتب أواخر القرن الأول وأوائل الثانى الميلادى يحث الكاتب الشعب على انتخاب الأساقفة والشمامسة ويكونون جديرين بالرب، رجالاً ودعاء غير محبين للمال (ف ١٥) ...

+ وقد اتهم الاريوسيون أثناسيوس بأن رسامته بطريركاً تمت بواسطة ستة أو سبعة أساقفة غير معروفين للعلمانيين ... **وأثناسيوس فى رده على الاريوسيين (ف ١٦)، أقتبس من رسالة صادرة من الأساقفة المصريين تقول إنه انتخب سنة ٣٢٦م [بأغلبية الأساقفة وعلى مشهد من كل الشعب وتصويتهم] ... وعن نفس** الموضوع **يقول القديس غريغوريوس الثيئولوغوس ان أثناسيوس اختير بتصويت كل الشعب** - ليس بالأسلوب الشرير الذى كان منتشراً، وليس بوسائل الدم والضغط

بل بطريقة رسولية وروحية ارتقى السدة المرقسية ... وبدون ادنى شك ، فإن غريغوريوس كان يشير إلى أن هذه هى الطريقة القديمة للاختيار ... هذا ما كان متبعاً فى جميع الكنائس الرسولية القديمة ... **وورد فى القانون الثانى من قوانين هيبوليتس (القرن الثالث) أن الأساقفة والكهنة والشمامسة يختارون بواسطة كل الشعب.**

جلوسهم فى أجتماع العبادة :

+ **فى كتاب الدسقولية Didascalia الذى يرجع إلى القرن الثالث نجد أول وصف لاجتماع العبادة المسيحى.** يقول إن القسوس كانوا يجلسون على جانبى الأسقف **وخلفهم العلمانيون** ثم خلف الجميع يجلس النساء. وكانوا يتجهون نحو الشرق ... **فى هذا الاجتماع كان العلمانيون يجلسون فى مكان خاص بهم.** الرجال فى ناحية والنساء فى الناحية الأخرى. وكان الشباب والشيوخ يجلسون منفصلين. وكذلك النساء الحدثات والأمهات ، والأرامل ، والعذارى ، والعجائز ... كل فريق من هؤلاء كان له مكان مخصص.

صلتهم بالوعظ والتعليم :

+ نأتى إلى موضوع الوعظ والتعليم ... **إلى أى مدى كان مصرح للعلمانى أن يعلم أو يعظ فى الكنيسة فى تاريخها المبكر ... الحق ان هذا الموضوع كان محل مناقشة ...**

فى اليهودية كان مصرح لأى علمانى له قدرة على التعليم أن يقوم بذلك فى المجمع اليهودى ... وبالصفة العلمانية - فى نظر اليهود - وعظ مخلصنا فى مجمع اليهود بالناصرة (لو ٤ : ١٦ - ٢٠) ... وبنفس الصفة العلمانية وعظ بولس وبرنابا فى المجمع اليهودى بانطاكية بيسيدية « ودخلوا (بولس ومن معه) المجمع يوم السبت وجلسوا. وبعد قراءة الناموس والأنبياء ، أرسل إليهم رؤساء المجمع قائلين أيها الرجال الاخوة إن كانت عندكم كلمة وعظ للشعب فقولوا. فقام بولس وأشار بيده وقال ... » (أع ١٣ : ١٤ - ١٦). **ووعظ بولس فى مجامع يهودية كثيرة فى أماكن أخرى ...**

وفى تاريخ الكنيسة المبكر حينما كانت الكنيسة غنية بمواهبها الروحية - التى

لم تكن قاصرة على الاكليروس. لذا نعتقد ان التعليم والوعظ كان مصرحاً به للعلمانيين ... وهذه الموهب الروحية كانت تشتمل « كلام حكمة، وكلام علم، ونبوة، وترجمة ألسنة » (١ كو ١٢ : ٨ - ١٠) ... وفى الوقت الذى كان مصرح للرجال بالوعظ والتعليم فى الكنيسة، كانت المرأة ممنوعة من التعليم ورفع صوتها فى الكنيسة (١ كو ١٤ : ٣٤ ؛ ١ تى ٢ : ١١ ، ١٢) ... ونفس هذا المعنى ورد فى قوانين الرسل، وهى مأمورة بالصلاة والاصغاء للمعلمين (Const. 3: 6 Apost.) . ونستطيع أن نجد فى قوانين الرسل ما يثبت وجود معلمين علمانيين (Apost. Const. 8: 32) . ولأن هذه القوانين كتبت فى القرن الثالث، فلعل الإشارة لا تعنى التعليم العام فى الكنيسة، بل إلى التعليم الخاص. لكن فى قوانين الكنيسة بعد ذلك نجد انه غير مصرح للعلمانى بالتعليم فى وجود الكهنة إلاّ إذا طلبوا هم منه ذلك ... وجدير بالذكر أن رسامة الكاهن بعلامة الصليب وقوله البَسْمَلة قبل أن يتكلم علمانى هو تقليد كنيسة الاسكندرية منذ القرن الثانى من عهد كليمنضس الاسكندرى ...

على أننا فيما يتصل بتاريخ أوريجينوس (القرن الثالث) ، فإنه كان يمارس الوعظ والتعليم فيما كان علمانياً وقبل أن يرسم كاهناً. وهذا الأمر اثار شكوكاً وتساؤلات كثيرة ... يقول يوسابيوس القيصرى : [وبينما هو (أوريجينوس) هناك (فى قيصرية) ، طلب منه أساقفة الكنيسة فى تلك المملكة (فلسطين) أن يعظ و يفسر الكتاب علناً، رغم انه لم يكن قد رُسم قساً بعد] (٦ : ١٩ : ١٦) ولما اعترض الأنبا ديمتريوس البطريرك الاسكندرى الـ١٢ على ذلك، كتب إليه أسقفا أورشليم وقيصرية يقولان : [لأنه حيثما وجد أشخاص قادرون على تعليم الاخوة، حثهم الأساقفة المقدسون على أن يعظوا الشعب] ... ثم أخذا بعد ذلك يدللان على صحة ما يقولان بما يحدث فى جهات أخرى كثيرة (يوسابيوس : التاريخ الكنسى ٦ : ١٩ : ١٨) .

دورهم فى المجامع الكنسية :

يرى البعض فى عضوية المجمع الكنسى الأول (مجمع أورشليم) الذى التأم حوالى سنة ٥٠ م، وفئات المؤمنين الذين اشتركوا فيه، وبالصورة التى اجتمع

بها، دليلاً واضحاً على أن من حق المؤمنين العلمانيين أن يسهموا فى إدارة الشئون الكنسية مع الاكليروس ... كان هناك مندوبون مع بولس وبرنابا من العلمانيين ارسلوا من انطاكية ... ومن الواضح حسب رواية سفر أعمال الرسل انه كان هناك آخرون غير الرسل والقسوس ... **وغير واضح دور هؤلاء العلمانيين فى المجمع ...** لكن يذكر لوقا كاتب سفر الأعمال انه كانت هناك مباحثات كثيرة قبل أن يتكلم بطرس الرسول ... **على أن قرار المجمع النهائى صدر باسم « الرسل والمشايخ والاخوة »**، وانهم انتهوا إلى ارسال رجلين هما برسابا وسيلا مع بولس وبرنابا ليبلغوا قرار المجمع إلى كنائس الأمم (أع ١٥) ...

والقديس كبريانوس الشهيد أسقف قرطاجنة كان يشرك العلمانيين معه فى شئون أسقفيته (رسالة ١٤ : ٤). وفى المجمع الذى التأم سنة **٢٥٦ م فى عهد كبريانوس هذا لمناقشة موضوع اعادة معمودية الهراطقة، كان حاضراً بالمجمع سبعة وثمانون أسقفاً بالاضافة إلى عديد من الكهنة والشمامسة وجمهرة من عامة الشعب.**

وبعد كل هذا الذى عرضنا له نقول، انه ليس غريباً أن يشارك العلمانيون فى خدمة الكنيسة ... فالكنيسة تأتى بثلاثة معان: **الكنيسة كبناء، الكنيسة كرعاة واكليروس، ثم الكنيسة كشعب.** على نحوٍ ما يقول سفر أعمال الرسل: « وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون » (أع ٢ : ٤٧) ... وما يقوله بولس الرسول لقسوس مدينة أفسس: « احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » (أع ٢٠ : ٢٨).

دور العلمانيين فى الكنيسة القبطية عبر القرون:

منذ البدء اهتمت الكنيسة القبطية بأبنائها العلمانيين ... فهى التى تلدهم من بطن المعمودية المقدسة ميلاداً ثانياً، وتلقنهم الإيمان سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق آخرين من أبنائها ... وهم موضع صلواتها دائماً ... فهى تذكر فى تحليل الكهنة الذى يعقب صلاة نصف الليل والتسبحة **« وإخوتنا العالمانيين »** كقطاع من قطاعات الكنيسة ... وهى تذكرهم فى أوشية الراقدين ...

وتذكرهم بالتحديد فى القداس الغريغورى : « الاغنسطسيين والمرتلين والقرّائين والرهبان والعذارى والأرامل والأيتام والمتنسكين **والعلمانيين**، وعن كل امتلاء بيعتك المقدسة يا إله المؤمنين » ... ومع أن عبارة « وعن كل امتلاء بيعتك المقدسة » تشمل الجميع، لكنها تخصص طلبة خاصة من أجل العلمانيين. وفى هذا القداس تطلب الكنيسة من أجل « **اخوتنا المؤمنين الأرثوذكسيين الذين فى البلاط** ». وبالقطع أن هؤلاء من العلمانيين ... **وفى القداس الكيرلسى** وهو قداس مار مرقس، فى أوشية السلامة الكبيرة يصلى الكاهن من أجل « **الملك والجند والرؤساء والوزراء والجموع** Nill Hw **وجيراننا ومداخلنا ومخارجنا، زيّنهم بكل سلام** » ... وفى أوشية الأساقفة يطلب الكاهن من أجل « الأساقفة الأرثوذكسيين فى كل موضع والقسوس والشمامسة والابودياقونين والاغنسطسيين والمرتلين والقرّاء والرهبان والعذارى والأرامل والأيتام والنساك **والعلمانيين** والمتحدين بالزيجة ومربىّ الأولاد الذين قالوا لنا أذكرونا والذين لم يقولوا، الذين نعرفهم والذين لا نعرفهم، أعداءنا وأحباءنا اللهم ارحمهم ».

وإذا كانت الكنيسة تعتنى بابنائها العلمانيين على نحو ما اسلفنا وتصلى من أجلهم، فإنهم من جانبهم قاموا بدور بارز من نحوها طيلة تاريخها الطويل ...

١ ـ العلمانيون لهم نصيب فى العبادة الجمهورية فى الكنيسة ... ففى صلوات القداس الإلهى نرى الصلوات تتوزع بين ثلاث فئات: الكهنة والشمامسة والشعب (يقول الكاهن ـ يقول الشماس ـ يقول الشعب).

٢ ـ قدموا ذواتهم للموت ذوداً عن إيمانهم ... ونحن نرى أن القاعدة الشعبية بين الشهداء هم من عامة الشعب العلمانيين ...

٣ ـ للعلمانيين دور أساسى فى انتخاب رتب الكهنوت بدءاً من الشمامسة حتى الأب البطريرك ومروراً بالكهنة والقسوس والآباء الأساقفة. وهو تقليد رسولى على نحو ما أوضحنا آنفاً. ونشكر الله أن كنيستنا **القبطية الأرثوذكسية** مازالت متمسكة بهذا التقليد حتى الآن تحت شعار « **من حق الشعب اختيار راعيه** » ... وقد تمسك الأقباط العلمانيون بهذا الحق طوال تاريخ الكنيسة ونضرب مثالاً على ذلك ما حدث فى زمن البابا مكاريوس الثانى البطريرك الـ٦٩ (١١٠٢ ـ ١١٢٨ م). فيبدو أن هذا البطريرك

ـ بعد أن نقل الكرسى البطريركى من الاسكندرية ، لكى يكون بمصر القديمة إلى جوار الحكام ـ أراد أن يضم اسقفية مصر (القديمة) إليه ولا يقيم لها أسقفاً ، فلما رأى أراخنة مصر العلمانيون مراوغة البطريرك رغم وضوح قوانين الكنيسة فى هذا الشأن ، فوقفوا أمامه يطالبونه بتنفيذ قوانين الكنيسة ، فكتب إليهم مرغماً : [يكون الأسقف مختاراً من شعبه . ويقع التراضى عليه من جميعهم . ويكون معروفاً بالأوصاف التى تضمنها كتابهم . لم يقل القانون أن يكون مختاراً من شعب غريب ولا من بطريرك . فالآن السمع والطاعة لهم فيما أمر به القانون . تختارون من يقع عليه رضاكم به وتسكنون إليه ، ويكون مستصلح لكم ، اقدمه عليكم . ولا اخرج عن رأيكم فيه لأنكم مقاسيه ومباشريه ... فإننى يعلم الله لو جاءتنى ملائكة السماء ، ما قدمت واحداً منهم إلاّ الذى يقدموه من ذاتهم] .

ولما اكتشف أراخنة مصر ان البطريرك يقدم كلاماً معسولاً دون أن تكون له نية رسامة أسقف لهم . اجتمعوا معاً وقالوا : [كما انه لا يجوز لنصرانى أن يكون له زوجتان ، كذلك لا يجوز أن يكون لأسقف كرسيان . والأب أنبا مقاره البطريرك هو أسقف مدينة الاسكندرية فكيف يمكن أن يكون له أسقفية مصر] !!

٤ ـ للعلمانيين دور رائد فى خدمة الفقراء وهى ما تعرف حالياً باسم الخدمة الاجتماعية ... **وهذه الخدمة قام بها الرجال والنساء على حد سواء من العلمانيين ... وهذا واضح منذ تاريخ الكنيسة المبكر.** فنحن نقرأ عن «**حنانيا وسفيرا**» اللذين باعا حقلاً وقدما ثمنه للكنيسة (أع ٥) . ونقرأ عن طابيثا التى كانت « ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات » . وكانت تعمل أقمصة وثياباً للأرامل (أع ٩ : ٣٦ ـ ٤١) وسوف نبرز هذه الناحية حينما نقدم سير بعض الأبرار العلمانيين ....

٥ ـ فى العصر الاسلامى كان العلمانيون من موظفى دواوين الدولة من أبناء الكنيسة هم حلقة الوصل بينها وبين الدولة ... وكم خففوا من الضغطات والضيقات التى كانت تحيق بالكنيسة من وقت لآخر نتيجة صلاتهم الطيبة بالحكام والرؤساء الذين كانوا يخدمونهم بأمانة ونالوا حظوة لديهم . والأمثلة على ذلك كثيرة ولا تُحصى ...

٦ ـ كان للعلمانيين ـ من الرجال والنساء ـ دور فى التعليم ـ ولو على المستوى

الخاص ، وذلك منذ عصر الرسل أنفسهم ... وكمثل رائع نذكر « اكيلا وزوجته بريسكلا » اللذين عاونا القديس بولس الرسول فى خدمته التبشيرية ، وشرحا طريق الرب بأكثر تدقيق لابلّوس الاسكندرى الذى كان هو الآخر رجلاً فصيحاً مقتدراً فى الكتب خبيراً فى طريق الرب وحاراً بالروح (أع ١٨) ... ويتكلم بولس عن العجائز ان يكُنَّ « معلمات الصلاح لكى ينصحن (يدربن) الحدثات » (تى ٢ : ٣ ، ٤) ـ وكلمة معلمات الصلاح فى اليونانية هى Kaladidaskalos تعنى التعليم الشفوى ... وظل هذا الأمر عبر الأجيال سواء فى الكتاتيب التى انتشرت فى العصور الوسطى ، أو حالياً فى مدارس التربية الكنسية ...

٧ ـ كما كان للعلمانيين عبر العصور فضل فى عالم التآليف ، فألفوا الكثير من الكتب منهم الشيخ المؤتمن أبو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود الشهير بأبو المكارم ، وكان من افاضل العلمانيين الأقباط ومؤرخيهم . وضع سنة ١٢٠٨ كتاباً هاماً عن كنائس مصر واديرتها ، وللأسف فإن هذا الكتاب يُنسب خطأ إلى أبو صالح الأرمنى . وقد نشر هذا الكتاب فى أواخر القرن الماضى بالإنجليزية للعالم Evetts ووضع له حواشى المؤرخ الانجليزى الفريد بطلر .

وابن كاتب قيصر الذى ألف عدة كتب منها تفسير سفر الرؤيا ، **وأولاد العسال** الذين ألفوا عدة مؤلفات فى القوانين واللغة القبطية ، **وحبيب جرجس** فى العصر الحديث .

ومما هو جدير بالذكر أن درجة الشماسية الكاملة (دياكون) لأشخاص مكرسين ومخصصين للخدمة ، مع الأسف الشديد تكاد تكون قد اختفت من الكنيسة القبطية منذ أجيال عديدة ... ولذلك فإن إلعلمانيين يقومون حالياً بكثير من الأعمال التى كانت منوطة بهم ...

الحاجة إلى علمانيين أتقياء :

لا شك أن العلمانيين كمؤمنين مدعوين لحياة القداسة والكمال المسيحى شأن باقى المؤمنين حسب وصية الرب والرسول « لكى نحضر كل إنسان كاملاً فى المسيح يسوع » (كو ١ : ٢٨) ... ويستطيع الجميع أن يقدموا المسيح بدون كلام إلى الآخرين ، وذلك بقدوتهم وحياتهم المقدسة ... وليس لأحد عذر فى ذلك ... فإن

احتج إنسان بأنه لا يستطيع أن يعلم لأن ليس له موهبة الكلام، فماذا عساه يمكن أن يعتذر به فى حياته المقدسة وقدوته الصالحة!! كل فى مجاله يستطيع أن يقوم بهذه الخدمة: الطلبة والطالبات فى مدارسهم ومعاهدهم وكلياتهم... الموظفون فى وظائفهم وأعمالهم. التجار فى تجارتهم ومعاملاتهم ربات البيوت اللائى لا يعملن فى وظائف بين جيرانهن... أربات المعاشات وهؤلاء يمكن أن يقدموا خدمات جليلة للكنيسة خاصة وقد تمرّسوا على الحياة واكتسبوا خبرات كثيرة بحكم سنّهم... هؤلاء يمكن الاستفادة بهم ولديهم وقت فراغ كبير لم يألفوه... يمكن أن يشتركوا فى لجان مصالحات الأسر، ويمكن أن يشتركوا فى لجان الافتقاد لمن فى سنهم، وكذلك فى الخدمات المختلفة التى تحتاجها الكنيسة وتحتاج إلى أشخاص لديهم الوقت والخبرة.

نماذج من أبرار علمانيين

نتقدم الآن لنقدم بعض نماذج من أبرار علمانيين عبر تاريخ الكنيسة ...

سـمعان الدباغ :

نقرأ عنه ضمن سيرة البابا إبرام بن زرعة السريانى البطريرك الـ ٦٢ (٩٧٥-٩٧٨) الذى تمت فى عهده معجزة نقل جبل المقطم ... فقد أوْغَرَ الوزير اليهودى الذى اسلم يعقوب بن كلّس، صدر المعز لدين الله أول لخلفاء الفاطميين فى مصر ضد النصارى. وكان هذا الخليفة متسع الافق واسع الصدر فهيماً ... وقال له : [النصارى مكتوب فى إنجيلهم «من كان فيه إيمان مثل حبة خردل فإنه يقول للجبل انتقل واسقط فى البحر فيفعل». وإما أن يكون النصارى على صدق أو كذب فى إنجيلهم] ... استدعى الخليفة البطريرك وسأله عن حقيقة ورود هذا القول فى الإنجيل فأجاب بالإيجاب، فطلب إليه أن يرى هذه الآية وإلاّ افنى النصارى بالسيف !! كانت مفاجأة للبطريرك واعتراه خوف عظيم ولم يعرف بماذا يجيب سوى انه طلب ان يمهله ثلاثة أيام ...

استدعى البطريرك الكهنة والأراخنة والشعب فى بيعة العذراء المعروفة بالمعلقة وأعلمهم بالأمر وهو يبكى. ووضع على الرهبان قانون صلاة وصوم بالخبز والملح والماء من المساء إلى المساء. وان يجتمعوا فى البيعة ليل نهار. أما البطريرك فظل صائماً هذه الأيام الثلاثة. ومن فرط حزنه واعيائه سقط فى صبيحة اليوم الثالث على الأرض وغفا غفوة يسيرة، فرأى السيدة العذراء وقالت له بوجه فرح : [ما الذى أصابك ؟] أخبرها بالأمر. فقالت له العذراء : [لا تخف فإنى ما أغفل عن الدموع التى سكبتها فى بيعتى هذه]. وقالت له أن يقوم ويخرج من موضع معين يؤدى إلى السوق الكبير، **وسيجد إنساناً بعين واحدة، يحمل جرة ماء، وهذا الإنسان هو الذى تتم على يديه الآية** ...

استيقظ البطريرك وهو مرتعب ونهض بسرعة وسار فى الطريق كما قالت له العذراء، ووجد الرجل فامسكه وقال له : [بمطانوة من جهة الرب ارحم هذا

الشعب] . ثم روى له عن الموضوع الذى لأجله تقابل معه . فقال له الرجل [اغفر لى يا أبى فإنى خاطىء ولم ابلغ إلى هذا الحد] . عندئذ اخبره البطريرك بما قالته له السيدة العذراء . ثم سأله عن صناعته . فأراد أن يخفى أمره . لكن البطريرك وضع عليه الصليب وربطه بالحروم ان لا يخفى شيئاً عنه من أمره ... فقال له : [يا أبى أنا اخبرك بحالى على ان تكتمه . أنا رجل دبّاغ . وعينى هذه التى تراها انا قلعتها لأجل وصية الرب عندما نظرت ما ليس لى ، نظر شهوة . ورأيت اننى ماضٍ إلى الجحيم بسببها . ففكرت وقلت الأصلح لى أن أمضى إلى الحياة بعين واحدة كما قال السيد المسيح آخَيْرٌ من امضى إلى الجحيم بعينين . وأنا فى هذا الموضع أجير لرجل دباغ ، افضل مما أعمل به فى كل يوم إلاً خبزاً آكله ، والباقى للمستورين المنقطعين من الأخوة نساءً ورجالاً . وهذا الماء اسقيه لهم كل يوم قبل أن امضى إلى شغلى ، وامضى به إلى قوم فقراء ، منهم من لا قدرة لهم على شرائه من السقّا . فنهارى كله أعمل فى المدبغة وليلى قايم أصلى . وهذه قضية حالى . وأنا أسألك يا أبى لا تظهرنى لأحد ، فليس لى قدرة ان احتمل مجد الناس . بل الذى أقوله لك افعله . اخرج أنت وكهنتك وشعبك كله إلى الجبل الذى يقول لك الخليفة عنه ، ومعكم الأناجيل والصلبان والمجامر والشمع الكبير . وليقف الخليفة وعسكره وجماعته فى جانب ، وأنت وشعبك فى جانب . وأنا خلفك قايم فى وسط الشعب ، بحيث لا يعرفنى أحد . واقرأ أنت وكهنتك وصيحوا قايلين يارب ارحم ساعة طويلة . ثم مُرْهم بالسكوت والهدوء . وتسجد و يسجدون كلهم معك وأنا أسجد معكم من غير أن يعرفنى أحد . وافعل هكذا ثلاث مرات . وكل دفعة تسجد وتقف تُصَلّب على الجبل فسترى مجد الله] ...

طاب قلب البطريرك بهذا الكلام وتوجه للخليفة المعز ومعه الشعب وقال له انه مستعد للخروج للجبل . وفعل البطريرك كما قال له الرجل ... وصرخوا دفعات كثيرة « يارب ارحم » . ثم امرهم بالسكوت وسجد على الأرض وسجد الجميع معه ثلاث مرات . وكل مرة يرفع وجهه و يصلّب فيرتفع الجبل عن الأرض . فإذا سجدوا نزل الجبل إلى حدّه ... فاعترى الرعب الخليفة ومن معه وصاحوا « الله اكبر » ... ثم قال المعز للبطريرك بعد ثالث رفعة : [حسبك يا بطريرك ، قد عرفت صحة دينكم] ... فلما هدأ الموقف التفت البطريرك يطلب الرجل القديس سمعان فلم يجده !!

فهد بن إبراهيم :

كان من اراخهة الأقباط فى عهد الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى ... عينه الحاكم كاتباً له وكاتم سرّه ومنحه ثقته. وكان ذلك وسط الجوغير المستقر بالبلاد وكثرة حوادث القتل. فلما اغتيل برجوان الصقلى الذى كان مستأثراً بالسلطة بتدبير الحاكم نفسه ، ارسل فى طلب فهد بن إبراهيم وخلع ليه احسن الحلل وقال له : [لا تقلق ابداً لما حدث] ، واستوزره ، واوصى كتاب الدواوين والأعمال بطاعته ... ثم قال الحاكم لفهد أمام الجميع : [أنا حامدٌ له وراضٍ عنك ، وهؤلاء الكتاب خدمى فاعرف حقوقهم واجمل معاملتهم ، واحفظ حرمتهم ، وزد فى واجب من يستحق الزيادة بكفايته وامانته] **وعرف باسم الرئيس ابو العلا فهد بن إبراهيم ... ولما وصل فهد القبطى إلى هذه المكانة ، وحاز ثقة الخليفة الحاكم ، صار هدفاً للدسائس ممن يبغضون النصارى ، فبدأت الوشايات ليضعفوا ثقة الحاكم فيه ... والعجيب أن الحاكم رغم فهمه مغزى الشكاوى التى قدمت ضد فهد ، لكن تمشياً مع التيار ، سمح باغتيال فهد** بعد أن استمر فى خدمته ست سنوات . وافهم حاشيته انه إنما أصدر أمره هذا تحت ضغط شديد !! ولتغطية الموقف أرسل الحاكم فى طلب أولاد فهد الذى قتل وخلع عليهم ، وأمر ألاّ يمسّهم أحد بسوء ...

لم تكن هذه الشكاوى والاحتجاج بقتل فهد تحت ضغط ، إلاّ ذراً للرماد فى العيون ... فيذكر كتاب تاريخ البطاركة وهو من أهم المصادر التاريخية لهذه الحقبة ، **أن سبب قتل الحاكم بأمر الله لفهد بن إبراهيم ، هو ان الحاكم طلب إليه اعتناق الاسلام. فلما لم يوافقه أمر بقطع رأسه وحرق جسده لمدة ثلاثة أيام. ومع ذلك لم يحترق جسده !! بل بقيت يده اليمنى وكأن النار لم تقربها !! أما السبب فى ذلك فقد قيل عن فهد هذا انه كان رحوماً جداً ولا يرد سائلاً تنفيذاً لوصية السيد المسيح « كل من سألك فاعطِهِ » . ويده اليمنى التى كانت تمتد بالخير، هى التى ظهرت فيها المعجزة أكثر من بقية جسده ، إذ بدت وكأن النار لم تقربها !!** وإن كنا نجهل كل ما يتصل بحياة هذا الإنسان الخاصة ، لكن يكفيه ثباته على الإيمان حتى الموت ، وتكفيه صفة الرحمة نحو اخوة المسيح . لقد فهم وصية الرب « اذهبوا واعلموا ما هو انى أريد رحمة لا ذبيحة » .

وفهد بن إبراهيم مدفون جسده بدير الأنبا رويس ، وربما فى المقبرة الكائنة تحت مذبح الكنيسة الأثرية التى تحمل اسم الأنبا رويس حالياً. (انظر سيرة القديس أنبا فريج التى اصدرتها مجلة صهيون فى أغسطس سنة ١٩٤٧).

ابن بقيرة الرشيدى :

كثيرون من الأقباط فى عهد الحاكم بأمر الله اكرهوا على اعتناق الاسلام وهذا بشهادة المؤرخين المسلمين وفى مقدمتهم المقريزى. وبالفعل أسلم عدد كبير منهم، لكن كثيرين أيضاً جاهروا بإيمانهم المسيحى، دون أن يخشوا بطش الحاكم، ومن هؤلاء بقثيرة الرشيدى أحد رؤساء كتّاب الديوان...

ترك خدمة الديوان وحمل صليبه، ومضى إلى قصر الحاكم، وصاح على بابه : [المسيح ابن الله]. فلما سمع الحاكم صوته أمر باحضاره، وطلب إليه أن يجحد إيمانه المسيحى ويعتنق الإسلام فرفض. وبحسب رواية تاريخ البطاركة انه [كان كالصخرة القوية التى لا تضطرب. وكان كلما خاطبه الحاكم زاد صياحه قائلاً المسيح ابن الله]... فأمر الحاكم بأن يُقيّد بالقيود الحديدية ويلقى فى السجن... رغم هذه القيود الحديدية، كان دائماً قائماً للصلاة ووجهه نحو الشرق يصلى مع ثقل الحديد المكبّل به !!

وحدث ان زاره إنسان فى السجن ، فقال له متنبئاً أن يخبر اسرته انه قبل مغيب شمس ذلك اليوم سيكون معهم فى المنزل... وبالفعل افرج عنه الحاكم فى نفس اليوم، وكتب بأن لا يعترض أحد بقيرة الرشيدى فى بيع أو شراء ولا فى أمر من الأمور...

وما أن خرج من السجن حتى أخذ يطوف على النصارى الذين تملكهم الرعب والفزع مما كان حادثاً، وطمأنهم انه بعد ثلاثة أيام تزول عنهم الشدة !!... وتم ذلك بالفعل. ففى اليوم الرابع أصدر الحاكم أمراً بأن يتعامل المسلمون مع النصارى فى البيع والشراء. وصرّح لهم بمغادرة مصر إن أرادوا، إلى بلاد الروم أو الحبشة أو النوبة أو غيرها. وكانوا قبل ذلك ممنوعين...

ترج بقيرة الديوان وتفرغ لافتقاد المحبوسين ، وكان يحمل إليهم ما

يحتاجونه ... وكان رحوماً جداً يرعى الفقراء والمعوزين. وكان يصوم يوماً إلى المساء، ويمضى معظم الليل فى الصلاة ... ومما يذكر عن محبته للرحمة، انه فى أحد الأيام اشترى خبزاً كعادته ووزعه على «المستورين والفقراء»، حتى انه لم يُبق لنفسه سوى رغيفاً واحداً. فجلس ليتناول افطاره فى المساء بهذا الرغيف، وبعد أن صلى وشكر الرب مدّ يده ليأكل فسمع طرقاً على الباب. فقال لغلامه: [ابصر الباب] فخرج فوجد إنساناً مستوراً، فقال له: [قل للشيخ بقيرة نسيتنى اليوم، وليس عندى ما افطر عليه]. فدخل الغلام وأعلمه بما قاله الرجل، فدفع له الرغيف، وبات طاوياً إلى الليل ثانى يوم ...

وحدث ان إنساناً جليل القدر فى قومه، كان غنياً جداً وأخنى عليه الدهر، وافتقر ونفذ ماله حتى لم يبق له شيء إلاّ الثياب التى تستر جسده ... وعلم بقيرة بظروف هذا الإنسان، فأنفذ إليه عشر أرادب قمح مع غلامه. ولم يكن هذا الرجل موجوداً بالمنزل وقتذاك. فافرغ الغلام القمح أمام زوجته وقال لها انه مرسل من عند بقيرة الرشيدى. فلما عاد الرجل وسمع بذلك انزعج جداً لافتضاح أمره، وبدأ يبكى ... فهدأت زوجته من خاطره وطلبت إليه أن يقوم ليصلى، وأن يرد القمح لصاحبه فى اليوم التالى ... فلما نام تلك الليلة رأى فى منامه كأن السيد المسيح قائم أمامه. فقال له: [لماذا أنت متوجع القلب]. قال له: [يا سيد كيف لا يوجعنى قلبى، وأنا من بعد ذاك الغنى والرحمة التى كانت لى، قد انتهى بى الأمر إلى هذا الفقر حتى صرتُ اتصدّق وخير لى أن اموت بالجوع افضل من هذا]. فقال له المسيح: [لا تحزن، فإن هذا القمح ما هو لأحد بل هو لى. وانا انفذته لك على يد وكيلى] قال له: [يا سيد ما جاءنى وكيل لك، بل بقيرة الرشيدى انفذه إلىَّ]. فقال له الرب: [كأنك ما علمت إلى الآن ان بقيرة وكيلى]؟! فلما سمع هذا استيقظ واعلم زوجته بالحلم وطاب قلباهما ...

وكان بقيرة الرشيدى ارخناً بمعنى الكلمة، وكان له مواقف مشرّفة مع البطريرك شنوده الثانى البطريرك الـ٦٥ (١٠٣٢ - ١٠٤٦) ... وكان متمسكاً بقوانين الكنيسة وتقاليدها وتعليمها حتى لو كان تمسكه هذا يغضب الأب البطريرك. وكثيراً ما تدخل لفض المنازعات عن هذا البطريرك وبعض الأساقفة ...

القديس الأنبا رويس :

على الرغم من الشهرة الكبيرة التى حازها هذا القديس ، خاصته بعد أن أصبح ديره مقراً للكرسى البابوى فى هذه السنوات ، **لكنه لم يكن راهباً ولا نال درجة كهنوتية على الاطلاق ...**

ولد القديس فى ضيعة منية يمين من أعمال الغربية من أسرة فقيرة . كان اسم أبيه إسحق واسم أمه سارة. **واسمياه «فريج». لا نعرف على وجه الدقة تاريخ ميلاده، لكنه عاش فى القرن الرابع عشر الميلادى وتنيح فى ١٨ أكتوبر سنة ١٤٠٤** (٢١ بابة ١١٢١ ش)... وكان أبوه فلاحاً . كان يساعد أبوه فى أعمال الفلاحة . فاذا انتهى من عمل الحقل كان يبيع الملح على قعود صغير (جمل صغير). وقد سمى قعوده « رويس » (تصغير لكمة رأس) ، لأنه كان يداعب صاحبه برأسه الصغير... وكان هذا الجمل اليفاً حتى انه كان إذا دعاه باسمه كان يُلبىّ دعوته... وقيل إن هذا الجمل من الذكاء والولاء لصاحبه حتى انه كان يغطيه إذا نام بدون غطاء و يُوقظه فى مواعيد الصلاة.

أقام فى منزل والده حتى سن العشرين . **ووقع اضطهاد شديد على المسيحيين حتى ان والد هذا القديس خرج عن الإيمان من شدة وطأة هذا الاضطهاد. اختفى القديس وسافر إلى مصر ومن شدة تعبه وجوعه نام فى الطريق فرأى فى نومه رجلين يلمعان كالبرق اختطفاه وحملاه إلى السماء ثم دخلا به إلى كنيسة سمائية، رأى فيها جمعاً كبيراً من المصلين. وسمع صوتاً من داخل يدعوه قائلاً: [أنت جوعان يا هذا، تقدم وكل من خبز الحياة]. وحينئذ قدمه الرجلان المضيئان إلى المائدة المقدسة وتناول من الأسرار المقدسة. ثم أعاداه إلى الموضع الذى اخذاه منه.**

بعد هذا الحلم نهض وعبر مصر ومنها إلى الوجه القبلى. وفى هذه البلاد جميعها غيّر اسمه إلى « رويس » انكاراً لذاته... عاش هذا القديس غريباً هائماً على وجهه متشبهاً بسيده الذى لم يكن له أين يسند رأسه. **وكان حنينه إلى السماء شديداً. فكثيراً ما كان يترنم بقول المرتل: «الويل لى فإن غربتى قد طالت علىّ وسكنت فى مساكن قيدار».**

ولقد عاش هذا القديس عيشة فى غاية الخشونة والقسوة وقمع الجسد . فكان صوّاماً، ولا يأكل إلاّ قليلاً والتافه من الأطعمة، ولا يلبس إلاّ ما يستر عورته ويترك باقى جسده عارياً معرضاً لحرارة الصيف وبرد الشتاء. وكان فى ذلك شبيهاً بيوحنا المعمدان.

طاف كل بلاد القطر المصرى من قوص فى صعيد مصر الأعلى إلى دمياط والاسكندرية. وكان إذا دخل بلداً يعمل بيديه ليحصل على ما يقوم بأوده ويتصدق بما يتبقى ... وكثيراً ما عرض عليه مريدوه الثياب الفاخرة والنقود والعطايا لكنه كان يرفضها ... لم يكتف بعيشة الحرمان بل كان يصرف حياته صائماً مصلياً. وقيل عنه انه كان يصوم يومين يومين وثلاثة ثلاثة انقطاعياً. ومرة صام اسبوعاً كاملاً. واخرى صام أحد عشر يوماً متوالية، وأخرى صام ٢٦ يوماً. وكان مواظباً على التناول المقدس. كان يتناول الأسرار المقدسة فى خوف ورعدة، وكثيراً ما كان يظهر تردداً عند التناول احساساً منه بعدم استحقاقه. ولما سئل عن هذا التردد اجاب: [انه لا يستحق التناول من هذه الأسرار المقدسة، إلاّ من كان جوفه طاهراً نقياً كأحشاء سيدتنا الطاهرة مريم التى استحقت أن تحمل المسيح فى احشائها] ... ولعل ذلك كان يرجع إلى أن الله كشف عن بصيرته، فكان يرى مجد الله حالاً على الأسرار المقدسة وقت التقديس فى الهيكل فيضىء بلمعان لا يوصف.

ووصل إلى درجة السياحة السامية، فكان ينتقل عبر المسافات بوقت قصير جداً ويدخل الأماكن وابوابها مغلقة. فمرة انتقل إلى أسيوط ورجع خلال ساعة انهى فيها مهمة إنسانية، ومرة أخرى انتقل إلى الشام لينجد مكروباً ... كما وهبه الله معرفة الأسرار المكنونة ... وكان منكراً لذاته و يتضح ذلك من انه انكر حتى اسمه وسمىّ نفسه باسم جمله «رويس». وعندما الح عليه البعض لمعرفة اسمه الحقيقى قال لهم تيجى افليو ϪⲈϪⲒ ⲈϤⲖⲎⲞⲨ أى تيجى المجنون ... والعجيب أن الكنيسة فى صلواتها تطلق عليه هذا الاسم تيجى ⲀⲂⲂⲀ ϪⲈϪⲒ ... وقد أراد أن يُمعن فى إنكار ذاته فكان يسير فى الطرقات عارى الجسم مكشوف الرأس أشعث الشعر ويسكن فى عشّة من الخوص، أو ينام على قارعة الطريق. وكثيراً ما جلب عليه هذا الأسلوب الغريب تهكمات الناس واعتداءاتهم عليه بالضرب والسب

والبصق عليه والرجم بالحجارة ...

وكان عندما تثور نفسه ضد هذه الاهانات يخاطبها بقوله : [أين أنا من الشهيد البطل مار جرجس وما احتمله ، أو من يوحنا المعمدان الذى قطع رأسه هيرودس الجزار... أين ما اصابنى مما اصاب الشهداء من عذاب] ... ومن فرط العذابات التى كان يتعرض لها كان يحبس نفسه فى اماكن نائية ، ويعتزل الناس شهوراً عديدة يصرفها فى الصلوات الحارة والأصوام الانقطاعية ... **ولقد نظر الله إلى انسحاق قلبه وحبه وقوة إيمانه وظهر له السيد المسيح خمس مرات بمجد لا يُنطق به ، وخاطبه فى احدها فماً لأذن. ويمثل هذه الرؤى كان يتشجع ويصمد لشتى الآلام ويصمت عن الكلام.**

وكان كثيراً ما يؤم بيوت المؤمنين ويخبرهم بأمور ستحدث فى المستقبل ، ويحذرهم من أضرار ومصائب سوف تحل بهم .

وختم هذا القديس جهاده باحتمال مرض شديد بصبر حتى سُمىّ أيوب الجديد. فقد مرض تسع سنوات متصلة ومكث كل هذه المدة طريح الفراش صامتاً لا يكلم أحداً، محتملاً بصبر عجيب. وقد صرف هذه السنوات فى التنهد والبكاء والصلاة من أجل الخطاة الذين كانوا يترددون عليه ... وكان يشفى المرضى الذين يزورونه بينما هو نفسه يعانى من المرض ... وعندما علم بنهاية أجله بارك تلاميذه واحداً واحداً ومسح جسده بالماء راشماً كل أعضائه من قمة رأسه إلى أخمص قدميه بعلامة الصليب ... ولم يكن إلى جواره ساعة نياحته إلاّ سيدتنا العذراء مريم التى طلبها فلبت طلبه. كما أخبر بذلك أحد تلاميذه ، إذ قال رأيت فى تلك الساعة امرأة منيرة كالشمس جالسة إلى جانب هذا الأب . وقد اخذت روحه المباركة حسب طلبه . وكان انتقاله فى ٢١ بابة تذكار العذراء . ودفن بجانب كنيستها بدير الخندق (الأنبا رويس) ... وفى اليوم الثامن لدفنه سرق جسده فظهر لتلاميذه واعلمهم بواقعة الحال ، فاعادوه إلى قبره ثانية . **وكانت تجرى من جسده آيات كثيرة ،** فأغرى ذلك جماعة من المؤمنين أن ينقلوا جسده إلى دير شهران بالمعصرة . فحملوه فى سفينة فى النيل . وفى طريقهم إلى الدير المذكور، ثارت عليهم رياح شديدة وعواصف هوجاء كادت تغرقهم فاضطروا أن يرجعوا الجسد ثانية إلى قبره المبارك . وظل القديس محافظاً على كرامة جسده إلى وقتنا الحاضر... وفى هذا الجيل

(القرن العشرين) حاول شخص يدعى ارمانيوس بك حنا مراقب البطريركية وقتذاك أن يصلح قبره . فأمر بهدمه ليبنيه على طراز حديث . فما كاد العامل يهوى على القبر بفأسه حتى شُلت يمينه ، فصرخ مستغيثاً . فأتى كاهن الكنيسة وصلى عليه حتى عادت يده إلى الحركة . **ومن ذلك الوقت ترك قبره كما هو. وكل ما عملوه انهم بنوا فوقه ضريحاً من الرخام دون أن يحركوا الجسد .**

كان هذا القديس معاصراً للبابا العظيم الأنبا متاؤس الأول الـ ٨٧ وكان على صلة به ... وفى أثناء الفوضى والتعصب الذى ساد تلك الفترة قبض الوالى على البابا البطريرك كما قبض على نساء النصارى واحضروهن أمام البطريرك . لكن البطريرك قاومه . **فغضب لذلك الأمير يلبغا السالمى الذى كان قد قبض عليه واستل سيفه وشرع يضرب رقبته فمدّ البابا رقبته وسأله أن يقتله ، فلما رأى الأمير أن البابا لا يخاف تراجع عن عزمه. واراد أن يطلق سراحه لكنه ابى الا إذا اطلق سراح جميع ابنائه المسجونين من الأقباط بدون ذنب ...** وأتى احد تلاميذ الأنبا فريج إليه ووجده ملقى على الأرض لا يتكلم فأخبره بما حدث للأب البطريرك وسجنه . وقال له : [لماذا لا تحرك ساكناً] فرفع القديس وجهه واصابعه إلى السماء وقال لتلميذه انظر إلى فوق سيدتنا العذراء ستخلصه . فاندهش التلميذ لهدوء القديس . وأخذت التلميذ سنة من النوم ، ورأى فى نومه صليباً من النور فى وسط السماء وخرجت منه يمامة حسنة المنظر وقد بسطت جناحيها على رأس الأب البطريرك . **ثم سمع القديس فريج يخاطب البطريرك بقوله : [متى .. متى . لا يخف قلبك . لأن الحمامة الحسنة التى تحبها قد خرجت اليوم لخلاصك . وستهلك عدوك]** . وعند ذلك استيقظ التلميذ من نومه ، وتوجه إلى البطريرك فى السجن وقصّ عليه الرؤيا ... **وفى ذلك الوقت هجم أحد الأمراء من أعداء الأمير يلبغا السالمى وحطم أبواب السجن الحديدية واخرج البطريرك ومن معه من المسجونين وقبض على الأمير يلبغا وسجنه وضُرب حتى مات ... !!**

أما عن معجزاته وعجائبه وهو على قيد الحياة فكثيرة جداً نذكر منها واحدة مما حدثت أثناء حياته وأخرى تمت حديثاً .

كان بحارة زويلة رجل مسيحى يدعى المعلّم صدقة وكان يتردد على كنيسة العذراء الأثرية ، واعتاد أن يقف أمام أيقونتها و يطلب شفاعتها . **ففى مرة فاجأه**

الأنبا رويس أمام الأيقونة ووبخه قائلاً : ما هذا التظاهر الباطل ؟ كيف تجسر على المثول أمام العذراء الطاهرة وأنت تصاحب امرأة شريرة ؟ إن لم ترجع عن شرك وتعود إلى العفة والتقوى فستسوء عاقبتك وتنال الهلاك فى الدنيا والجحيم فى الآخرة. فارتعد المعلم صدقة لهذه المفاجأة لأن القديس كشف سرّه. وكان الشيطان قد أوقعه مع امرأة شريفة من المماليك. وكان الأنبا رويس يصلى لله أن ينقذ هذا الإنسان المسكين من شرها ... وحدث فى يوم أن دخلت تلك المرأة بيت المعلم صدقة، ولما خرجت من عنده، حضر الأنبا رويس إليه، وقاده بكل قوة وسار به إلى كنيسة مار جرجس بمصر القديمة. وأشار عليه أن يدخل البيعة. فقال له : [يا رجل الله كيف اجرأ على الدخول وأنا ملوث بالخطية]. فأجابه : [إن الشهيد يساعد الساقطين مثلك ويفرح جداً بتوبتهم وخلاصهم]. فتقدم صدقة ودخل البيعة وسجد أمام صورة الشهيد وسأله بدموع سخينة أن يساعده على خلاص نفسه والخلاص من الخطية. وسجد إلى جواره الأنبا رويس وتضرع إلى الله أن يقبل توبته ويساعده على أن يعيش طاهراً بقية حياته وطلب إلى الشهيد مار جرجس أن يساعده بطلباته المقبولة. وخرجا معاً من الكنيسة... وفى تلك اللحظة اصيبت المرأة الشريرة بمرض شديد منعها من الاتصال بصدقة مرة ثانية. وكان هذا من دواعى ثباته فى التوبة... ووجهه الأنبا رويس إلى الترهب بدير أنبا أنطونيوس ففعل وصار راهباً فاضلاً مجاهداً، حتى أن البابا متاؤوس أحضره من الدير واسند إليه شئون القلاية البطريركية. وظل مثال الطاعة والإيمان حتى تنيح ودفن بدير الخندق (الأنبا رويس).

أما عن المعجزة المعاصرة فحدثت مع احد أولادنا المعروفين لنا، ويخدم اخوة المسيح بكنيسة الأنبا رويس. وكان يحمل فى جيبه مبلغاً من المال خاص بأخوة المسيح بالاضافة إلى مبلغ خاصاً به. وكان المبلغان فى مظروف واحد. وأثناء ركوبه احدى وسائل المواصلات العامة نشل منه هذا المظروف. فتضايق وعاتب الأنبا رويس وقال له : [فلوسى أقدر عليها. وفلوس أولادك أعمل فيها أيه] ... وفى اليوم التالى وجد المظروف موضوعاً فى صندوق البريد الخاص به بمنزله، علماً أن المظروف لم يكن مكتوباً عليه لا اسمه ولا عنوانه. فشكر الله وعمل له تمجيداً ...

المعلم إبراهيم الجوهرى :

من الأراخنة المباركين جداً ... كتب عنه الأنبا يوساب بن الأبحّ أسقف جرجا بعد نياحته كلاماً روحياً بليغاً نقتطف منه اليسير مما جاء فى كتابه سلاح المؤمنين: [ناح الشيوخ، بكى الشبان، خرج الفلاحون، ولول العربان. كان القاضى يبكى والكهنة يرفعون أصواتهم بالعويل. تعالينّ يا كل الأرامل وابكين على رجلكن الذى كان يهتم لكن بالطعام والكسوة. اجتمعوا يا كل الفقراء والمساكين واصنعوا لكم مناحة على من كان يباشر احوالكم كل حين. نوحوا وابكوا أيها الرهبان سكان البرارى على من يفتقد كل حالاتكم دائماً. اجتمعوا ونوحوا أيها الكهنة خدام الرب والبسوا مسوحاً على الذى كان دائماً يفتقد الكنائس بالمحرقات والقرابين. نوحوا وابكوا يا كل خدام بيت الرب الذى كان يحمل لكم دائماً كل احتياجاتكم. و بالأكثر كان النوح العظيم عند الأب المعظّم الكبير أنبا يوأنس على ابنه الحبيب البار الصديق، أغنى إبراهيم. نُحْ يا يعقوب اب الاسباط على ابنك يوسف إذ ليس هو موجوداً. وكان ذلك الأب البار لم يجد له عزاءً ولا سلوى على افتراق ابنه عنه ...] ...

يقول المؤرخ المعاصر عبد الرحمن الجبرتى : [ومات الذمىّ المعلم إبراهيم الجوهرى رئيس الكتبة الأقباط بمصر، وادرك فى هذه الدولة بمصر من العظمة ونفاذ الكلمة وعظم الصيت والشهرة مع طول المدة بمصر، ما لم يسبق لمثله من أبناء جنسه ....كان من دهاقين العالم ودهاتهم لا يغرب عن ذهنه شيء من دقائق الأمور. و يدارى كل إنسان بما يليق به من المداراة ويحابى و يهادى و يواسى، و يفعل ما يوجب انجذاب القلوب والمحبة و يهادى و يبعث الهدايا العظيمة والشموع إلى بيوت الأمراء. **وعند دخول رمضان يرسل إلى غالب ارباب المظاهر ومن دونهم الشموع والهدايا والأرز والسكر والكساوى. وعمرت فى أيامه الكنائس وأديرة النصارى واوقف عليها الأوقاف الجليلة والأطيان. ورتب لها المرتبات العظيمة والغلال. وحزن إبراهيم بك لموته وخرج فى ذلك اليوم إلى قصر العينى حتى شاهد جنازته وهم ذاهبون به إلى المقبرة. وتأسف على فقده تأسفاً زاهراً**] ..

لا يعلم على وجه التحديد تاريخ ميلاده ولا بالتحقيق بلده لكن يغلب على

الظن ان اسمه الجوهرى نسبة إلى الجوهرية (محلة مرحوم) **وكذلك نجهل كل شيء عن طفولته ... ولا شك ان ما تحلى به فى رجولته يدل دلالة أكيدة على انه رضع لبن التقوى صغيراً** ... بدأ حياته كاتباً لأحد المماليك، ثم ترك خدمته لسبب لا نعلمه. فتوسط البطريرك لدى رئيس الكتاب المعلم رزق الذى الحقه بخدمة محمد بك أبو الذهب ثم عُزل المعلم رزق وخلفه المعلم إبراهيم وهذا الوقت هو بدء ظهوره ... ثم آلت أمور البلاد إلى إبراهيم بك ومراد بك. فقلّد إبراهيم المعلم إبراهيم الجوهرى رئاسة كتاب الدواوين بالقطر المصرى أى بمقام رئيس الوزراء. وكانت هذه الوظيفة أكبر منصب يصل إليه إنسان فى ذلك الزمان. **فلم تزده الوظيفة إلاّ وداعة واتضاعاً وسخاءً ومحبة لعمل الخير. وكان لا يميز فى أعماله بين مسلم ونصرانى ويهودى ... وقد اكْتسَبَه خلقه هذا محبة الجميع ...**

وحدث اضطراب فى البلاد بسبب حملة بقيادة حسن باشا قبطان ارسلها السلطان العثمانى عبد الحميد إلى مصر لتأديب إبراهيم بك ومراد بك. فقاتلهما وانتصر عليهما فى عدة معارك، **وأخيراً هربا إلى الصعيد الأعلى ورافقهما المعلم إبراهيم الجوهرى** ... واوقع قبطان باشا مظالم كثيرة بالمصريين حتى انه عزم على بيع الحريم والأولاد والمماليك كعبيد لولا وقفة المشايخ فى وجهه. **أما النصارى فقد حلّ بهم النصيب الأوفر من المظالم على يده ويد جنوده. فنهبوا بيوتهم واستباحوا من فيها وانزل بهم صنوف التحقير الأدبى** ... **وقد نهب كل ما كان يملكه المعلم إبراهيم الجوهرى ... وأمر ألاّ يسمى المسيحيون باسماء الأنبياء كإبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف فتغيرت** أسماء كثيرين. **وحل بمصر وباء كان يموت بسببه ألف شخص يومياً من** القاهرة وحدها **!! ... وحدثت ظروف ساعدت على عودة إبراهيم بك ومراد بك ومعهما المعلم إبراهيم الجوهرى. وبفضل النعمة التى كانت للمعلم إبراهيم لدى إبراهيم بك ومراد بك استصدر فتاوٍ تبيح للأقباط اعادة ما تهدم من الكنائس والديارات واوقف عليها اهم أراضيه وأمواله** ... هذه لمحة عامة عن حياته فى الدولة، أما عن سلوكياته التى تدل على تقواه وروحانيته فنورد بعض القصص لندلل عليها :

كان اخوه المعلم جرجس ممتطياً جواداً ومارّاً فى إحدى الطرق فأهانه احد المشايخ. فشقت الاهانة على المعلم جرجس واخبر أخاه المعلم إبراهيم بواقعة الحال فأجابه :

[غداً سأقطع لك لسانه] . وفى اليوم التالى استدل على منزل الشيخ وأرسل له هدايا مسلى وجبناً إلى غير ذلك بدون علم أخيه. فلما مر أخوه المعلم جرجس مرة أخرى وقف الشيخ اجلالاً مرحباً به ترحيباً شديداً داعياً له. الأمر الذى حيّره. وبعد ذلك علم حقيقة الأمر. وقد نفذ وصية الرسول: «إن جاع عدوك فاطعمه. وان عطش فاسقه. فإنك بذلك تجمع جمر نار على رأسه. لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير» (رو ١٢ : ٢٠، ٢١).

جاءت امرأة مسيحية فى ليلة عيد إلى زوجة **أحد أراخنة الأقباط ويدعى المعلم فانوس** الكبير وشكت لها ظروفها الصعبة فزوجها فى السجن وأولاده يبكون لعدم وجوده معهم، وربما حكم عليه بالاعدام. فأرسلت هذه الزوجة الفاضلة كل لوازم العيد إلى تلك العائلة. وارسلت تخبرهم بأن جهزوا كل ما يلزمكم من الاستعداد للعيد لانه سيفرج عنه فى هذه الليلة ... ولما عاد المعلم فانوس من قداس العيد وجد زوجته كئيبة على غير العادة فى مثل هذه المناسبة. ولما استعلم منها قالت له: [ايليق أن نفرح نحن بالعيد وتلك العائلة حزينة باكية العين لسجن رجلها] وطلبت إليه أن يبذل همته للإفراج عنه فى هذه الليلة ... فنزل فى الحال وتوسط لدى أولى الأمر فأفرج عنه وعاد إلى بيته. واستغرق هذا وقتاً كبيراً من الليل. فلم يستيقظ باكراً كعادته ليَتَوَجّه إلى منزل المعلم إبراهيم الجوهرى الذى كان ينتظره ليتوجه مع كبار الأقباط للمعايدة على البطريرك. **فلما سأله المعلم إبراهيم عن سبب ابطائه ووقف منه على القصة، عاتبه بقوله كيف تنفرد بهذا العمل** وتأخذ الأجر والثواب **بمفردك ولا تشركنى فيه. وذهبا إلى البطريرك ليفصل لهما فى الأمر فكان جوابه للمعلم إبراهيم: هو اخرجه من السجن وانت انظر فى اعادته لوظيفته. وتم ذلك بالفعل.**

وعلم المعلم إبراهيم بظروف رجل مرّ على رفته من وظيفته ستة أشهر فأرسل إليه يستدعيه ليقيمه فى وظيفة وجدها له، فقال له ذلك الرجل: ان فلاناً أحق منى بهذه الوظيفة لأنه مضى على رفته سبعة أشهر ولم يكن له ما ينفق، أما أنا فبحمد الله عندى ما يكفينى أكثر منه فهو احوج منى إليها. فما كان من المعلم إبراهيم إلا أنه أوجد وظيفة لكل منهما.

كان من المترددين عليه فقير يقصده فى مواعيد معينة ليأخذ منه معونة. فلما حضر وسأله عنه اخبروه بوفاته، فأهال الرجل التراب على رأسه وسألهم عن مكان قبره.

وهناك بكاه بحرقة حتى اخذته سِنَةٌ من النوم. **فتراءى له المعلم إبراهيم فى حلم وقال له: [لا تبكِ. أنا لى فى ذمة فلان الفلانى الزيات فى بولاق عشرة بندقى فسلّم عليه من قبلى وأطلبها منه وهو لا يتأخر عن دفعها لك]**. فظن الرجل أن هذه اضفات أحلام. وبكى ثانية ونام فتراءى له المعلم إبراهيم وقال: [قم ليس هذا مناماً]، وأكد له الخبر. فقام لكنه اخذ يفكر فى الموضوع فلم يجده مقبولاً. ثم رقد ثالثة فتراءى له المعلم إبراهيم وقال له: [لا تقلق فإنى ساخبره]... **وبالفعل توجّه للمكان المحدد فوجد المكان والرجل كما وصفه له. فرآه الرجل متردداً فطلبه إليه واستفسر منه عما يريد. فقال أخشى لو قلت لك ان تحسبنى مجنوناً. ثم حكى له أمره. فقال له أنت نطقت بالصدق فلقد تراءى المعلم إبراهيم لى واخبرنى بمجيئك اليوم. واعطاه المبلغ ومثله منه أى أخذ المبلغ مضاعفاً**. وترحّم عليه... وتم فيه قول الشاعر:

سخاء فى الحياة وفى الممات لحقا تلك احدى المعجزات

كان المعلم إبراهيم باعتباره ناظراً لكنائس القاهرة ومصر القديمة يصلى فى كل منها فى أوقات معينة حتى يقتدى به الأراخنة... ففى احدى المرات كان يصلى فى كنيسة بابلون الدرج يوم رفاع أحد الأصوام. وبعد انتهاء القداس انصرف الناس، ولاحظ المعلم أن رجلاً صعد إلى تلٍّ عالٍ أمام الكنيسة فأرسل خادمه خلفه ليرى ماذا يفعل... فأخذ الرجل يبحث حتى وجد أوزة ميتة فشكر ربه وهم بالنزول. فاسرع الخادم وروى للمعلم إبراهيم ما رآه. فانتظر الرجل ريثما نزل وكأنه لا يعرف شيئاً عما حدث. واستفسر عن أحواله وعاتبه على عدم كشف حاله إليه. ثم قال له توجه بسلام. **وأرسل خادمه له بكل ما يلزمه. وسأله ألاّ يكتم عنه شيئاً إذا احتاج مرة أخرى.**

قصده فقير فى أحد الأيام وظل يلاحقه وهو داخل منزله وهو خارج منه وهو فى الطريق وهو فى الديوان وفى كل مرة كان يطلب منه صدقة على اسم المسيح. وكان من عادته إذا سمع هذه الجملة لا يخيب رجاء ناطقها. وفى كل مرة كان يعطيه. وفى كل مرة يكشف له عن شخصه ليعرفه انه هو الذى اخذ منه. وكأنه يمتحن صبره. **فأخذ منه فى ذلك اليوم ثمان عشرة مرة. وفى آخر الأمر قال له السائل: [طوباك يا جوهرى الرب معك] فقال له: [لماذا تعجب وانت تطلب منى مالاً**

مودعاً عندى . هل اتأخر عن السداد . ما أنا إلاّ أمين] .

وكانت زوجته فاضلة وتشجعه على عمل الخير ... جرّبه الله تجربة شديدة بوفاة وحيده يوسف وكان يستعد لزواجه (وكان قبله قد فقد ابنة له تدعى دميانة) ... وكانت التجربة شديدة حتى خرجت الزوجة عن اتزانها : [كيف تهتم بالكنائس والفقراء والأديرة والله لا يحفظ لنا وحيدنا لنتعزى به ونفرح كغيرنا ممن أعطاهم الله] .

وقيل ان الأنبا أنطونيوس أب الرهبان تراءى لها بشكل نورانى وعزّاها قائلاً : [ان الله أحب الولد ونقله إليه شاباً ، وأحب الوالد ، لأنه من ذا الذى يعرف مقاصد الله ، فربما افسد شهرة أبيه . فلا تفشلى فى عملكِ الذى كنتِ تعملينه من قبل] . وأمرها أن تعزى زوجها ... وكان المعلم من يوم انتقال ولده ينام فى مكان وزوجته فى مكان آخر . فنادت عليه وقصت رؤياها . فقال لها قد رأيتُ ما رأيتِ . وللحال بدّلا ثياب الحداد وتعزيا . وشاركته زوجته فى جميع أعماله وصدقاته ..

اشتهر المعلم إبراهيم بمحبته الشديدة لعمارة الكنائس واصلاح ما دمرته يد الظلم ، فكان يشترى الأملاك الكثيرة ويوقفها ليصرف ريعها على محلات العبادة . وبلغ عدد الحجج التى لهذه الأملاك الموقوفة ٢٣٨ حجة ...

ولا تكاد تخلو كنيسة من الكنائس القديمة بالقاهرة وبعض الأقاليم إلاّ وفيها أثر من آثار المعلم إبراهيم سواء وقف أو كتب منسوخة أو كراسى للكأس أو ستور .

وليس أدل على إيمانه بالصلاة وقوتها واقتدارها من خطاب بخط يده وامضائه وخاتمه محفوظ بدير السريان وقرأته بنفسى موجه إلى أمناء أديرة وادى النطرون ليرفعوا القداسات ويقيموا الصلوات لأن الحكومة استولت على أوقاف الكنائس والأديرة !!

أخيراً تنيح هذا الأرخن الفاضل سنة ١٧٩٦ وحزن عليه إبراهيم بك حزناً شديداً ووقف فى مكان بالقصر العينى ليشهد جنازته . ودفن وقبره موجود بكنيسة مار جرجس بمصر القديمة ...

حبيب فــرج :

نشأ فى أسرة رقيقة الحال ... **كان ولداً عنيداً كان غماً لوالده وهماً للتى ولدته . كرهه الجميع لأنه كان يُسىء معاملة الجميع . ولما كبر وأخذ الشهادة الأبتدائية كان يمثل حياة الشباب المستهترين . وكان من يرى حبيب هو فى هذا الحال يحكم بلا جدال انه أمام شيطان لا أمل فى توبته واصلاح حاله ...**

كان يفتقده خدام اجتماع الشباب بكنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا على غير جدوى ... ومن كثرة تردد الخدام عليه ، قال لأحدهم ذات مرة : [أنا سآتى هذه المرة لكن لو لم يعجبنى الحال سوف لا أذهب ولا أريد أحداً منكم يفتقدنى] .

ذهب إلى اجتماع الشبان وعملت نعمة الله فيه ... **وحال سماعه كلمة الله انسحق قلبه بالتوبة والندامة ... ومنذ ذلك الوقت أخذ حبيب يواظب على الكنيسة مواظبة المحب الشغوف الذى يود لو امكنه أن يتجرع الدين جرعة واحدة ... وقد زاده حباً فى الله رؤيا اعلنت له ابصر وكأنه بيد السيدة العذراء التى ارته مكاناً مخيفاً يتعذب فيه ساكنوه . فلما سألها عنهم قالت : [هم الأشرار] .** ثم ارته قصراً فخماً نورانياً عظيماً وقالت : **[هناك يتمتع الأ برار إلى أبد الآبدين] ... وارته فيه كرسياً بهياً من نور أشد لمعاناً من ضوء الشمس وقالت له : [انه كرسيك وهو محفوظ لك إذا اتبعت يسوع] ...** واستيقظ حبيب من حلمه وهو أشد اضطراماً نحو السماء ومجدها . وكثيراً ما سُمع يصلى من أجل وصوله إلى السماء ليجلس فوق كرسيه المعدّ .

كان حبيب اسماً على مسمى . كانت المحبة تشغل كل تفكيره **وتجلت محبته لله فى :**

عــبادته :

كان أميناً فى صلوات المزامير السبع فى مواعيدها . فى الصباح كان يصلى باكر والثالثة وبعد عودته من عمله وقبل الغذاء يصلى السادسة والتاسعة . وقبل خروجه من منزله بعد الظهر كان يصلى الغروب والنوم . وقبل أن ينام يتلذذ بصلاة نصف الليل ... **أما عن اصوامه فكان يقدس جميع أصوام الكنيسة إلى ساعة متأخرة جداً (غالباً إلى المساء) ...** ومع انه كان يجد اعتراضاً من والدته فى هذا الشأن ،

لكن ذلك لم يضعف من عزمه ... **وقيل انه كان له اصوام خاصة يفرضها على نفسه أيام الأفطار...** وفى أصوامه كان يأكل مرة واحدة كل أربع وعشرين ساعة. وكان يصوم صوم يونان الثلاثة أيام كلها انقطاعياً ... وصام فى إحدى المرات اسبوعاً كاملاً. وقد فكرّ فى أن يصوم الأربعين المقدسة دون أكل مطلقاً لولا أن انتهره أب اعترافه ... **كان محباً للكنيسة محباً لألحانها يرددها. وكان متمسكاً بتراثها ... وشهد عنه أب اعترافه كيف كان أميناً فى أعترافه وكيف كان يستعد للتناول من الأسرار المقدسة.** وكان يبكر فى المجىء إلى الكنيسة ويظل واقفاً فى آخر الكنيسة طيلة القداس ... وكان ضميره لا يساعده على ترك الكنيسة قبل نهاية الخدمة مما سيجرّ عليه تجربة سوف نتحدث عنها ... **أما خدمته فكان يحب الخدمة فى الأحياء الفقيرة بين البسطاء وأسس فروعاً فى الخدمة فى أماكن صعبة، كان ينهال عليه الصبية بالحجارة ومع ذلك كان دائماً فرحاً.** كما كان مواظباً على افتقاد من يخدمهم فرداً فرداً.

وإن كان حبيب قد أحب الله بقلب مضطرم، فقد أظهر الله محبته لصفيه. ونستطيع أن نلمس ذلك:

حصل حبيب على الشهادة الابتدائية فقط. وبعد أن ظل مدة خالياً بلا عمل. **قدم طلباً لوزارة الاشغال ورسم على الطلب بالحبر علامة الصليب.** وكان الأمر غريباً ومثيراً فاستدعاه رئيس العمل وناقشه إن كان جاداً فى طلب التوظف وكيف يرسم الصليب. فأجاب بشجاعة اعجبت محدثه ووعده بالمساعدة. وأمره أن يقدم طلبه فى اليوم التالى ... وفى الصباح ذهب إلى ذلك الرئيس وحيّاه تحية عجيبة [نهارك سعيد يا والدى]. وكأنه لا يدرى انه أمام واحد من العظماء!!... **حياه الرجل بكل عطف ولم يماطل وسلمه سريعاً وظيفة. ومن الغريب ان الوظيفة التى عُيّن بها كان يتمناها حملة البكالوريا فى ذلك الوقت.**

ونظراً لالتصاق حبيب بمحبة الكنيسة وعدم مغادرتها فى أيام الآحاد حتى تنتهى الخدمة ـ فإن ذلك كان يجعله يتأخر عن الموعد المصرح به وهو العاشرة صباحاً، خاصة فى أيام الصوم الكبير... ولما تأخر تأخيره رفع الأمر إلى رئيسه فاستحضره وكان يهدده. وفى ليلة اعتزم أن يؤذيه فأتاه مَنْ افزعه فى منامه بأن لا يمسّ حبيب بسوء. فنادى المدير حبيب فى الصباح وأظهر له منتهى العطف والحنان...

وفى إحدى المرات مرّ على صديق له كان يعانى من المرض وقرر الأطباء له اجراء عملية استئصال الزائدة الدودية. وبينما الأسرة فى همّ وغمّ، طلب إلى أفراد الأسرة أن يخرجوا من الحجرة. **وكان مع حبيب صديق فطلب إليه أن يصلى أما هو فوضع يده على موضع الألم وتركاه ومضيا بعد أن تمنيا له الشفاء. وفى اليوم الثالث كان صحيحاً معافى وعاد إلى عمله.**

طــهارتـه :

اشتاق حبيب إلى أن يعيش بتولاً طاهراً. أراد مرة أن يمضى للترهب بالدير المحرق وكان معه صديقه. لكن رئيس الدير رفض قبولهما إلاَّ بموافقة والدهما وأعطاهما بعض النقود أوصلتهما للمنيا. لكنهما كان يريدان أن يعودا إلى القاهرة وليس معهما نقود. قصدا أوتوبيس وسألا الكمسارى أن يأخذهما مجاناً فسخر منهما. صليا إلى الله فأرسل لهما صديقاً بسيارته حملهما معه إلى القاهرة... **عرض عليه والداه الزواج فأبى والحّ عليه والداه كثيراً. واحالا عليه أصدقاءه وبعض الكهنة ليقنعوه بالزواج فلم يقبل. انتهز أبوه فرصة وجود أحد الآباء الأساقفة ـ وهو المتنيح الأنبا باسيليوس أسقف الأقصر واسنا وأسوان ـ وكان قديساً ورعاً. فشكاه له. وأمام الحاح الوالد ودموعه عرض عليه الأب الأسقف الزواج فاطاع على شرط أن يعيش مع زوجته كأخت وأخ. فرح الجميع لموافقته واختاروا له إحدى الفتيات. ووزعوا المرطبات والحلوى. لكنه قال للحاضرين ما فهُم منه ان هذا الزواج لن يتم. ولم يمضِ أسبوع حتى توفيت العروس**. فخجل الجميع أن يفاتحوه فى هذا الشأن لأنهم ايقنوا انها إرادة الله.

عرف وقت نياحته واخبر كثيرين بذلك، وأوصى أخاه بطاعة والديه... وذهب إلى الترزى ليفصّل حلة فقال له: [إن شاء الله هذه حلة الزفاف]. فقال له: [إنها الحلة التى سينتقل فيها]. فنهره الواقفون أما هو فقال لهم بلهجة الواثق: [سوف ترون. وفى هذا الأسبوع]. وتم ذلك حرفياً... **بل قيل انه كتب بخط يده فى مفكرة الجيب يوم وساعة نياحته... قضى ساعات موته الأخيرة فى ترنيم وتسبيح وصلوات ودعاء واستغاثة واستشفاع بالقديسين، وظل هكذا حتى أسلم روحه الطاهرة... والعجيب أنهم لما غسّلوا جسده فإذا به مرسوم بصلبان واضحة... وكانت نياحته فى سنة ١٩٤١.**

صادق روفائيل :

ولد من أبوين مسيحيين بارين . **وكان له أحد عشر أخاً ماتوا جميعاً فى سن مبكرة ولم يبق إلاَّ هو.** ربياه تربية مسيحية تقوية ... ويبدو أنه كان مختاراً منذ طفولته . حدث وعمره أربع سنوات وفى ليلة أحد الأعياد ، أن جاءهم بعض الأقارب ومعهم خمر. وقدموا لأبيه ليشرب منها ، فما كان من الطفل صادق إلاَّ أن غمس قطعة لحم بقليل من الخمر وقدمها للكلب الذى فى منزلهم فرفضها الكلب بعد أن اشتم رائحتها . فصرخ الطفل صادق وقال لأبيه : [أيه يا بابا القرف اللى أنت حتشربه ... ده الكلب قرف من رائحته] . فقال له الحاضرون : [عيب يا ولد تقول لأبوك كده] . فرد أبوه عليهم : [صادق على حق] . ورفض أن يشرب الخمر، وشاركه الحاضرون ذلك .

ومن أبرز ما ورث عن والديه روح الصلاة والتأمل فى الكتاب المقدس. فكان يقرأ قليلا ويتأمل كثيراً، ويحيا عملياً فى آياته ...

أنتقل والده بعد مرض طويل اقعده فى الفراش ، كان صادق يصلى لأجل شفائه ، لكن الله سمح بانتقاله ، فبكى الشاب لأجله بألم وحزن شديدين **فسمع صوتاً** واضحاً جداً من السماء يقول له : [صادق صادق ... **اتحب أباك أكثر منى ؟!] .** وتكرّر هذا الصوت مرتين . وفى الحال شعر بسلام عميق . فكان بعدها يشكر الله على انتقال والده .

وما لبثت والدته ان انتقلت من العالم . وكانت آخر وصية له أن يعتنى بزوجة اخيه المتوفى وإلاَّ يتركها حيث كانت تعلم برغبته فى الذهاب إلى الدير للرهبنة . **وقد** أطاع وصية أمه وعاش فى العالم يعتنى بزوجة أخيه المتوفى ومعها ابنتها ... **عاش كراهب فى العالم ... عاش فى بتولية الفكر والقلب والجسد. حاولت عائلته تزويجه بطرق عديدة ، أما هو فكان واثقاً من أن الله الذى يعرف اشتياقات قلبه لا بد وأن يظهر إرادته بوضوح ...** توجه أحد أقاربه إلى إحدى العائلات الطيبة ليخطب ابنتهم لصادق . **وفى نفس الليلة ظهرت رؤيا للفتاة ...** رأت المسيح له المجد بملابس بيضاء وفى يده ورقة مكتوب عليها بالذهب : [صادق روفائيل] ... **ولما همّت** الفتاة أن تأخذ هذه الورقة من يد المسيح ، وجدته يبعد الورقة عن يدها **ويقول لها :** [لا ... **صادق هذا إناء مختار لى] ... وعلم الجميع بهذه الرؤيا وخضع الجميع**

لإرادة الله. ولم يعد أحد يفاتحه بعدها فى أمر الزواج.

وفى الوظيفة عاش مثالاً للموظف المسيحى الحقيقى الذى يحيا كنور للعالم وملحاً للأرض. عرفت عنه الأمانة الكاملة والصدق فى القول والتمسك بالحق... ومن المعروف عنه انه لم يأخذ يوماً واحداً أجازة طوال مدة خدمته حتى احالته على المعاش.

كان يؤمن بعمل الروح القدس فيه وانه يعلمه كل شيء حسب كلام المسيح. ولذا كان بنعمة الله يدرك الكثير من المعارف والعلوم. وإن كان قد حصل على ليسانس الحقوق باللغة الفرنسية أثناء وظيفته واتقن أربع لغات كان يتكلم بها بطلاقة. وعاون فى أحيان كثيرة فى اعداد رسائل ماجستير ودكتوراه فى علوم مختلفة لبعض أولاده فى الرب... **لكنه كان يعتبر كل ذلك نفاية. وكانت الشهادة الكبرى هى امتلائه من الروح القدس...** وكانت آخر وظيفة شغلها « مدير مكتب مدير عام مصلحة المساحة » حكى عنه انه ذات يوم أتاه شقيق وكيل وزارة الأشغال وكان مديره السابق. وقال له: [إن شقيقه يشكر فيه ويمتدح أمانته له]... فأجابه: [أنا مش أمين لشقيقك]... تعجب ذلك الشخص من هذه الإجابة واستطرد: [كيف إذن أخى يشكر فيك]. أجابه: [إن امانتى لشقيقك بطريق غير مباشر. اعنى ان امانتى هى لله الذى اعبده ومنها إلى شقيقك بطريق غير مباشر]. فتعجب السامع جداً ومجّد الله.

حبا الله هذا الإنسان بمواهب متعددة حسب غناه فى العطاء والمجد، فكان يرى ملاكه الحارس كنور شديد ملاصق له فى بعض الأحيان... كما شاهد العذراء عدة مرات، وكذا كثيراً من القديسين. وكانت حياته مليئة بالاعلانات السماوية. كما أيده الروح القدس بمواهب متعددة كموهبة شفاء الأمراض واخراج الشياطين، وكلام الإيمان والحكمة الذى يتكلم به بإرشاد الروح القدس بقوة وافراز. وكان من يستمع إليه يشعر بمتعة خاصة...

وبعد احالته إلى المعاش انتقل إلى الاسكندرية ليقيم فيها وكان ذلك فى منتصف سنة ١٩٦٠. وكان بركة لكثيرين بهذه المدينة. وتتلمذ له كثيرون وكانوا يدعونه « بابا صادق ».

كان تمتّعه بصلاة القداس الإلهى عجيباً . وكان يحسّ ويعلم أنها دعامة حياة المسيحى الروحية : وكان يقول أن سبب تعزيته فى شركة القداس لا تكمن فى سماعه بالأذن بل حياته بالمسيح فيه فى كل دقائقه . ففى القداس كان يفيض بحرارة الروح القدس الملتهبة بنظره المحدق دائماً فى الذبيحة الإلهية غير الدموية جسد الرب ودمه الأقدسين ... **وكان حينما يتناول كان وجهه يشرق ويطفح فرحاً .**

وكان يعانى من مرض متعب ولكنه كان لا يشكو ... كتب تأملاته فى أثناء مرضه يقول فيها : [اشكرك يا إلهى ومخلصى لأنك جعلتنى بروحك القدوس ادرك واشعر بأن مرض جسدى وتعبه هو علاج لأمراض روحى ، إذ اهتم بالباقى دون الفانى ، والروح دون الجسد ، فانحصر فى مواعيدك الروحية بروحك القدوس ...] .

خلف صادق ثروة من التأملات مكتوبة ومسجلة على أشرطة ... دخل مرة الهيكل وهو منفعل ببكاء شديد . فلما سأله عن سبب ذلك قال له : [إن اختى فى المنزل متألمة من أجل فقدها مبلغ خمسة جنيهات . ونحن يُسرق منا ملكوت الله كل حين بعدم تقديرنا بحب المسيح وامانتنا له ، ولا نهتم بذلك] ...

أخيراً تنيح هذا الأخ المبارك فى يوم الخميس ٦ نوفمبر سنة ١٩٦٩ (٢٧ بابة سنة ١٦٨٦ ش) عن ٦٩ عاماً وكان طوال الأسبوع الأخير من حياته على الأرض كان يعبرّ لمن حوله انه سينطلق من العالم . وظهر أثناء تشييع جنازته رائحة بخور قوية تتصاعد من جسده اشتمها الجميع . ومنزله بالاسكندرية الذى كان يعيش فيه مازال تفوح منه رائحة بخور ذكية كما أن ملابسه التى كان يلبسها مازالت حتى الآن تعطى نفس الرائحة ...

كان لى طالب فى القسم الليلى فى الكلية الاكليريكة بالقاهرة وكان قريباً بالجسد للأخ صادق وروى لى بنفسه انه عاش حياة مستهترة جداً كشاب ارتكب جميع الخطايا ... وكانت أمه كثيراً ما تنصحه أن يذهب ليجلس مع الأخ صادق ولكنه لم يفعل ... **وحضر جنازته ووقف أمام جسده وقال فى نفسه : [يارب كل الناس بيقولوا عن هذا الرجل انه قديس . فإذا كان قديس بالحقيقة أعطنى أن أتوب عن كل خطية وكل شر] ... وخرج من الجنازة - باعترافه - إنساناً جديداً . حتى التدخين الذى كان مستعبداً له اقلع عنه .**

والدة الأنبا مقار الشبراوى البطريرك الـ ٥٩ (٩٣٢ - ٩٥٣) :

كان هذا الأب البطريرك من قرية شبرا قبالة مركز قويسنا ... **ومن القصص الجميلة التى تتعلق بأمه ، انه فى إحدى جولاته الرعوية عرج على بلدته ليرى أمه وكانت قد شاخت ... وصل القرية وبصحبته بعض الأساقفة والأراخنة . وطيّر الناس خبر قدوم البطريرك إلى أمه وكانت جالسة تغزل فى بيتها ... لكنها لم تحرك ساكناً . وبقيت كما هى فى شغلها تبكى بكاءً عظيماً ... ولما دخل البيت لم تنهض للقائه بل ظلت تبكى وهو قائم أمامها حتى خجل أمام الحاضرين ... ظن أنها لم تعرفه انه ولدها . لكنها قالت له : [أنا عارفة بك يا ولدى . وأما أنت فما تعرف ما صرتَ إليه . أنت مسرور بما نلته ، أما أنا فحزينة عليك . كنت أتمنى لو اتونى بك ميتاً محمولاً على نعش ، ولا تدخل علىَّ بهذا المجد الفارغ . لا تنظر يا ولدى إلى ما نلته وتفرح . بل ابكِ واحزن لأن هذا الشعب كله الذى يمجدك أنت مطالب بخطاياهم]** ... أى أم هذه ... وكم هى بليغة هذه الكلمات وتعبرّ عن الوَعْى الروحى الذى كانت عليه مثل هذه الأم التى كانت ولا شك أمية بحسب مقاييس العالم !!

البـــارة مونيـــكا :

ولدت سنة ٣٣٢ فى قرية تاغستا (سوق الأخرس الآن) بشمالى أفريقيا ، وتربت تربية مسيحية صادقة ... **كانت تصلى وهى طفلة بتأمل . كانت تناجى يسوع الذى يحب الأطفال** ... كانت تترك رفيقاتها أحياناً وتترك لعبها وتختفى وراء شجرة تركع وتصلى ... وكلما كانت تكبر كانت تتفتح فى قلبها رياحين المسيحية ... كان جمالها بارعاً وقامتها فارعة وعقلها سديداً وحكمتها عظيمة ونفسها كبيرة وعاطفتها قوية ...

تزوجت من رجل وثنى شرير يدعى بتريشيوس كان يشغل وظيفة كبيرة فى البلدة ، فخُدع أهلها به ... كانت امه حسودة شريرة ، كما كان الخدم أشراراً ... **لكنها ايقنت - بعد زواجها - ان الله يريدها أن تحمل الصليب . فلم تتذمر لشرور زوجها وحماتها . كانت تظهر لهما جمال المسيحية ووداعتها . فكانت تقابل ثورات غضب زوجها بالحلم والسكوت والصبر ... وحينما كان يهدأ كانت تشكو إليه برقة وحنان ما نالها من غضبه ، فكان يلوم نفسه ، ويعد باصلاح ذاته ، لكنه كان يعود إلى سيرته الأولى ...**

رزقت بثلاثة أولاد كان أكبرهم اغسطينوس ، فكانوا نعيمها وموضع عنايتها ، وكانت تتعزى بهم عن حماقة زوجها وشراسته ...

أهم ما تتصف به هذه القديسة البارة هو إيمانها بقوة الصلاة ... لقد تم فيها قول الآباء : [طوبى لمن يقف على باب الصلاة] **!! بهذه الصلوات الحارة الخارجة من قلبها المفعم بالإيمان ، كسبت كلاً من زوجها الشرير وابنها الذى انحرف شأن شباب عصره** ... لقد وضعت فى قلبها انه لا بد أن تربح نفس زوجها ... وكان إيمانها وطيداً حتى انها كانت ترشد المعذبات مثلها أن الصلاة هى مفتاح الفرج ... **كانت الثمرة الأولى لصلاتها هى إيمان زوجها الوثنى** . ففرحت لذلك جداً ونسيت آلامها . **لكنه ما لبث أن مرض ومات ... وترملت فى شبابها .**

وبعد وفاة زوجها تفرغت لأولادها ولخدمة القريب وأعمال العبادة . فكانت كل يوم تذهب للكنيسة ووهبها الله نعمة الدموع حتى اشتهرت بين قديسى الكنيسة بهذه الفضيلة ... وكانت تخصص أوقاتاً طويلة لزيارة المرضى وخدمتهم ، وخدمة الفقراء ، وتعزية الأرامل ، **وتقوية قلوب الزوجات المتزوجات بأزواج أشرار، والأمهات اللائى لهن أولاداً شاردين ...**

وما أن وصل ابنها اغسطينوس إلى سن الشباب حتى انحرف انحرافاً خطيراً ، ووصل الأمر به أن كان له خليلات عشيقات وابن غيرشرعى **!! كان كلامها ونصائحها له غير مجدية على الاطلاق** يقول أغسطينوس بعد توبته فى مناجاة لله : **[أمى التقية قد تكلمت . وصوتها على ما أرى ، كان صدى صوتك . فإنها كانت تلحّ علىَّ بشدة لاعتزل الغوانى وكل أنواع الفجور. وأما أنا فما كنت أعيرها أذناً صاغية ، ولا اكترث بأقوالها ، لأنها أقوال امرأة ، بينما هى صادرة من لدنك . فكان امتهانى لها امتهاناً لك . وعدم اعتبارى لها ، عدم اعتبار لأقوالك] . فوضعت كل ثقلها فى الدموع والصلاة والصوم لكى يعيد الله ابنها** يقول اغسطينوس : **[باتت أمى تبكى علىَّ بكاء ، فاق بكاء الأمهات على فقد أولادهن بالموت الجسدى ... وانت يا مولاى قد استمعت لها ، ولم تزل تلك الدموع التى كانت تذرفها فى صلواتها بين يديك ، حتى كانت تبلل وجه الأرض من مدامعها] . أخذت تركض وراءه ـ وهو الابن الضال ـ من بلد إلى بلد ، وتسأله بدون تذمر أو يأس ... وبقيت على هذه الحال عشرين سنة .**

توسلت فى إحدى المرات إلى أسقف الكنيسة أن يتناقش مع ابنها ليرده إلى صوابه ، ولكنه اعتذر لأنه كان يدرك انه لا جدوى من النقاش مع إنسان يعتز بعقله وذكائه وله أسلوب فى المراوغة ... وطلب إليها الأسقف أن تصلى ... لكنها الحت على ذلك الكاهن أكثر فرد عليها بعبارة مشهورة : **[إذهبى فى طريقكِ ، والرب يباركك فلا يمكن أن يهلك ابن هذه الدموع] .**

تركها ابنها اغسطينوس إلى روما حيث الشهرة . وكانت الأم تبكى وتبكى وتتوسل إلى ولدها لكى يبقى إلى جوارها ، ليس من أجل راحتها وحنانها وشوقها إليه ، إنما كانت دموعها من أجل بعده عن الله ، لأنه لم يكن قد نال نعمة العماد بعد ... ولم تكن هناك بارقة أمل فى توبته .

أخيراً بعد هذه السنوات الطويلة - عشرين سنة - اتت نصيحة الأسقف ثمارها . وانبتت دموع الأم غرساً مباركاً ... **تاب اغسطينوس وحق ان يدعى [ابن الدموع] كما يسمونه . وصارت له أمه مونيكا أماً بالجسد وأماً بالروح ، فقد تمخضت به وولدته إنساناً للعالم ، وناحت عليه حتى ولدته إبناً للمسيح والكنيسة** ... و يتذكر اغسطينوس بعد توبته ومعرفته لله أمه ودموعها السخينة فيقول فى مناجاته لله : [أمى -عبدتك الأمينة يا إلهى- تبكى إليك من أجلى أكثر مما تبكى الأمهات أمام جثث أولادهن المائتين] !!... و يقول أيضاً : [خادمتك -عبدتك- التى حملتنى فى الجسد لأ ولد للنور الزمنى ، وحملتنى فى القلب لأ ولد للنور الأ بدى . أمى التى أنا أؤمن أن كل ما يفيض فىَّ من حياة يرجع إليها . إلى الدموع الأمينة ، إلى الدموع الدائمة ، إلى دموع أمى وُهِبْتُ حتى لا أهلك] !! و يقول : [ما أغزر مراحمك ، لأنك مع اهتمامك بنا جميعاً ، تبذل من العناية بأمر واحد منا ، كأنه الوحيد موضع عنايتك واهتمامك ومن ثم كنت تصغى إلى توسلات أمى] !!

سافرت إلى ميلانو بايطاليا وحضرت عماد ابنها اغسطينوس على يد اسقفها العظيم امبروسيوس مرشده الروحى وكانت فرحتها لا توصف ... وارتفع قلبها إلى عرش الله مع من كانوا يسبحون قائلين : «نسبحك ونباركك يا الله . بالحقيقة نعترف أنك ربنا . الأرض وملؤها تسجد لك أيها الآب الازلى . أنت الذى يقف أمامك الملائكة والرئاسات والسلاطين والقوات . أنت الذى يسجد أمامك الشاروبيم والسيرافيم يمجدونك على الدوام صارخين بغير سكوت قائلين قدوس

قدوس قدوس » .

بعد عماد اغسطينوس عاد إلى أفريقيا ، فرافقته أمه مونيكا فى السفينة وكانت تقول له : [يا بُنَيّ إن بقائى على الأرض اضحى فضولياً ، ولا أدرى لماذا لا أزال حيّة . لأنه لم يبقَ لى شهوة أطمع فيها . فلقد تحققت رغباتى كلها] .

وبعد خمسة أيام من هذا الكلام مرضت مرضها الأخير الذى عبر بها إلى الأبدية . وقالت لابنها : [ادفنى أينما شئت . أسألك فقط أن تذكرنى دائماً أمام هيكل الله أينما كنت وحيثما اتجهت] .

وفارقت روحها جسدها وانطلقت إلى المسيح الذى احبته وهى تصلى وتتشفع بالعذراء الطاهرة والقديسين سنة ٣٨٧ ، ولها من العمر ست وخمسين سنة !! ...
وقال عنها اغسطينوس : [لقد اعتنت بنا كما لو كانت أماً لنا جميعاً ، وأيضاً خدمتنا كما لو كانت ابنة لنا جميعاً] .

باقة من التائبين والتائبات

- ما هى التوبة - كمال التوبة - الدعوة للتوبة - امكانية التوبة - نظرة الآباء للتوبة .

- نماذج من التائبين والتائبات :
  - أنبا موسى الأسود
  - يوليانوس التائب
  - اغسطينوس
  - بيلاجية
  - مريم المصرية
  - بائيسة

خلق الله الإنسان طاهراً قديساً ، على صورته ومثاله . لكنه بعصيانه للخالق وسقوطه فى الخطية ، تغيرت طبيعته وسقط من رتبته ، وفقد أشياء كثيرة ... فقد الفردوس الذى كان يتنعّم فيه بوجوده فى حضرة الله ، وفقد سلامه وفرحه وسلطانه كتاج للخليقة ... فقد أشياء كثيرة لا تقدر قيمتها ولا يُقيِّم ثمنها . وبقيت الخطية لاصقة به بآثارها ، يتلوّى من أشواكها ، ويعانى من مرّ مذاقها ، ويسرى فى جسده زعاف سمها ... نقض بيده خيمة مسكنه فعصفت به رياح الشهوات ، وتعرّى بإرادته من ثوب البرّ ، فعانى من برودة الإثم ، ونأى بنفسه عن شمس البرّ ، فلم يستدفىء بحرارتها ، أو تكتحل عيناه برؤية نورها وضيائها ...

والخطية التى نستخف بها ـ حتى ما بدا منها تافهاً هى عصيان ضد الله وهى تعدٍّ عليه «كل من يفعل الخطية يفعل التعدى أيضاً. والخطية هى التعدّى» (١يو ٣ : ٤) . **هى ضلال واحتقار لمحبة الله ... وهى انفصال عن الله ، ومن ثم فهى الموت بعينه** «ابنى هذا كان ميتاً فعاش» (لو ١٥ : ٢٤) ... « وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا » (أف ٢ : ١) .

ما هى التوبة ؟

+ ما دامت الخطية هى انفصال عن الله ، **فالتوبة إذاً هى رجوع إلى الله ...**

يقول الرب بلسان ملاخى النبى : « إرجعوا إلىَّ أرجع إليكم » (ملا ٣ : ٧) ... والابن الضال حينما تاب رجع إلى أبيه (لو ١٥) ... **التوبة إذاً هى حنين الإنسان إلى أصله ومصدره الذى أخذ منه ، واشتياق قلب ابتعد عن الله ، وشعر انه لا يستطيع أن يبعد أكثر أو يستمر فى البعد ...**

+ وإن كانت الخطية هى خصومة مع الله ، فتكون **التوبة صلحاً مع الله ...** « إذاً نسعى كسفراء عن المسيح ، كأن الله يعظ بنا . **نطلب عن المسيح : تصالحوا مع الله »** (٢كو ٥ : ٢٠) ... **وعندما يصطلح الإنسان مع الله ، يعود الله ويسكن قلب هذا الإنسان. لكن بالنسبة للخطاة ، فكيف يسكن الله قلوبهم التى هى وكر للخطية ، لأنه «أية شركة للنور مع الظلمة »** (٢كو ٦ : ١٤) .

+ **والتوبة هى صحوة روحية .** فالإنسان الخاطىء فى حالة سُبات روحى ،

لذلك لمثله يقول الرسول بولس : « **انها الآن ساعة لنستيقظ من النوم. فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا** » (رو ١٣ : ١١). ولهذا السبب فإن التوبة هى رجوع الإنسان إلى نفسه كما قيل عن الابن الضال (لو ١٥ : ١٧).

+ **وإذا كانت الخطية موتاً روحياً ، فالتوبة هى انتقال من الموت إلى الحياة ،** وبحسب تعبير يوحنا الرسول : « **اننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة** » (١ يو ٣ : ١٤) ... وفى ذلك يقول الرسول بولس : « استيقظ أيها النائم ، **وقم من الأموات** فيضىء لك المسيح » (أف ٥ : ١٤) ... ويقول يعقوب الرسول فى نفس المعنى : « من ردَّ خاطئاً عن طريق ضلاله ، **يخلّص نفساً من الموت** ويستر كثرة من الخطايا » (يع ٥ : ٢٠).

+ **والتوبة هى تحرر من عبودية الخطية وسلطان إبليس « كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية** ... فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون احراراً » (يو ٨ : ٣٤ : ٣٦) ...

+ **والتوبة هى عودة إلى محبة الله ، وليس مجرد امتناع عن الخطية** ... فقد يمتنع الإنسان عن الخطية خوفاً أو خجلاً أو عجزاً ، ولا يدل هذا الامتناع عن محبته لله « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى » (يو ١٤ : ١٥) ...

+ **والتوبة تجديد للذهن ... إن تجديد الطبيعة ـ طبيعة الإنسان ـ يكون فى المعمودية ، أما تجديد الذهن فإنه يكون بالتوبة « تغيّروا عن شكلكم بتجديد** أذهانكم ، لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة » (رو ١٢ : ٢) ... وبالجملة ، **فإن التوبة ـ لمفعولها الكامل ـ دعيت معمودية ثانية ...**

كمــال التــوبة :

إن كمال التوبة ليس هو فى عدم اتمام الخطية ، بل فى تركها بالقلب والفكر ، ثم كراهيتها **والتنافر معها والاشمئزاز منها ، على نحو ما يقول الرسول : « كونوا كارهين الشر** » (رو ١٢ : ٩) ... **وكمال التوبة بطبيعة الحال لا يأتى دفعة واحدة ، بل يأتى بتدرج** ... البداية **هى الرغبة فى التوبة ، ثم تركها بالقلب والفكر** ، ثم كراهية **الخطية ... وعلى العموم فإن التوبة ليست مرحلة يجتازها** الإنسان بل هى الحياة كلها ... خصوصاً وان الله من حنوه لا يكشف للإنسان

خطاياه وضعفاته كلها دفعة واحدة، حتى لا يقع فى صغر النفس ...

الدعـــوة للتـــوبة :

لب رسالة المسيحية هى التوبة، باعتبارها لازمة لخلاصنا ... هكذا كان **يوحنا المعمدان** ينادى: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (مت ٣ : ٢) ... وإذا كان يوحنا المعمدان جاء سابقاً للمسيح يهىء الطريق أمامه، **فإن الاعداد لقبول الفداء والمخلّص هو بالتوبة ... والسيد المسيح نفسه نادى فى الناس بالتوبة** «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز قائلاً **توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات**» (مت ٤ : ١٧) ... «قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، **فتوبوا وآمنوا بالإنجيل**» (مر ١ : ١٥) ... **ورسل المسيح كانت رسالتهم الكرازة بالتوبة** فلقد «خرجوا يكرزون **أن يتوبوا**» (مر ٦ : ١٢) ... وقال بولس الرسول لفلاسفة أثينا : «**الله الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان أن يتوبوا** متغاضياً عن أزمنة الجهل» (أع ١٧ : ٣٠) ...

قال **القديس الأنبا أنطونيوس : [اطلب التوبة فى كل لحظة]** ... وقال **القديس باسيليوس الكبير: [جيد ألاّ تخطىء. وإن أخطأت فجيد ألاّ تؤخر التوبة. وان تبت فجيد ألاّ تعود إلى الخطية. وإن لم تعد فجيد أن تعرف أن هذا بمعونة الله. وإن عرفت فجيد أن تشكره على ما أنت فيه].**

هل التوبة ممكنة لكل إنسان ؟

نعم، وبكل تأكيد ... فالله يدعو الإنسان إلى التوبة ... «**وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة**» (٢بط ٣ : ٩) ... «إنه لم يأتِ ليدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة. وهو يريد أن **جميع الناس** يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون» (١تى ٢ : ٤) ... **لكن لنحذر اليأس.** إنه امضى اسلحة الشيطان وأكثرها فعالية ... إن اخطأنا فلنتُب. وطالما أن الله يريد توبتنا فلِمَ نيأس. **يقول مار إسحق: [ليس شيئاً محبوباً لدى الله، وسريعاً فى استجابته، مثل إنسان يطلب من أجل زلاته وغفرانها]. إن راودت الإنسان أفكار اليأس ـ سواء من جهة امكانية التوبة أو قبولها ـ فليتذكر قول ميخا النبى: «لا تشمتى بى يا عدوّتى، فإنى إن سقطت أقوم»** (مى ٧ : ٨) ... **ولنعلم أن اليأس من التوبة، هو أكثر**

خطورة من السقوط فى الخطية ...

لقد استخدم الشيطان سلاح اليأس فى محاربة الأنبياء والقديسين ... وعلى سبيل المثال داود فى سقطته قال : « **كثيرون يقولون لنفسى لا خلاص بإلهه** » ... ولكنه يرد بعدها مباشرة و يقول : « أنت يارب أنت هو ناصرى مجدى ورافع رأسى » (مز ٣) .

لنتذكر أننا بدون المسيح لا نقدر أن نفعل شيئاً « **بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً** » (يو ١٥ : ٥) . حتى التوبة نفسها فإن الله هو الذى يعين فيها « **توبنى يارب فأتوب** » (إرميا ٣١ : ١٨) ... ولنتأكد أن الله هو الذى يهب القوة على التوبة لأنه هو الذى **يحلّ المقيدين ويقيم الساقطين** (مز ١٤٥) لنضع رجاءنا فى إلهنا الذى يقول : « **من يقبل إلىَّ لا أخرجه خارجاً** » (يو ٦ : ٣٧) ... الذى « **لم يصنع معنا حسب خطايانا ، ولم يجازنا حسب آثامنا ... كبُعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا . لأنه يعرف جبلتنا ويذكر أننا تراب نحن** » (مز ١٠٣) ... إن الرجاء هو من فضائل المسيحية الكبرى الثلاث (١ كو ١٣ : ١٣) ... ومهما كانت خطايا الإنسان بشعة فالله يغفرها لأن « **كل خطية وكل تجديف يغفر للناس** » (مت ١٢ : ٣١) ... وطالما الإنسان مازال فى الجسد فليتب حتى لو كان قد تأخر فى التوبة ، فكما نصلى فى صلاة النوم « **توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة** » .

كيف نظر الآباء إلى التوبة ؟

نورد هنا نموذجين من أقوال اثنين من الآباء النساك فى التوبة هما مار افرام السريانى و يوحنا سابا المعروف باسم الشيخ الروحانى :

مار افرام السريانى :

[تعالوا يا أحبائى ، هلموا يا آبائى واخوتى . يا رعية الآب المختارة ، يا جند المسيح المرسومين تعالوا اسمعوا قولاً يخلّص نفوسكم ... هلّم نبتاع خلاصاً لأنفسنا . **املأوا عيونكم دموعاً ، فللوقت تنفتح أعين ذهنكم** . تعالوا جميعاً : أغنياء وفقراء ، رؤساء ومرؤوسين ، شيوخاً وشباباً ، بنين وبنات ... **كل من يريد أن ينجو من العذاب الدهرى ، ويرث الملك الأبدى** ...

لنتضرع مع داود النبى قائلين : « اكشف عن عينى فاتأمل عجائب من شريعتك » ، « أنر عينى لئلا أنام إلى الوفاة » ، ولنهتف كما هتف الأعمى : « يا ابن الله ارحمنى « . فإن منعنا قوم وانتهرونا حتى نصمت ، فلنصرخ نحن أكثر ولا نضجر من الصراخ ، **إلى أن يفتح يسوع المعطى النور، اعين قلوبنا.** تقدموا إلى المسيح ، اقتربوا منه واستضيئوا فلا تخزى وجوهكم ...

لنتب يا اخوتى مادام لنا وقت . فقد سمعتم قول المسيح انه يصير فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب . أيها الخاطىء لِمَ تتوانى . لِمَ تيأس ان كان يصير فرح فى السماء إذا تبت . فممن تخاف ؟ إن الملائكة يُسرّون وأنت تتوانى ! سيد الملائكة هو الكارز بالتوبة وأنت تهرب ! الثالوث الطاهر المسجود له يستدعيك وأنت تتنهّد !

فى تلك الساعة كل أحد ينال حسب عمله . كل واحد يحمل حمله . وكل واحد يحصد ما زرع . كلنا نقف عراة قدام عرش المسيح ، وكل يجب عن نفسه ... فى تلك الساعة لا يستطيع أحد أن يغيث أحداً . لا أخ أخاه ، ولا والدون أبناءهم ، ولا أولاد آباءهم ، ولا أصدقاء خلانهم ، ولا رجل قرينته .

لِمَ لا نستعد ولدينا وقت ، لِمَ نتهاون بالكتب المقدسة وبكلمات المسيح ؟ أو تظنون أن أقواله وأقوال قديسيه لا تديننا فى ذلك اليوم إن لم نحفظها ونعمل بها ؟

طوبى لمن يعطشون ويجوعون فإنهم هناك سيشبعون . وويل للشباعى فإنهم هناك يجوعون و يعطشون . طوبى لمن افتقروا وبكوا فإنهم هناك يضحكون و يُعزّون . وويل للذين يضحكون الآن فإنهم هناك سينوحون و يبكون بلا فتور... طوبى للذين رَحموا فإنهم هناك سيرحمون ...

الذى انحدر من حضن الآب وصار لنا طريقاً للخلاص يعلمنا التوبة بصوته الإلهى قائلاً : «ما جئت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة »» ، وأيضاً «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى ». فإن كنت أنا الذى أقول هذه الأقوال فلا تسمعنى اطلاقاً. وان كان الرب نفسه هو المتكلم فلا تتهاون بحياتك متوانياً عنها !... أيها الخاطىء تقدّم وابرأ بسهولة. اطرح عنكَ ثقل الخطايا. قدّم

تضرعاً. ضع على قيح جراحاتك دموعاً. لأن هذا الطبيب السماوى الصالح يشفى الجراحات بالدموع والتنهد ...].

ماريوحنا سابا (الشيخ الروحانى):

أيتها الرحمة الفائقة ما أوفرك! **يا من اعطيت لنا نحن الموتى بالخطايا رحماً مقدساً الذى هو التوبة، يلد بنين جدداً من عقاء، أطهاراً من أنجاس، منيرين من مظلمين.** من لا يعجب من رحمتك يا ربنا، ومن لا يعترف لنعمتك، **يا من أتيت إلى الميلاد لتلدنا من بطن التوبة على شبهك** كشبه مريم والدتك. السبح لك يا أبا الكل. يا من اعطيتنا أماً جديدة بالميلاد الجديد وإن كنا بصبوتنا قد تنجسنا بكل نتن، لكنها تجلى وتطهر وتحسن، وتغطى تحت اطرافها مثل المربية، أولئك الذين ولدوا منها حتى يصلوا إلى عندك محبوبين وأحباء..

كما أن آدم الجسدانى من حواء يولد له بنون بشبهه لعالمه الجسدانى، كذلك المسيح أبو العالم الروحانى، من المعمودية والتوبة. يولد له بنون بشبهه للعالم الروحانى. كما ينادى لهم رأس حياتهم: توبوا فقد اقترب منكم ملكوت السموات. **فكيف نجدها (التوبة) إن كانت قريبة؟! يا أبانا ارنا إياها ... انها على الباب اللطيف الضيق، وكل من يصبر لصعوبته المظلمة ويخرج منه يلقى لوقته ملكوت النور ويتنعم.** وذلك الباب الذى لمدخل الحياة، فإنه فى أى بلد يوجد داخلكم، وبابها هذا هو التوبة ...

التوبة هى أم الحياة، وطوبى لمن يولد منها، فإنه لا يموت وكما ينادى المسيح لخواصه بالتوبة، كذلك يبعد الشيطان الناس عن سماع هذا النداء، وبالمكر واللهو يغطى قلوبهم. التوبة هى ترياق لأوجاع الخطية القاتلة، وعذاب عظيم للشيطان مضادها. انها تخلّص وتعتق المسبيين الذين سبوا بشرّه. واتعابه التى تعبها فى سنين كثيرة، تضيعها التوبة فى ساعة واحدة.

إنها التوبة التى تجعل الزناة بتولين ... انها من الماخور إلى البرية تجتذب لعمل الملائكة (الرهبنة). والمضيئون الذين احتقروها تركتهم فنزلوا إلى الجحيم السفلى. هى تدخل مخادع الزانيات، وتجتذب الزناة وتلدهم من حضنها بتولين للمسيح ... هى تقلع الشجرة التى أثمارها سم الموت، وتغرس شجرة الحياة

بفردوسنا ... انها تفتقد الأموات وكل من ابتلعه الموت ودنا من احضانها شقّت الموت واخرجته من جوفه ... هى نار تحرق الزوان، ومياه تربى الزروع المقدسة ... هى شفيعة المسبيين. فإذا تقدموا وسألوها تنهض لحمايتهم ... **فمن ذا الذى لا يحبك أيتها التوبة يا حاملة جميع التطويبات إلاّ الشيطان !!** لأنكِ غنمت غناه، واضعفتِ قناياه، وجعلته فارغاً من الإرث الذى سباه ... !! ذاك هو مبغضكِ بالحق لأنكِ دائماً تقاومينه. فما من إنسان وقع بين يديه ولَحَقْتِه، وصار فريسة لغذائه. وما من إنسان دعاك وهو بين اسنانه، إلاّ وتكسرين أسنانه وتخلصينه... وما من إنسان اصطاده وأنتِ بعيدة ودعاكِ، إلاّ وبسرعة لحقتِ به وخلصتيه. **من أجل هذا هو (الشيطان) يبغضكِ لأنك بالأكثر ابغضته ...**

ليس من تمسّك برجائكِ ونزل إلى الجحيم، ولا من صعد إلى السماء بدونكِ. من يرى الله بغيركِ ؟! من تمسّك برجائكِ ووقع فى يد الشيطان ؟! من تطهرّ ولم تكونى أنتِ التى غسلتهِ؟ من الذى سقى زرعه من مطركِ ولم يحصد منه ثمار الفرح؟ ومن صبغ وجهه كل ساعة بقطراتكِ ولم يبصر الله فى قلبه؟ من اتخذكِ شفيعة ولم تفتحى أمامه أبواب خزائن الله؟ أنت خلصتِ داود من الخطية ... صدر الحكم على أهل نينوى بالهلاك، ولكنكِ تجبرتِ وقمتِ وخلصتيهم !!

مباركة أنت أيتها التوبة يا أم الغفران. يا من أعطانا إياكِ الآب المملوء رحمة. لا يرد طلبك إذا ما طلبت إليه، لأنه اعطاكِ أن تكونى شفيعة فى الخطاة. لا يغلق بابه إن سألتهِ. لقد سلّم لك مفاتيح الملكوت !!

نماذج من التائبين والتائبات

التوبة بمفاعيلها التى اشرنا إليها تجعل من الخطاة أبراراً ، ومن الساقطين قديسين نقتدى بهم ونتشفع بهم أيضاً ... **ونأتى الآن على ذكر بعض التائبين والتائبات :**

الأنبا موسى الأسود :

يكاد لا يُعرف شيء عن ماضى هذا الرجل قبل توبته غير أنه كان أسود اللون ، و يبدو أنه كان من قبيلة من قبائل البربر... **وكانت حياته سوداء كلون جسمه ، حتى انه يقال انه لا توجد رذيلة لم يكملها ... أما عن موعد ميلاده فهو بين سنة ٣٣٠ ، ٣٤٠ م** ... و يبدو أنه كان عبداً لشيخ قبيلة تعبد الشمس . لكن سيده من فرط شروره طرده ، فاشتغل بأعمال النهب والسطو والقتل . وكان ذا جسم ضخم جبار يساعده على ذلك . **وقيل انه بسبب هذه المؤهلات صار رئيساً لعصابة قطاع طرق** ... وكمثال على قوته البدنية أنه فى أحد الأ يام عبر النهر وسرق خروفين من راعى غنم وذبحهما وعبر بهما ثانية إلى الشاطىء الآخر للنهر...

لكن الله مخلّص الجميع لا سيما الخطاة حرّك قلبه للتوبة وترك حياة الشر.. كان يرفع وجهه ويخاطب الشمس كالإله الحقيقى أن يُعرفه ذاته ... وكانت شهرة رهبان برية شيهيت فى ذلك الوقت ذائعة جداً ، فحركه دافع أن يذهب إلى هذه البرية ...

ذهب إليها حاملاً سيفه وتقابل مع القديس ايسيذورس قس القلالى خارجاً من قلايته ليذهب إلى الكنيسة ، فارتعب من منظره ... فسأله الشيخ : [ماذا تريد يا أخى هنا ؟] . أجابه موسى : [قد سمعت أنك عبد الله الصالح ، ومن أجل هذا هربت وأتيت إليك لكى ما يخلصنى الإله الذى خلصك ...] **وكان يطلب منه بالحاح وخشوع [أريد أن أكون معك ، ولو انى قد صنعت خطايا كثيرة وشروراً عظيمة ...] !!** سأله أنبا ايسيذوروس : [ومن الذى أتى بك إلى هذا الموضع ؟] أجابه : [أحد المزارعين أخبرنى عنك ، وقال امضِ إلى أنبا ايسيذوروس فهو يساعدك على خلاص نفسك] ... **فأخذ يسأله عن حياته فاعترف له بكل ما صنع من**

شرور... ولما رأى أنبا ايسيذوروس صراحته أخذ يعلمه ويعظه كثيراً بكلام الله وكلّمه عن الدينونة العتيدة... وتركه لتأملاته.

وكلمة الله الحية خرجت من فم القديس ايسيذوروس، فقالة وامضى من سيف ذى حدين ووصلت إلى مفارق نفس موسى كما قال الرسول بولس، فأخذ يذرف الدموع غزيرة، وهكذا كَرِةَ الشرّ وعزم على التخلّص منه... وكان الندم الحار يجتاح نفسه ويُقلق نومه مثل شبح مخيف.

جاء إلى أنبا ايسيذوروس وركع أمامه واعترف بصوت عالٍ بشروره وجرائمه فى انسحاق يدعو إلى الشفقة وسط دموع غزيرة... فاصطحبه إلى الأنبا مقاريوس، فوضعه أنبا مقاريوس تحت رعايته وأخذ يعلمه ويرشده برفق ثم منحه نعمة العماد، وسلّمه إلى أنبا ايسيذوروس لكى يعلّمه.

بعد أيام طلب موسى من الأب ايسيذوروس أن يصيره راهباً، فأخذ ايسيذوروس يشرح له متاعب حياة الرهبنة من جهة تعب البرية ومحاربات الشياطين والاحتياجات الجسدية وقال له: [الأفضل لك يا ابنى أن تذهب إلى أرض مصر لتحيا هناك]... وكان هذا الكلام على سبيل اختبار موسى... لكن بعد أن رأى ثباته وصدق نيته أرسله ثانية إلى الأنبا مقاريوس الكبير أب البرية...

أعترف موسى اعترافاً علنياً فى الكنيسة - اعترف بجميع خطاياه وقبائحه الماضية، وكان القديس مقاريوس أثناء الاعتراف يرى لوحاً عليه كتابة سوداء. وكلما اعترف موسى بخطية مسحها ملاك حتى إذا انتهى الاعتراف وجد اللوح أبيضاً كله... بعد ذلك وعظه الأنبا مقاريوس بكلام كثير، واعاده إلى القس ايسيذوروس الذى ألبسه اسكيم الرهبنة وأوصاه قائلاً: [اجلس يا ابنى فى هذه البرية ولا تغادرها. لأنه فى اليوم الذى تخرج فيه منها تعود إليك كل الشرور. لذلك اقم زمانك كله فيها وأنا أؤمن أن الله سيصنع معك رحمة ونعمة وسيسحق الشيطان تحت أقدامك].

سكن فى بادىء الأمر مع الأخوة الرهبان، ولكنه بسبب كثرة الزائرين طلب من الأنبا مكاريوس مكاناً منعزلاً. فأرشده إلى قلاية منفردة وعاش فيها مثابراً على الجهاد الروحى... وكان جهاد موسى جهاداً عظيماً كتعويض عما

فاته نتيجة خطاياه وشروره الماضية ... أخذ الشيطان يذكّره بعاداته المرذولة القديمة. ولكن الآب ايسيذورس كان ينصحه بالثبات خصوصاً وان تلك العادات كانت قد تأصلت فيه. وكان الأب موسى يشكو بصفة خاصة من شهوات الجسد. ولكن الأنبا ايسيذورس كان يوصيه بالثبات وضرب له فى ذلك مثالاً بالكلب الذى يقف أمام الجزار فإن هو لم يعطه شيئاً وداوم على ذلك فإنه سيتحول عنه إلى آخر... وكان من فرط الحرب التى تهاجمه لم يطق أن يجلس فى قلايته، فأخذه الأنبا ايسيذورس فوق الكنيسة وكشف الله عن عينيه وأراه فى جهة الغرب الشياطين وفى جهة الشرق الملائكة. وعزاه بأن لا يخاف طالما أن الملائكة معنا تطرد عنا هذه الشياطين.

وكان يحاول موسى - بناء على النصيحة - أن ينهك جسده القوى بالوقوف فى الصلاة والصوم والمطانيات. وكان بالليل يطوف على قلالى الرهبان الشيوخ ويأخذ جرارهم ويملأها ماءً. كل ذلك من أجل قمع جسده. ضجر الشيطان من فرط جهاده، فالتقى به عند البئر فى احدى المرات وضربه ضرباً موجعاً وتركه غير قادر على الحركة إلى أن جاء بعض الأخوة إلى البئر وحملوه إلى الكنيسة عند الأب ايسيذوروس وظل فى الكنيسة ثلاثة أيام إلى أن استرد قوته على الحركة.

ومرة سطا على قلايته أربعة لصوص فربطهم جميعاً وحملهم وأتى بهم إلى الكنيسة، وهذا يدلنا على ضخامة جسمه... ولما علم هؤلاء اللصوص ان هذا هو الأنبا موسى الذى كان رئيساً لعصابة لصوص ارادوا أن يتوبوا و يترهبّوا، فوعظهم بكلام كثير محركاً قلوبهم.

ومن فرط جهاده تصدت له الشياطين حتى أن مرشده الأنبا ايسيذورس نصحه بالاعتدال فى أعماله النسكية حتى لا يثيروا المتاعب عليه وطلب إليه أن يسلّم أمره لله وهو وحده يرفع عنه القتال. فقد كان أنبا موسى وهو ممتلىء صحة، يظن انه بكثرة أعماله النسكية يقهر الشياطين، ولكنهم كانوا يشددون الحرب ضده ولكن بدون اتضاع ما يستطيع الإنسان أن يفعل شيئاً. أى انه ليس بقوة الإنسان يستطيع أن يغلب ولكن بالاتضاع والمسكنة الروحية الله يحارب عنا ...

وبسبب جهاده وفضائله ارادوا أن يرسموه قساً . وعندما أراد البطريرك أن يمتحنه قبل رسامته أمر الكهنة أن يطردوه بمجرد دخوله الهيكل و يقولون له : **[اخرج من هنا يا أسود اللون] .** ولما طردوه ارسل البطريرك وراءه شماساً ليسمع دمدمته ، فسمعه يقول لنفسه : **[لقد فعلوا بك ما تستحقه لأنك لست إنساناً ، وقد تجرأت على مخالطة الناس . وحيث أنك أسود اللون فلماذا تجلس معهم ...] . وتمت رسامته قساً بمدينة الاسكندرية بيد الأنبا ثاوفيلس البطريرك الـ ٢٣ . وسُمع صوتاً يقول : [اكسيوس . أكسيوس . أكسيوس . مستحق . مستحق . مستحق] .** وبعد أن ألبسوه التونية البيضاء ، قالوا له : [ها قد صرت كلك أبيضاً يا موسى] . أما هو فأجاب فى إتضاع وقال : **[ليت هذا يكون من الداخل كما من الخارج] .**

عاش منكراً لنفسه حتى ان حاكماً سمع بفضائله فاشتاق أن يراه ، وإذ علم موسى بهذه الزيارة هرب ، وفى أثناء هربه تقابل معه الحاكم وسأله عن قلاية الأب موسى فقال له : [وماذا تريد أن تسأله . انه رجل عجوز وغير مستقيم] . اضطرب الحاكم وقصد الدير وقال لهم ما حدث فلما سألوه عن أوصاف ذلك الشخص اتضح أنه هو نفسه الأب موسى وانه قال ذلك إنكاراً لذاته .

وقد أعطى من الله موهبة عمل المعجزات وصنع العجائب بسبب نسكه الشديد وجهاده واتضاعه .

ذكر عن أحد الرهبان أنه سقط فى زلة ما ، فعقد الآباء عليه مجمعاً لمحاكمته ، وارسلوا إلى الأنبا موسى ليحضر ، فأبى أن يذهب ، فلما الحوا عليه ، قام وملأ كيساً كبيراً من الرمل وبه ثقوب وحمله على ظهره ودخل عليهم بهذه الصورة . فلما رأوه على هذه الحال تعجبوا . ولما استفسروا منه أجابهم : [أنتم تدعوننى لأحكم على أخ لى فى زلة ، وهذه ذنوبى خلفى تجرى دون أن أراها ولا أحسّ بها] . فخجلوا منه وعفوا عن الأخ المذنب .

مات أنبا موسى شهيداً ... فقد أتى البربر للدير وكان بالروح يعلم بمجيئهم قبل وصولهم وقال ذلك للاخوة وكان عددهم سبعة . وطلب إليهم أن يهربوا . فلما سألوه عن نفسه قال : **[منذ زمن طويل وأنا أنتظر هذا اليوم لكى يتم قول السيد المسيح من يأخذ بالسيف بالسيف يُؤخذ] .** قالوا : [نحن أيضاً لا نهرب ولكن نموت

معك] . فقال لهم : [هوذا البربر يقتربون إلى الباب] فدخل البربر وقتلوهم ولكن واحداً منهم كان خائفاً فهرب إلى الحصن ورأى سبعة تيجان نازلة من السماء توجت السبعة وهكذا تقدم السابع ونال معهم اكليل الشهادة. **وأكمل الأنبا موسى سعيه وجهاده فى اليوم الرابع والعشرين من شهر بؤونة سنة ٤٠٨ م** وكان فى سن الخامسة والسبعين أو الخامسة والثمانين. **ونال ثلاثة أكاليل الأول للنسك الشديد والثانى للرهبنة والكهنوت والثالث للشهادة. وهذا أول شهيد فى الاسقيط.** وله تعاليم مفيدة للغاية. وجسده محفوظ مع جسد مرشده الروحى الأنبا ايسيذورس فى أنبوبة واحدة بدير البرموس العامر.

القديس يوليانوس التائب :

دوّن لنا سيرة هذا القديس المغبوط القديس مار افرام السريانى الذى كان معاصراً له ، بل كان يقيم فى جبل الرها بالعراق قريباً من مغارته .

بدأ يوليانوس حياته عابداً للأوثان ، وكان ذا بنية قوية . وسار سيرة ذميمة . وعاش بالقبائح وسلك فى تيار الخطية والشهوات الجسدية ... أما عن كيفية توبته فقد ذكر أنه كان عبداً لسيد فى بلدة بعلبك ببلاد الشام. وبسبب متاعب وشدائد وضيقات كثيرة ـ نحن نجهل كنهها ـ تحول عن طريق الخطية ، ومال إلى المعرفة وسار سيرة حسنة. ولما مات سيده زهد فى العالم ...

نال سرّ العماد المقدس واشتاق ـ كتعويض عن حياة الخطية والشر ـ أن يسلك طريق الرهبنة فانطلق إلى أديرة الرها ، وسكن إحدى القلالى القريبة من قلاية مار افرام السريانى ... وقد أحب الرب من كل قلبه ... **وتحلّى بكل فضيلة ...** وكان يتبادل الزيارات مع مار افرام. و يقول مار افرام عنه انه كان ينتفع من محادثاته ...

وبعد أن انخرط فى سلك الرهبنة اقتنى خشوعاً عميقاً وتواضعاً زائداً ، وكان شأن باقى النساك يعمل بيديه قلوع المراكب ... ومن المواهب التى اعطيت له موهبة الدموع حتى أن المجتازين بقلايته كانوا يسمعون صوت بكائه لأنه كان يجهش كمن هو يبكى على ميت عزيز، وكان يندب بلجن. أما السبب فكان تذكره لخطاياه... وكان كثير السهر فى الصلوات.

كان أمياً لكنه تعلم القراءة والكتابة ... وبالروح القدس أوتى معرفة معانى **الكتب المقدسة**، حتى كان كثيرون يقصدونه لاستشارته فى بعض الأمور... **ويذكر مار افرام أنه فى أحد الأيام رأى بعض حروف من الكتابة قد مُحيت، ولما سأله، أجابه بوليانوس : [لا اكتم عنك شيئاً، فإن الزانية تقدمت إلى المخلص، وقبّلت قدميه بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها، وأنا إذا قرأت الكتب فحيث أجد اسم إلهى مكتوباً ابله بدموعى لكيما آخذ منه غفراناً لخطاياى]** ... فقال له مار افرام مسروراً : [إن الله متعطف على الناس، وقد قبل نيتك، **فاطلب إليك أن تشفق على المصاحف] . فقال له لا يطمئن قلبى إن لم أبك قدام الرب إلهى ...**

وبعد أن قضى فى النسك والعبادة أكثر من ٢٥ سنة ، رقد فى الرب بسلام، وله تعاليم وأقوال كثيرة نافعة... هذا هو الإنسان الذى تحول من عبد عاش مستعبداً للفساد إلى قديس فاق معاصريه فى الفضيلة والمعرفة ... وقد كتب مار افرام مديحاً عنه .

القديس أغسطينوس :

هو الأسقف القديس العظيم ، الذى فاقت توبته آثامه السالفة ، وقداسته جهالات شبابه. انه زعيم التائبين... وقد وضع الكتّاب على توالى الأحقاب، مئات المؤلفات فى الكلام عن حياة هذا الرجل ومؤلفاته فى شتى المُوضوعات اللاهوتية والفلسفية والعلمية والكتابية والروحية والعقيدية .

ولد اوريليوس اوغسطينوس فى ٢٣ نوفمبر سنة ٣٥٤ م فى مدينة تاجستا من أعمال **نوميديا فى شمال أفريقيا** . وسبق أن تكلمنا عن اسرته ، فيما كنا نتكلم عن امه **القديسة مونيكا فى موضوع أبرار علمانيين** . كان له أخت صارت رئيسة دير للراهبات **بالقرب من هيبو** Hippo وأخ تزوج وصار أباً لأسرة تقية ... **وكانت الدروس فى تلك الأيام مقسمة إلى ثلاثة أقسام: قسم تحضيرى** للقراءة والكتابة والحساب ، **وقسم اعدادى** للقواعد والبيان والشعر ، **وقسم عال** للخطابة والفلسفة . درس أغسطينوس **القسم الأول فى مسقط رأسه** ، والقسم الثانى فى مدينة مدورا . ولما لم يكن بوسع والده **أن يرسله إلى قرطاجنة** لمتابعة دراسته العالية . ظل سنة كاملة فى بيت ابيه بلا درس **ولا عمل** . وما لبث بعدها أن تحسنت ظروفه فسافر إلى قرطاجنة وأكمل هناك دراسته

العالية التى كانت تفتح للحاصلين على اجازتها أبواب مهنة التعليم العالى ...

ومنذ سنة ٣٧٤ ولمدة اثنتى عشرة سنة باشر مهنة التعليم ولمع بمقدرته وفصاحته فى مدرسة بمدينة ميلانو بشمال ايطاليا حيث كان اسقفها القديس امبروسيوس يسحر الألباب بفيض علمه وفصاحة بيانه.

لقنته أمه فى طفولته أصول الدين المسيحى ، لكنه ما كاد ينتهى من دراسته الاعدادية على ايدى اساتذة وثنيين حتى كان قد نَسِيَ كل مبادىء الدين ، ولم يبقَ منها سوى أضواء خافتة أخذت تتلاشى شيئاً فشيئاً من عقله ومن قلبه. **ثم أتت قراءته لكتب فلاسفة وشعراء الوثنية على ما تبقى من مبادىء مسيحية.**

وثارت فيه الأهواء والشهوات تريد الشبع من كل ما هو مادى وتطرح كل ما هو إيمانى وروحى !! وتألبت على ذلك الشاب المضطرم حماسة واندفاعاً ، ظلمات العقل وسطوة اللحم ، فغاص فى الأوحال واضاع الإيمان والأداب. **ويقول هو عن نفسه فى تلك الفترة : [كنت أخجل من عدم فعل الشر بوقاحة منزّهة عن الحياء] !! وكان له عشيقات وانجب من احداهن ابناً غير شرعى !!**

تكلمنا عن والدته وصلواتها ودموعها السخينة من أجله حتى يرده الله عن طريق الشر... وفى مدينة ميلانوا سمع مواعظ امبروسيوس ذلك الخطيب العظيم ، فأخذ ضميره يتحرك ويستيقظ ويبكته على آثامه وغروره. لكنه لم يعد فى الحال إلى رشده وصوابه ، فقد كان عقله يبحث ويفكر فى الحقيقة !! فتراءى له أولاً أن العقل البشرى الضعيف لا قدرة له وحده على الوصول إلى كمال الحقيقة الإلهية. وانه لا بد من سلطة تقوده وتسهّل له السبل. وان تلك السلطة الكبرى السامية هى الكنيسة. وثبت لديه أيضاً أن سرّ التجسد هو سرّ الاتضاع ، وأن الكبرياء والاعتداد بالفكر هما اللذان ينحدران بالإنسان إلى قاع الجهل والرذيلة. فتواضع أمام الرب ، وطرح عنه الكبرياء والاعجاب بنفسه وبعقله وعلمه ، وبدأ يقرأ الكتب المقدسة ، فانبثق له النور... ثم أكبّ على التهام الأناجيل ورسائل بولس الرسول على وجه الخصوص فوجد فيها ضياء الحقيقة الإلهية ، وراحة القلب الصحيحة. **وبدأ يشعر أن الله يدعوه إلى حياة كاملة وسامية ، حياة البتولية والتواضع والفقر الاختيارى.**

وجاءه يوماً أحد اصحابه من ضباط الحرس الملكى ، فروى له ما رآه وقرأه عن حياة وفضائل كبار رهبان ونساك مصر ومنها حياة القديس الأنبا أنطونيوس . فاعجب كثيراً بها وصغرت نفسه فى عينيه ، وجاشت العواطف الصادقة فى صدره ، وذكر تعاليم وتقوى والدته . فدخل حديقة البيت الذى كان يقيم فيه عند أصحابه ، وأخذ يناجى نفسه المتألمة العائصة فى بحر من الحزن ، ويتحسّر على ما وصلت إليه حالته الروحية والأدبية معاً ... وبإلهام إلهى فتح كتاب رسائل بولس فقرأ ماكتبه فى رسالته إلى أهل رومية : «إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم . فإن خلاصنا الآن أقرب بما كان حين آمنا . قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس اسلحة النور . لنسلك بلياقة كما فى النهار لا بالبطر والسكر ، لا بالمضاجع والعَهر ، لا بالخصام والحسد . بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات» (رو ١٣ : ١١- ١٤) ... فاغلق الكتاب وأخذ يفكر تفكيراً عميقاً . فأحس بدعوة الله إليه . فعزم أن يتوب توبة صادقة وعاهد الرب أن يكمل بقية عمره فى البتولية . فترك وظيفة التعليم ، وذهب إلى ضواحى ميلانو . فاقام شهوراً فى قصر لأحد اصدقائه . واكب على التأمل ومطالعة الكتب المقدسة والروحية ، والسعى وراء معرفة الله معرفة حقة ، معرفة حب وثقة واتضاع . وكانت امه برفقته مع صديق وتلميذين من تلاميذه . وكان لم يقتبل سر العماد بعد .

كتب إلى القديس امبروسيوس ينبئه بمكنونات نفسه ، فأشار عليه الأسقف بقراءة سفر إشعياء . وما لبث أن طلب أوغسطينوس العماد . فمنحه سر العماد المقدس سنة ٣٨٧ وله من العمر ٣٣ سنة . ومنذ تلك اللحظة اضحى اوغسطينوس لله وحده ...

تنيحت والدته فبكاها أوغسطينوس بدموع حارة ثم أكمل طريقه إلى مسقط رأسه . فباع املاكه ووزع ثمنها على الفقراء ، وانشأ ديراً للرهبان وأقام فيه . وبدأ حياة النسك بالصوم والصلاة والدرس والتأليف وخدمة الله والكنيسة . وصار يضيف الغرباء ويغسل أرجلهم ، ويجلس الفقراء على مائدته ويداوى المرضى بذاته ... وازهرت الحياة الرهبانية فى دير اوغسطينوس ازهاراً جميلة . واعتاد رهبانه أن يبادروا بعضهم بعضاً بالسلام بقولهم : [الشكر لله Deo Gratias] . وكانوا

يفعلون ذلك للشكر على حياة الشركة الجماعية .

وما لبث أن طار صيت اوغسطينوس فملأ الدنيا . وصار الناس يفدون إليه افواجاً طالبين إرشاده. وتتلمذ له كثيرون مبهورين بسحر تعاليمه وتقواه وفضائله ... وما لبث أن استدعاه أسقف مدينة هيبو Hippo لمعاونته فى الخدمة، وكان كهلاً مسناً، ثم رُسم مساعداً له فى الاسقفية سنة ٣٩٥. ولما تنيح الأسقف بعد نحو سنة خلفه اوغسطينوس فى الأسقفية وكان له من العمر ٤٢ سنة.

وكانت الأيام التى مرت عليه منذ توبته قد رفعت نفسه إلى ذرى المحبة الإلهية، فبقى حياته يجول على تلك القمم. **ولما صار أسقفاً لم يبّدل شيئاً من حياته المتقشفة بل ظل الراهب الصادق الذى يمارس الحياة الرهبانية. وألْحَقَ بمقر أسقفيته ديراً، وعوّد كهنته أن يعيشوا حياة ديرية.** وهكذا اضحى أوغسطينوس **أب الرهبان بشمالى أفريقية**، فخرج من تحت يده أساقفة عظام. وكانت محبته للفقراء لا حد لها، حتى انه باع مرة أوانى الكنائس ليفتدى بها بعض المؤمنين الذين وقعوا فى أسْر البرابرة.

ولما بلغ أغسطينوس سنّ الثانية والسبعين ولم يعد بوسعه القيام بواجباته الرعوية عيّن أسقفاً مساعداً له وأوصى كهنته أن يخلفه بعد مماته ... واشتدت وطأة المرض عليه وانطلقت نفسه إلى الله الذى احبه وطالما ناجاه، وكان ذلك فى ٢٨ اغسطس سنة ٤٣٠ م وله من العمر ٧٦ سنة، وهو القائل فى فاتحة كتاب اعترافاته: **[لقد خلقتنا لك يا الله وقلبنا لايزال حائراً إلى أن يرتاح فيك].**

على أن أهم ما نريد أن نوضحه فى حياة أغسطينوس هو توبته وكيف تدرجتْ وذلك مما كتبه بنفسه فى كتاب الاعترافات...

[لم يكن يحلو لى إلاّ أن أكون عاشقاً ومعشوقاً . إلاّ أن الحب له حدود وقيود، وفى سبيله معاثر ومخاطر. وأما أنا فلم أعرف للهوى مدى، حيث عميت من الدخان الكثيف المتصاعد من براكين الشهوة الجسدية... لقد أبطأت فى رجوعى إليك... ما عرفت أن أكبح جماح هواى... وركبت متن رياح شهواتى، ولم أترك أمراً من شريعتك إلاّ خالفته. لكن ما استطعت أن أفرّ من

وجه غضبك. ومن تُرى يمكنه الفرار منه. فأنت دائماً إلى جوارى قريباً منى، تعذبنى برأفة، مازجاً حلاوة طيباتى المحرمة بمرارة، لعلى اذوق فالتمس لذة خالية من المرارة. ولكن أين توجد هذه اللذة إلاّ عندك ياربى، يا من حلقك حلاوة وكلك مشتهيات. يا من يقودنا إليه بالضرب، ويدمينا ليشفينا، ويهلك منا الجسد ليحيى منا الروح ... انى منذ التاسعة عشرة من عمرى إلى الثامنة والعشرين لم يكن لى شغل شاغل غير التمادى فى الغرور والشرور. وكنت أقتادُ غيرى ورائى باستخدامى فصاحة الكلام والتمويه تارة، وتارة شعائر الدين الخارجة. فكنت فى الظاهر متعظماً، وفى السرّ والخلوة من أهل التدين الكاذب. وعلى الحالين كنت شريراً. وكنت شديد الولع بحضور المسارح ومشتعلاً بنار الغرام والفحشاء].

وعن ذكائه يقول : [وفى الجملة تعلمت الفصاحة والحساب والهندسة والموسيقى من دون معلم، ومن غير كبير عناء، وذلك كله إنما هو من فضلك ياربى ... ولكنى لكفرانى بإحسانك لم استخدم هذه القوى لتمجيدك، ولا استعملتها استعمالاً حسناً، بل قد اعملتها فى جرّ المضرّة علىَّ، لأنى حسبتها ملكاً لى، اتصرف بها كيف احببت، فانطلقت إلى بلد بعيد. وهناك بدّدت مالى فى الفواحش والمعاصى ولم أتاجر حسناً فى الوزنات التى وهبتها لى].

[السعادة الكاملة الصحيحة إنما هى لديك. وهكذا قد جرى من ابتعدوا عنك ثم ارتدّوا إليك، فوجدوا راحتهم بين يديك، لأنك رحوم رؤوف، تعرف كيف تمسح دموعهم فيزيدون بكاء. ومن خلال هذا البكاء يجدون السلوى والعزاء].

وليتنى عند حمدى لك يا إلهى، اتمكن من تذكر جميع صنوف المراحم التى صنعتها معى على اننى عندما أذكرها أرى سهام محبتك تخترق احشائى وتخترق عظامى، فتنتاب جوارحى هزّة فتصيح قائلة : **يارب من مثلك.** أنت كسرت قيودى، فلك اذبح ذبيحة الحمد].

وعندما بدأ يستيقظ ضميره قال : [كنت أعرف ان تسليمى نفسى ليد رأفتك هى خير لى من الانقياد لشهواتى. غير انى كنت أترك نفسى تنقاد لهذه الشهوات تستأسرنى وتستعبدنى. وكنت أسمع رنات صوتك فى قلبى تقول : « قم أيها النائم من

بين الأموات فيضيء لك المسيح » ... وإينما اتجهت كنت أرى أن قولك هذا هو الحق. وعندما رأيت نفسي مغلوباً من هذا الصوت، ولم يبقَ لي عذر، بل وجدت نفسي منجذباً من صوتك رويداً رويداً، **فجاوبت صوتك جواب النعسان المتثائب ... فكان سروري بناموسك بحسب الإنسان الباطن من العبث، حيث كان في أعضائي ناموس آخر يضاد ناموس ضميري، ويستعبدني لناموس الخطية التي في أعضائي. وما هو هذا الناموس - ناموس الخطية؟ ليس هو سوى صولة العادات الشريرة التي بقوتها تلقي القبض على النفس وتأسرها. ولئن كانت النفس لا تحب هذا الأسر، إلا أن ذنبها قد قضى عليها أن تقع فيه عن رضى واختيار. آه**، ما أشقاني واسوأ حالي!! من يا ترى يمكنه أن ينقذني من هذا الجسد الفاسد المائت غير نعمتك يا يسوع المسيح ربنا].

ويتكلم عن لحظات توبته فيقول : [جلست على الأرض تحت شجرة تين، وفتحت مجاري عيني لدموع اقدمها لك تقدمة مقبولة أيها الرب الإله، وصحت مع المرتل: إلى متى يارب، إلى متى، إلى متى تنساني، أترى إلى الأبد. لا تذكر آثامي السالفة. قلت هذا لأن آثامي هي التي تعيقني. ورجعت أصرخ بنفسي قائلاً: إلى متى أقول الغد الغد، ولا أقول الآن، ولا اضع الآن حداً لهذه الحالة التعيسة جداً. كنت أقول ذلك. ومن شدة انسحاق قلبي، كنت افيض بالدموع والبكاء ...].

أما بعد توبته فيعبرّ عنه بقوله : [اللهم ربي أنا عبدك وابن امتك، حللت قيودي فلك اذبح ذبائح التسبيح. فليشكرك جناني ولساني وكل جوارحي وتسبحك قائلة: من مثلك! ... من أية وهدة عميقة انتشلتني حتى أضَعَ في لحظة عنقي تحت نيرك الخفيف، واقدم منكبي لِحْملك غير الثقيل يا يسوع المسيح فاديّ وعوني ... لقد كنت اغتم حرصاً على لذّات العالم ان أفقدها، واليوم سررت أشد السرور لبعدها. وكيف لا، وأنت قد ابعدت عني تلك اللذات السمجة، وجلست مكانها أنت أيها النعيم السامي، أيها اللذة الصحيحة.

ويذكر حديثه الأخير مع أمه عن السماء والحياة الروحية بعد أن نال سر العماد فيقول: [وفيما كنا نتحدث عن هذه الأمور بلهفة واشتياق، إذا بعاصفة من زفرات قلوبنا حملتنا بالروح إلى هناك. ويتَوّج ما أوصلتنا واذاقتنا طعمها. ولما امتلأت أرواحنا بهجة وعزاء تركنا لك قلوبنا متحدة بك، وكأنها باكورة

تقدماتنا الروحية].

[ها انى قد وجدتك وادركتك . فيا لسعادتى ! كنت أفتش عليك فى أشياء خارجة ولكن هذا التفتيش لم يُجْدِنى نفعاً، إذ وجدتك فى نفسى وفى قلبى ... لقد أبطأت فى حبك أيها الجمال القديم الجديد . لقد أبطأت وأنت كنت فى داخلى . وأنا كنت اطلبك خارجاً عنى وفى الخارج كنت أبحث عنك ، وأنا اتمرغ فى حمأة هذه المخلوقات الجميلة التى أنت باريها . أنت كنت معى ، وأنا لم أكن معك] !!

وعن الخلاص بالمسيح وحده يقول : [اللهم انى قد تركتك حيناً وعاديتك . ومن ترى كان يصلح لمصالحتى معك ؟ اترانى كنت أسأل من الملائكة هذه المصالحة ، أم اقدم التضرعات والتوسلات الحارة لديك توصلاً إليها . أى وسيط استوسط ؟ ان الوسيط بين الله والناس يلزم أن يكون شبيهاً بالله والناس . لأنه لو كان شبيهاً بالله فحسب لصار بعيداً عن الناس . وهكذا لو كان شبيهاً بالناس فحسب لغدا بعيداً عن الله . ومن ثم لا يعود يصلح لهذه المصالحة وتلك الوساطة . إن الوسيط الحقيقى هو الذى أَوْحَيْتَ به من قبلى إلى المتضعين بحسب تدابير أسرار مراحمك . ثم أرسلته إلى العالم يُعلّم بعمله الاتضاع الصحيح . هذا هو يسوع المسيح الإله المتأنس الذى ظهر بين الخطاة المائتين ، وهو البار غير المائت . فهو مائت مع البشر ، وبار مع الله !!] .

القديسة بيلاجية :

دعا أسقف انطاكية ثمانية أساقفة من جيرانه ليبحثوا أمراً معيناً وكان ذلك فى القرن الرابع . وكان من بين هؤلاء الأساقفة الأسقف القديس نونيوس ... كانت اقامتهم فى كنيسة يوليانوس الشهيد ... جلس الأساقفة إلى جانب باب الكنيسة ليبدأوا اجتماعهم ... وكانت الأنظار كلها متطلعة إلى الأسقف المبارك نونيوس لما هو معروف عنه من قداسة ... وبدأ نونيوس يتكلم عن خلاص النفس ، **وإذا بممثلة انطاكية وراقصتها الأولى تمر من أمامهم ، ممتطية جواداً ، مختالة بنفسها ، وقد تحلّت بحلى الذهب والأحجار الكريمة التى كانت تغطى ثيابها وحتى قدميها !! وكان يسير أمامها وخلفها صف طويل من الشباب والوصيفات فى ثياب ثمينة ... وكانت رائحة العطور تفوح منها ...**

وحالما رآها الآباء الأساقفة تمر أمامهم بملابس خليعة ، حوّلوا أنظارهم عنها ، أما المبارك نونيوس فظل ينظر إليها محدقاً بها ، ثم حوّل وجهه نحو الأساقفة وقال لهم : [ألم يسرّكم رؤية جمالها العظيم ؟!] ... وكان كلاماً غريباً يصدر عن مثل هذا الإنسان المبارك ، فلم يجبه الأساقفة . **أما هو فوضع وجهه بين ركبتيه والكتاب المقدس بين يديه ، وابتدأت دموعه تنسكب وكان يتأوه بشدة .** ثم أعاد سؤاله للأساقفة : [ألم يسرّكم جمالها العظيم ؟!] . وفى هذه المرة لم يجيبوه أيضاً . أما هو فقال لهم : [الحق انه قد سرنى . وكنت مسروراً بجمالها ، أنا الذى سوف أمثل أمام كرسى الله العظيم المهوب لنعطى حساباً عن أنفسنا وأسقفياتنا] .

ثم اردف يقول : [ماذا تظنون أيها الأحباء ، كم من الوقت قضته هذه المرأة فى مخدعها تستحم وتزين نفسها باهتمام كبير ، وذهنها كله مركز على خشبة المسرح لكى تصير متعة لكل عيون الرجال ؟ ونحن الذين لنا فى السماء أب قادر على كل شىء ومحب أبدى ، ووعدنا بمواعيد ثمينة ... لا نحرص أن ننقى نفوسنا الشقية من الدنس ونتركها باقية فى نتانتها] .

بعد ذلك اصطحب شماسه الخاص ويدعى يعقوب إلى مكان مبيتهما ... وحينما وصل الأسقف نونيوس إلى غرفته الخاصة القى بنفسه على الأرض وبدأ يبكى ويقرع صدره قائلاً : [يا سيدى يسوع المسيح ارحمنى أنا الإنسان الخاطىء غير المستحق ، لأن زينة يوم واحد لامرأة واحدة تفوق كثيراً زينة نفسى لك . بأى وجه سوف اتطلع إليك ، وبأية كلمات سوف ابرّر نفسى حين أراك . لن اخفى عليك شيئاً ، لأنك تعرف خبايا قلبى ...] واستمر يصلى هكذا مدة طويلة وهو ينتحب . وقد قدّس هو وتلميذه صوماً فى نهار ذلك اليوم .

كان يوم الأحد هو اليوم التالى ، وبعد أن انتهى الأسقف نونيوس وشماسه من تسبحة نصف الليل روى لشماسه حلماً اضطرب منه لأنه لم يعرف له تفسيراً ... رأى فى الحلم حمامة سوداء واقفة على قرن المذبح ، وكانت ملوثة وملطخة بالقاذورات ، وظلت تطير حوله ، وبصعوبة كان يطيق نتانتها ووسخها . وظلت هكذا بالقرب منه إلى أن انتهى قداس الموعوظين . وبعد أن أعلن الشماس بدء قداس المؤمنين أختفت تلك الحمامة ... وبعد انتهاء القداس وانصراف المؤمنين عادت تلك الحمامة مرة أخرى كما هى فى وسخها وأخذت تطير حوله . لكنه فى هذه المرة مدّ يده وامسكها

وغطسها فى جرن المعمودية، فخرجت من مياه المعمودية بيضاء كالثلج، ثم طارت وحملها الهواء واختفت. كان هذا كله فى حلم...

فى الصباح دخلوا الكنيسة وطلب إليه أسقف المدينة أن يعظ الشعب... فامتلأ من الروح القدس الذى فيه وكان يعظ الشعب بقوة ويحدثهم عن الدينونة العتيدة، وبركات الأبدية... **وكان لكلماته تأثير عجيب حتى بكى كل من بالكنيسة... وبتدبير إلهى كانت هذه المرأة الراقصة الزانية موجودة بالكنيسة واستمعت إلى العظة، ونَخَسَ روح الله قلبها، وبدأت دموعها تسيل منها بغزارة...** وفى تلك اللحظة امرت اثنين من صبيانها قائلة: [ابقيا فى هذا المكان وحينما يخرج الأسقف الصالح نونيوس اتبعاه واسألاه أين يمكث وتعاليا واخبرانى]... وتمما ما أمرتهما به وعرفآها أنه يقيم فى كنيسة الشهيد يوليانوس.

ثم أرسلت للحال رسالة مكتوبة مع نفس الصبيين إلى الأسقف نونيوس، وكان مكتوباً فيها: **[إلى تلميذ المسيح القديس، من تلميذة الشيطان وامرأة خاطئة... لقد سمعت عن إلهك الذى ترك السموات ونزل إلى الأرض ليس من أجل الأبرار بل من أجل أن يخلص الخطاة. وانه كان متواضعاً جداً، حتى أنه كان يدنو من السكيرين... فإن كنت حقاً تلميذاً حقيقياً لهذا المسيح ـ الذى سمعت عنه كثيراً من المسيحين ـ فلا ترذلنى إذ أنا راغبة ان أرى ـ بواسطتك المخلّص. وبك استطيع أن آتى إلى رؤية وجهه القدوس].**

ردّ عليها الأسقف نونيوس برسالة قال فيها:

[مهما كنت فأنت معروفة لدى الله بذاتك، ومهما كان هدفكِ ورغبتك. ولكن أؤكد عليكِ، لا تحاولى أن تجربى ضعفى لأنى أنا إنسانٌ خاطىء خادم لله. وعلى كل حال إن كان لك رغبة نحو الأمور المقدسة واشتياق للصلاح والإيمان، وترغبين حقاً أن ترينه، فهناك أساقفة آخرون معى. تعالى وسوف ترينني فى محضرهم لأنكِ لن ترينني وحدى].

قرأت هذه المرأة الخاطئة تلك الرسالة وامتلأت فرحاً وقامت مسرعة إلى كنيسة الشهيد يوليانوس، وأرسلت مسبقاً أنها قادمة... دخلت وكان كل الأساقفة مجتمعين والقت بذاتها على الأرض وامسكت بقدمى المبارك نونيوس وهى تقول:

[سيدى ، أتوسل إليك أن تسلك كما سلك معلمك السيد المسيح ، واسكب عليَّ من رحمتك واجعلنى مسيحية. سيدى أنا بحر من الشرور، أنا أرض من آثام، أسألك أن تعمدنى].

وبصعوبة استطاع أن يجعلها ترتفع من فوق قدميه ... **وحينما نهضت قال لها :**

إن قوانين الكنيسة تحتم أن لا تعمّد زانية ما لم تقدم تأكيداً أنها لن تسقط مرة أخرى فى خطاياها القديمة]. وإذ سمعت هذا الكلام من الأسقف ألقت بنفسها ثانية على الأرض وأمسكت بقدميه وأخذت تبللهما بدموعها وتمسحهما بشعر رأسها وهى تقول له :

[سوف تعطى جواباً لله عن نفسى ، وأنا سوف ادان عن أعمالى الشريرة، إن تأخرت عن عمادى من خطاياى السابقة. لن تجد نصيباً فى بيت الله مع القديسين إن لم تخلصنى من خطاياى. إنك إن لم تلدنى اليوم من جديد عروساً للمسيح وتهبنى لله ، تنكر الله وتصير عابداً للأوثان].

وإذ رأى كل الأساقفة الذين كانوا مجتمعين ما فعلته الخاطئة وسمعوا كلماتها تعجبوا فى أنفسهم، لأنهم لم يروا إيماناً بمقدار ذلك.

ارسل الأسقف نونيوس شماسه يعقوب إلى أسقف المدينة ليقصّ عليه الأمر وليبعث بشماسة لتساعده فى العماد تعجّب الأسقف وأرسل معه كبيرة الشماسات رومانا ... وحينما وصلت وجدت المرأة مازالت تحت قدمى الأسقف نونيوس، وبصعوبة كان يحاول أن يقنعها أن تنهض من على قدميه ... وقال لها :

[قومى أيتها الابنة حتى يمكنكِ أن تقرى بخطاياكِ] ... ثم قال لها : [اعترفى بخطاياكِ]. أجابت : **[إن أنا عزمت أن افحص كل أعماق قلبى فلن أستطيع أن أجد شيئاً ما صالحاً. أنا أعرف خطاياى انها أثقل من رمال البحر. ومياهه تتضاءل أمام هول خطاياى. ولكنى أثق فى إلهك انه سوف يفكّ كل أعمالى الرديئة ويتطلع إلىَّ].**

سألها عن اسمها فقالت : **[اسمى بيلاجية** ولكن شعب انطاكية أطلق علىَّ مارجريتا] ... **حينئذ أتم لها الأسقف طقس جحد الشيطان ثم عمدها ورسم عليها بعلامة الصليب وناولها من جسد المسيح ودمه. أما أشبينتها فكانت كبيرة**

الشماسات رومانا التى أخذتها وذهبت بها إلى مكان الموعوظين ...

وإذ كان الأسقف نونيوس وتلميذه جالسين سمعا صوت صياح كما لو كان صادراً من رجل يُعذَّب وكان هو الشيطان، وكان يصيح نادباً ويقول لنونيوس: [لقد سرقت أعظم رجائى وأنا لم أعد احتمل دسائسك ومكائدك ضدى. ملعون هو اليوم الذى ولدت فيه أنت].

ثم صاح فى بيلاجية وقال لها : **[كل هذا صنعتيه فيَّ يا سيدتى بيلاجية وتبعتِ يهوذا بتاعى (يقصد الأسقف المبارك)]... حينئذ قال لها نونيوس: [إرسمى ذاتكِ بصليب المسيح واجحديه]. فرسمت ذاتها باسم المسيح وعلامة صليبه ونفخت فى الشيطان فاختفى للحال.**

وكان الشيطان يحارب بيلاجية بالأحلام ، أما هى فكانت تحصن ذاتها بعلامة الصليب.

وبعد ثلاثة أيام من عمادها نادت خدمها الخصوصيين وأمرتهم أن يحضروا كل حليها وثيابها الفاخرة واحضرتها ووضعتها بين يدى الأسقف نونيوس عن طريق الشماسة رومانا وقالت: [هذا هو الغنى الذى وهبنى إياه الشيطان، افعلوا كما ترون لأنه صار للمسيح].

حينئذ استدعى الأسقف نونيوس أمين صندوق الكنيسة وسلمه كل هذه الأشياء وقال له:

[اشهدك باسم الثالوث القدوس أن شيئاً من هذا لا يذهب بتاتاً إلى صندوق الأسقفية أو الكنيسة، إنما يوزع على الأرامل والأيتام والفقراء حتى أن ما جمع بالشر يوزع فى الخير، وثروة الخاطىء تصير كنزاً للبرّ...]. **أما بيلاجية فقد أعتقت وحررت كل عبيدها وخدمها بعد أن أعطتهم عطايا** ... وطلبت إليهم أن يحرروا نفوسهم من هذا العالم الملىء بالشر، وحتى يجتمعوا فى الحياة الجديدة كما كانوا معاً فى الحياة السابقة الشريرة.

كان التقليد فى ذلك الوقت أن المعمد يظل لابساً الثياب البيضاء أسبوعاً بعد المعمودية. وفى اليوم الثامن خلعت بيلاجية ثيابها البيضاء واستيقظت ليلاً وارتدت عباءة الأسقف نونيوس واختفت من مدينة انطاكية.

أخذت تبكيها الشماسة رومانا لكن الأسقف نونيوس عَزّاها بقوله إن بيلاجية قد اختارت النصيب الصالح مثل مريم التى فضلها المسيح على مرثا ... **انطلقت بيلاجية إلى أورشليم وبنت لنفسها قلاية فى جبل الزيتون.**

بعد ثلاث أو أربع سنوات سافر الشماس يعقوب إلى أورشليم بإذن اسقفه ليعيّد عيد القيامة هناك... فقال له الأسقف: [متى وصلت إلى أورشليم أسأل هناك عن أخ راهب اسمه بيلاجيوس يعيش فى عزلة. وان استطعتَ زُرْه لتنتفع منه]. وكان الأسقف يتكلم عن بيلاجية. **تقابل الشماس مع بيلاجية من خلال طاقة فى قلايتها دون أن يعرفها، أما هى فعرفته** ... لم يكن ممكناً أن يعرفها **وقد شحبت وهزلت من الصوم تلك التى كان جمالها لا يوصف. وكانت عيناها غائرتين** ... ولما عرفت انه مرسل من قبل الأسقف نونيوس طلبت صلاته (صلاة الأسقف) واغلقت طاقتها.

وكان صيت الراهب بيلاجيوس الناسك ذائعاً بين أديرة المنطقة. فعوّل الشماس على زيارته ثانية للتبرك والانتفاع من منظره. ولما جاء فى المرة الثانية قرع باب القلاية فلم يجاوبه أحد، وعاود الكرة ثانية وفى هذه المرة ناداه باسمه ولم يتلقَّ إجابة من أحد. وتكرر الأمر أكثر من مرة دون اجابه، **فتجرأ وفتح الطاقة ووجده ميتاً. فاغلق الطاقة واذاع الخبر فى أورشليم** أن الراهب بيلاجيوس قد تنيح ...

أتى الآباء مع الأخوة من مختلف الأديرة ونقلوا الجسد المقدس، وبينما كانوا يطيبون الجسد اكتشفوا انه لامرأة!!. ودفنوا جسدها الطاهر فى مقره الأخير.

مـــريم المصـــرية:

روى سيرة هذه القديسة التائبة **راهب قس فى أحد أديرة فلسطين ويدعى زوسيما** (القرن الرابع). عاش فى أحد الأديرة ٥٣ سنة، وبدأت تحاربه أفكار العظمة. والله الذى لا يشاء أن يهلك أحد أرسل إليه راهباً اقتاده إلى دير قرب نهر الأردن وأمره أن يقضى فيه بقية حياته. وكان رهبان هذا الدير من النساك الكبار الذين اضنوا حياتهم بالنسك... وكان الدير قريباً من البرية التى امضى فيها المسيح الصوم الأربعينى... **وكانت عادة رهبان هذا الدير أن يقضوا فترة الصوم**

الأربعيني في هذه البرية خارج الدير، ولا يعودون إليه إلاّ يوم أحد الشعانين... كان الرهبان يتناولون الأسرار المقدسة بعد قداس الأحد الأول من الصوم ثم يخرجون إلى البرية. وهكذا فعل زوسيما.

وقبيل نهاية الصوم وهو في طريق عودته للدير أبصر شبحاً فظنه في بادىء الأمر شيطاناً ورشمه بعلامة الصليب، ولكنه تحقق بعد ذلك انه إنسان. أسرع زوسيما -رغم شيخوخته- نحو هذا الإنسان، لكنه كان يجرى منه. وكان يصرخ إليه أن يقف... فتوقف هذا الشبح ودخل في حفرة في الأرض. فتكلم هذا الشخص المجهول وناداه باسمه وقال له أنا امرأة. إن أردت أن تقدم خدمة لخاطئة فاترك لها رداءك لتستتر به واعطها بركتك.

تعجب زوسيما لأنها نادته باسمه وترك لها رداءه فوضعته على جسدها... وسألته أن يباركها. فقد كان كاهناً. وزاد عجبه حين علمت بكهنوته. وطلب هو منها أن تباركه وتصلى عنه. سألها باسم المسيح أن تعرفه شخصيتها ولماذا أتت إلى هذا المكان، وكيف استطاعت أن تبقى في هذه البرية الموحشة المخيفة، وكم لها من السنين وكيف تعيش ؟!.

وبدأت تعترف بخطاياها وقالت له لا تفزع من خطاياى البشعة، بل فيما أنت تسمعنى لا تتوقف عن الصلاة لأجلى... وبدأت تروى قصتها:

قالت انها مصرية - من الاسكندرية - ومنذ سن الثانية عشر بدأ ذهنها يتلوث بالخطية من تأثير الشرّ الذى كان سائداً... وما كان يمنعها من ارتكاب الخطية الفعلية إلاّ الخوف المقترن بالاحترام لوالدها... لكن ما لبث أن فقدت أباها ثم امها... فخلا لها الجو وانحدرت إلى مهاوى الخطية الجسدية الدنسة، أسلمت نفسها للملذات مدة سبع عشرة سنة، ولم يكن ذلك عن احتياج سوى اشباع شهواتها. وفي أحد الأيام وقت الصيف رأت جمعاً من المصريين والليبيين في الميناء متجهين إلى أورشليم لحضور عيد الصليب المقدس... ولم تكن تملك قيمة السفر في إحدى السفن الذاهبة إلى أورشليم... لكنها وجدتها فرصة لاشباع لذاتها مع المسافرين. ونظرت إلى الأب زوسيما بخجل وقالت له: [انظر يا أبى قساوتى. أنظر عارى. فقد كان الغرض من سفرى هو اهلاك النفوس !!].

سافرت مع زمرة من الشبان ... وحدث ما حدث فى الطريق ، وأخيراً وصل الركب إلى أورشليم وارتكبت شروراً كثيرة فى المدينة المقدسة... أخيراً حلّ يوم عيد الصليب واتجهت الجموع إلى كنيسة القيامة . وكان الزحام شديداً ... **ولما جاء دورها لدخول الكنيسة ، وعند عتبتها وجدت رجلها وكأنها مسّمرة لا تستطيع أن تحركها وتدخل . وكانت هناك قوة خفية تمنعها من الدخول وكررت المحاولة أكثر من مرة دون جدوى ... أحست أنها الوحيدة المطرودة من الكنيسة ، فالكل يدخلون بلا عائق ولا مانع .**

عندئذ اعتزلت فى مكان هادىء بجوار بوابة الكنيسة وانتهت فى فكرها إلى أن منعها من الدخول يرجع إلى عدم استحقاقها بسبب فسادها ... انفجرت فى البكاء وتطلعت فابصرت صورة العذراء فوق رأسها ، فصرخت فى خزى : [يا عذراء ... انى ادرك مدى قذارتى وعدم استحقاقى لأن أدخل كنيسة الله . بل ان نفسى الدنسة لا تستطيع أن تثبت أمام صورتك الطاهرة . فيا لخجلى وصغر نفسى أمامكِ] . طلبت شفاعة العذراء من كل قلبها ووعدت بعدم الرجوع لحياتها الماضية . وطلبت إليها أن تسمح لها بالدخول لتكرم الصليب المقدس ، وبعدها سوف تودع العالم وكل ملذاته نهائياً . وطلبت إرشادها .

احست أن طلبتها استجيبت واخذت مكانها بين الجموع ، وفى هذه المرة دخلت كما دخل الباقون بلا مانع ولا عائق ... ولكنها كانت مرتعدة . سجدت إلى الأرض وسكبت دموعاً غزيرة على خشبة الصليب المقدسة وقبّلتها ، وأخذت تصلى ـ دون أن تحسّ بالوقت ـ حتى منتصف النهار.

طلبت فى أعماقها معونة الله بشفاعة العذراء أن تعرف ماذا تفعل ... فسمعت صوتاً يقول لها : **[أعبر الأردن فهناك تجدين مكاناً لخلاصكِ]** ... امضت تلك الليلة قرب الكنيسة وفى الصباح سارت فى طريقها فقابلها رجل أعطاها ثلاث قطع من الفضة وقال لها : [خذى ما أعطاكِ الله] ... توقفت عند خبّاز واشترت ثلاث خبزات وطلبت إليه أن يرشدها إلى الطريق المؤدى للأردن ...

عبرت باب المدينة وأحست أنها تغيّرت ووصلت إلى كنيسة على اسم يوحنا المعمدان قرب النهر. وهناك أخذت تبكى وغسلت وجهها بماء النهر المقدس ...

ودخلت الكنيسة واعترفت بخطاياها وتناولت من الأسرار المقدسة ... عبرت الأردن وطلبت شفاعة العذراء وأخذت تسير فى الصحراء القاحلة حتى وصلت إلى المكان الذى تقابلت فيه مع القس زوسيما. وكانت قد أمضت به ٤٥ سنة، وكان الله يعولها.

وبناء عن سؤال القس زوسيما أخذت تروى أخبار محاربتها. فقالت انها امضت سبعة عشر عاماً فى حروب عنيفة مع الشهوات الجسدية كما لو كانت تحارب وحوشاً حقيقية. وكانت تمر بذاكرتها كل الخطايا والقبائح التى فعلتها ... وعانت من الجوع والعطش الشديدين... وبعد جهاد ـ كان الله يسندها فيه ويحيطها بنور باهر ـ كانت تهرب من أمامها. ومما قالته: **[مرات كثيرة أخرى كانت تهاجمنى آلاف الذكريات الحسية والأفكار الدنسة، وكانت تجعل فى قلبى آلاماً شديدة بل كانت تجرى فى عروقى مثل جمر مشتعل، حينئذ كنت أخرّ على الأرض متضرعة من كل قلبى. بل كنت أحياناً كثيرة ابقى على هذا الوضع أياماً وليالٍ، إلى أن يحوطنى النور الإلهى مثل دائرة من نار لا يستطيع المجرب أن يتعداها. وكانت العذراء معينة لى بالحقيقة فى حياة التوبة. فكانت طوال هذه المدة تقودنى بيدها وتصلى من أجلى.** ولما فرغت الخبزات كنت آكل الحشائش والجذور التى كنت أجدها فى الأرض **]**.

أما عن ملابسها فقد تهرأت من الاستعمال وكانت حرارة الشمس تحرق جسدها، بينما برودة الصحراء تجعلها ترتعد، لدرجة انه كانت يُغمى عليها.

وقالت له انها منذ عبرت الأردن لم ترَ وجه إنسان سواه ... وقالت ان الله لَقنّها معرفة الكتب المقدسة والمزامير... ولما انتهت من كلامها انحنت أمام القس زوسيما ليباركها.

وأوصته ألاّ يخبر أحداً عنها، وطلبت إليه أن يعود إليها فى يوم خميس العهد من العام التالى ومعه التناول المقدس. وقالت انها ستنتظره عند شاطىء الأردن.

وفى الصوم الأربعينى المقدس فى العام التالى خرج الرهبان كعادتهم، أما زوسيما فكان مريضاً بالحمى ـ على نحو ما اخبرته مريم فى لقائها معه ـ وبعد قداس خميس

العهد حمل القس زوسيما جسد المسيح ودمه الكريمين كما أخذ معه بعض البقول والبلح وذهب لينتظر مجيء القديسة عند شاطيء النهر... انتظرها طويلاً وكان يشخص نحو الصحراء. **وأخيراً رآها على الضفة المقابلة ورشمت بعلامة الصليب على مياه النهر وعبرت ماشية على الماء. وازاء هذه الاعجوبة حاول زوسيما أن ينحنى أمامها ولكنها صاحت : [أيها الأب أيها الكاهن ماذا أنت فاعل ؟ هل نسيت انك تحمل الأسرار المقدسة ؟!].**

حينئذ تقدمت وسجدت بخشوع أمام السرّ المقدس وتناولت من الأسرار المقدسة. وبعد قليل رفعت يديها نحو السماء صارخة [الآن يا سيد تطلق عبدك بسلام لأنى عينى قد أبصرتا خلاصك] وطلبت إليه أن يحضر إليها في العام القادم ويتقابل معها في المكان الذى تقابلا فيه أولاً... وطلبت إليه أن يصلى عنها، ورشمت على النهر بعلامة الصليب وعبرته راجعة واختفت من أمامه.

وفى العام التالى وفى الموعد المحدد توجه إلى المكان الذى التقيا فيه أولاً، ووجدها ساجدة ووجهها متجهاً للشرق ويداها بلا حركة ومنضمتان في جمود الموت. فركع إلى جوارها وبكى كثيراً. وصلى عليها صلوات التجنيز... حتى هذه اللحظة كان لا يعرف إسمها... ولكن عندما اقترب منها ليفحص عن قرب وجهها وجد مكتوباً : **[يا أب زوسيما ادفن هنا جسد مريم البائسة واترك للتراب جسد الخطية هذا، ،صلِّ من أجلى]**... واكتشف أنها تنيحت ليلة تناولها من الأسرار القدسة. ويقال ان ذلك كان سنة ٤٢١م... وعاد زوسيما إلى ديره وهو يقول : [حقاً إن العشارين والخطاة والزناة سيسبقوننا إلى الملكوت السماوى]... وكانت سيرتها مشجعاً له أكثر على الجهاد... وتعيد لها الكنيسة القبطية في يوم ١٦ برمودة من كل عام.

القديســـة بائيســـة :

ولدت هذه القديسة فى منوف من عائلة غنية وتقيّة ، وكان ذلك فى القرن الرابع الميلادى . رباها والداها تربية مسيحية . وكانت منذ صغرها محبة للفقراء متعبدة ليل نهار مواظبة على الصلاة والصوم ... انتقل والداها إلى السماء وتركا لها ثروة كبيرة ، فأخذت توزع صدقات كثيرة ، كما كانت تقوم بضيافة الغرباء وخدمتهم . **وذاع صيت فضائلها خاصة صدقاتها الكثيرة ، وكانت ترسل إلى الأديرة صدقات كثيرة ... وأستمرت على هذه الحال حتى انفقت كل ما لديها من مقتنيات ، وربما كانت لديها النية فى الاتجاه إلى أحد بيوت العذارى لتعيش فيه ...**

وبينما كانت تعيش حياة هادئة ، يرفرف السلام والفرح عليها ، إذا بالشيطان عدو كل برّ أخذ يزرع زوانه ليفسد هذه الحنطة الجيدة . ونصب فخاخه لاسقاطها ، واستطاع بعض الغرباء عن المسيح أن يستميلوا قلبها إلى الشرُ فزينوا لها طريق الغواية تحت ستار الترويح عن النفس منعاً من الملل !! وكانت نتيجة التراخى والتهاون أن تكاسلت فى الصلوات وتلاوة التسابيح وانقطعت عن الصوم والسهر والعبادة ، فأخذت الأفكار الشريرة تحاربها ، وفقدت السيطرة على نفسها ، وكانت تطلق لفكرها العنان مع أفكار الدنس ... **وظلت على هذه الحال حتى سقطت فى الهاوية ... ثم تمادت فى شرورها حتى تحوّل بيتها إلى ماخورٍ للفساد واصبح قلبها مأوى للشياطين .**

بلغ هذا الخبر المحزن آباء برية شيهيت فحزنوا من أجلها واقاموا الصلوات عنها . وانتدبوا شيخاً من شيوخ البرية وهو القمص يحنس القصير لمقابلتها ومساعدتها على خلاص نفسها وانقاذها . أطاع القديس وطلب صلوات الآباء ... وطوال الطريق إليها كان يصلى بقلب مرفوع إلى الله . ووصل مسكنها وطرق بابها ، وقال للبوابة اعلمى سيدتك بقدومى ، ثم دخل إليها وهو يرتل المزمور : « إذا سرت فى وادى ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معى » ... **ثم نظر إليها وقال لها : [لماذا استهنت بالسيد المسيح بهذا المقدار واتيت هذا الأمر الردىء ؟] . فارتعدت وذاب قلبها من تأثير كلامه . أما هو فأحنى رأسه إلى الأرض ، وبكى بكاءً مراً . فقالت له : [ما الذى أبكاك ؟] أجابها : [لأنى أعاين الشياطين تلهو على**

وجهكِ فلهذا أنا أبكى عليكِ]. سألته : [هل لى توبة ؟]. أجابها : [نعم ، ولكن ليس فى هذا المكان]. فقالت له : [خذنى إلى حيث تشاء]. فانصرف من عندها ولحقت به مسرعة حيث دخل الاثنان البرية . ولما امسى الوقت قال لها : [ارقدى هنا] ورقد هو بعيداً. وقام ليصلى صلاة نصف الليل فشاهد عموداً من نور نازلاً من السماء متصلاً بالأرض ، وملائكة الله حاملين نفسها . فاقترب منها فوجدها قد فارقت الحياة . فالقى ذاته على الأرض وصلى إلى الله صلاة طويلة من أجلها . وكان حزنه بسبب انه لم تُعطَ فرصة للتوبة . فسمع صوتاً قائلاً : [ان توبتها قد قبلت فى الساعة التى تابت فيها أكثر من الذين تابوا منذ سنين كثيرة ، ولم يظهروا حرارة فى توبتهم مثل هذه القديسة].

وبعد ما دفنت مضى وأعلم شيوخ البرية بما جرى فمجدوا الله . وتعيد لها الكنيسة فى يوم ٢ مسرى من كل عام .

* * *

والآن أيها المسيح إلهنا العجيب فى أعماله ومراحمه لا تُستقصى ... يا من احببت الخطاة عطفاً عليهم ، كما أحببت الأبرار من أجل برهم وطاعتهم ... أيا الراعى الصالح الذى أتى من أجل الخروف الضال ، واوقد أورشليم بسراج من أجل درهم واحد مفقود ... يا من احتملت نقد الناقدين حينما صرت صديقاً للخطاة والمنبوذين ، لأنك سعيت وراء السامرية ، واخرجت سبعة شياطين من المجدلية ، وجالست زكا والعشارين ، ودعوت لاوى من مكان الجباية لمجد الرسولية . يا من اعطيت الخطاة الذين يتوبون مواعيد عظمى وثمينة فى إنجيلك الكريم فلا تعود تذكر خطاياهم . الآن ياربى ، يا من صرت معيناً للقديسين ، ورفيقاً للتائبين ، افتقدنا جميعاً من علو سماك ،وانر بصائرنا ، وطهّر ضمائرنا ، وذكرنا بمواعيدك ، وجدّد فينا الرجاء فيك وفى عمل نعمتك المجانية ... اسكب ندى رحمتك على عالمنا المحترق بنار الشهوات ... افتقدنا أيها الرب إلهنا واعطنا توبة حقيقية بها نصطلح معك كما أعطيت لكل التائبين ... هبنا دموعاً تجلى عيوننا فنراك فى ملء حبك وحنوك ... جدد إنساننا العتيق وارحم الجميع فأعن الكل تترجاك ، وشعبك وكنيستك يطلبون إليك وبك إلى الآب معك قائلين : ارحمنا يا الله مخلصنا ...

إن لسير القديسين والأبرار السابقين أثراً عميقاً فى نفوس الراغبين فى الحياة مع الله ، ومشجعاً قوياً للسائرين فى طريق التوبة والجهاد الروحى ... فلقد كان أولئك القديسون بشراً مثلنا تماماً وعاشوا فى ظروف مشابهة لظروفنا من جهة الخطية ومغرياتها . ومع ذلك فقد عاشوا فى العالم دون أن يعيش العالم فى قلوبهم . كان حبهم لله أقوى من حبهم للعالم بكل ما فيه ومَن فيه ، بل أقوى من حبهم لأنفسهم ...

من أجل ذلك أحب كل أحباء الله القديسين والأبرار ... أحبوا سيرهم وجهادهم وساروا على نفس الدرب الذى سلكوه ، متجهين إلى نفس الهدف الذى بلغوه ... بليغة جداً هى عبارة مار إسحق السريانى [شهية جداً هى أخبار القديسين فى مسامع الودعاء ، كالماء للغروس الجديدة] .

نحن نعيش فى زمان يعانى من جفاف الروح ، وفتور المحبة بسبب كثرة الإثم ... ولعل من أقوى السبل التى تشجعنا وتسندنا فى مسيرتنا الروحية هى المطالعة فى سير الأبرار . انها مشجع قوى للسائرين فى طريق التوبة والجهاد الروحى .

إن هذا الكتاب يشمل تأملات فى بعض شخصيات الكتاب المقدس ، ونماذج جديدة من أبرار علمانيين على مرّ العصور بعضهم معاصرين ، وسير لتائبين وتائبات ، وشهداء ومعترفين وشهيدات من كل العصور والأعمار ، ونسّاك وناسكات ، ومدافعين عن العقيدة والإيمان .

هدفنا من هذا الكتاب أن يعود مجتمعنا المسيحى إلى مجتمع قديسين كما كان فى بدء المسيحية وعلى مرّ عصورها . لقد وضع علينا السيد المسيح مسئولية أساسية أن نكون نور العالم وملح الأرض . لقد ارتفع هو إلى السماء وترك لنا مهمة الشهادة له : لقدرته وحبه وخلاصه وإنه مازال قادراً حتى الآن أن يخلّص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الآب لأنه حىّ يعمل ويخلّص .

الثمن ١٣٠ قرشاً